تربية المرأة

والحجاب

تأليف

محمد طلعت حرب

ان لكل دين خلقا وخلق هذا الدين الحياء

(حديث كريم)

أصلح شيء للمرأة أن لاترى رجلاً ولا يراها رجل

« فاطمة عليها السلام »

اكفف أبصارهن بالحجاب فشدة الحجاب خير لهن من الارتياب

(علي كرم الله وجهه)

لاتدعوا نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق : قبح الله تعالى من لا يغار

(الحسن رضي الله عنه)

قال بعض الحكماء : النساء هن معراج الشرف بعفتهن و بئر المصائب بابتذالهن .

الطبعة الثانية

(بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر)

سنة ١٣٢٣ هجرية

تربية المرأة

والحجاب

تأليف

محمد طلعت حرب

ان لكل دين خلقا وخلق هذا الدين الحياء

(حديث كريم)

اكنفأبصارهن بالحجاب فشدة الحجاب خير لهن من الارتياب

(علي كرم الله وجهه)

أصلح شيء للمرأة أن لاترى رجلاً ولا يراها رجل

« فاطمة عليها السلام »

لاتدعوا نساءكم يزاحمن لعلوج في الاسواق : قبح الله تعالى من لا يغار

(الحسن رضي الله عنه)

قال بعض الحكماء : النساء هن معراج الشرف بعفتهن و بئر المصائب بابتذالهن .

الطبعة الثانية

(بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر)

سنة ١٣٢٣ هجرية

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي باسمه يفتتح كل كتاب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء بالحكمة وفصل الخطاب ، ودعا النساء كما دعا الرجال ، الى القيام بصالح الاعمال ، والسير في طريق الكمال ،

و بعد فقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس ان وفقنا لجمع هذا الكتاب ، الذي تلقاه بالقبول اولو الألباب ، لدعوته الى تربية المرأة على أصول الديانة الاسلامية ، مع مراعاة حال العصر والتوقي من شرور المدنية الغربية ، تلك المدنية التي أصلحت في الأقطار الغربية وأفسدت ، ولكنها أفسدت في البلاد الشرقية وما أصلحت ، اذ فتن الناس بشر ماجاءت به ، وطفقوا يتركون لأجلها خير ما كانوا عليه

لما رأينا كتابنا هذا (تربية المرأة) قد انتشر في الامصار ، وتنقل في الأقطار ، حتى نفدت نسخ طبعته الاولى ، وتوجهت الرغبة الى طبعه مرة أخرى ، رأيت أن أزيد في فوائده ومسائله ، وأضم اليه شيئاً من أحاسن الكلام وعقائله ، وكنت قرأت في مجلة « المنار » الاسلامية ، مقالات في « الحياة الزوجية » ، لمنشئها الذي نعترف مع حضرة قاسم بك أمين . بأن جميع الناس يعرفون مكانه من العلم والدين ، فاخترت أن أجعلها خاتمة للكتاب ، لأنها في الموضوع لب اللباب ، ثم قرأت في باب التفسير من المنار كلاماً عالياً ، وهدياً سماوياً سامياً ، في تفسير قوله تعالى في النساء « ولهن مثل الذي عليهن » الآية . وهو مما كان اقتبسه صاحب المنار من دروس الاستاذ الامام ، حكيم الشرق وحجة الاسلام ، الشيخ محمد عبده عليه الرحمة والسلام ، فاخترت ان أقتبسه في فاتحة هذه الطبعة وها كه نقلا عن الجزء العاشر من مجلد المنار الثامن ، (الصادر في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣)

﴿ ولهنَّ مثلُ الذي عليهنَّ بالمعروف وللرجال عليهنَّ درجةٌ ﴾

هذه كلمة جليلة جداً جمعت على ايجازها مالا يؤدى بالتفصيل الا في سفر كبير فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق الا أمرا واحدا عبر عنه بقوله (وللرجال عليهن درجة) وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى « الرجال قوامون على النساء » الآية وقد أحال في معرفة مالهن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشراتهم ومعاملاتهم في أهليهم ، وما يجري عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم فهذه الجملة تعطي الرجل ميزانًا يزن به معاملته لزوجه في جميع الشؤون والأحوال فاذاهم بمطالبتها بأمر من الامور يتذكر انه يجب عليه مثله بإزائه ولهذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: انني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي لهذه الآية . وليس المراد بالمثل المثل بأعيان الأشياء وأشخاصها وانما المراد أن الحقوق بينهما متبادلة وانهما أكفاء فما من عمل تعمله المرأة للرجل الا وللرجل عمل يقابله لها ان لم يكن مثله في شخصه، فهو مثله في جنسه، فهما متماثلان في الحقوق والأعمال كما انهما متماثلان في الذات والاحساس والشعور والعقل أي ان كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه وقلب يحب ما يلائمه ويسر به ويكره مالا يلائمه وينفر منه فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر ويتخذه عبداً يستذله ويستخدمه في مصالحه لا سيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة الا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه

قال الاستاذ الامام قدس الله روحه: هذه الدرجة التي رفع الاسلام النساء اليها لم يرفعهن اليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع بل لم تصل اليها أمة من الأمم قبل الاسلام ولا بعده . وهذه الأمم الأوربية التي كان من تقدمها في الحضارة والمدنية أن بالغت في تكريم النساء واحترامهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون لاتزال دون هذه الدرجة التي رفع الاسلام النساء اليها ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون اذن زوجها وغير ذلك من الحقوق التي

منحتها اياها الشريعة الاسلامية من نحو ثلاثة عشر قرناً ونصف وقد كان النساء فى أوربا منذ خمسين سنة بمنزلة الارقاء في كل شيء كما كن في عهد الجاهلية عند العرب أو أسوأ حالا ونحن لا نقول ان الدين المسيحي أمرهم بذلك لاننا نعتقد ان تعليم المسيح لم يخلص اليهم كاملا سالماً من الاضافات والبدع ومن المعروف ان ما كانوا عليه من الدين لم يرق المرأة وانما كان ارتقاؤها من أثر المدنيـة الجديدة في القرن الماضي

وقد صار هؤلاء الأفرنج الذين قصرت مدنيتهم عن شريعتنا فى إعلاء شأن النساء يفخرون علينا بل يرموننا بالهمجية فى معاملة النساء ويزعم الجاهلون منهم بالاسلام أن مانحن عليه هو أثر ديننا . ذكر الاستاذ الامام في الدرس ان أحد السائحين من الافرنج زاره في الأزهر وبيناهما ماران في المسجد رأى الافرنجي بنتاً مارة فيه فبهت وقال ما هذا ؟ أنثى تدخل الجامع !!! فقال له الامام وماوجه الغرابة في ذلك قال اننا نعتقد ان الاسلام قرر أن النساء ليس لهن أرواح وليس عليهن عبادة : فبـين له غلطه وفسر له الآيات فيهن . . . قال فانظروا كيف صرنا حجة على ديننا والى جهل هؤلاء الناس بالاسلام حتى مثل هذا الرجل الذي هو رئيس لجمعية كبيرة فيهم فما بالكم بعامتهم

اذا كان الله قد جعل للنساء على الرجال مثل مالهم عليهن الا ماميزهم به من الرياسة فالواجب على الرجال بمقتضى كفالة الرياسة ان يعلموهن ما يمكنهن من القيام بما يجب عليهن ويجعل لهن فى النفوس احتراماً يعين على القيام بحقوقهن ويسهل طريقه فان الانسان بحكم الطبع يحترم من يراه مؤدباً عالماً بما يجب عليه عاملاً به ولا يسهل عليه ان يمتهنه أو يهينه واذا بدرت منـه بادرة فى حقه رجع على نفسه باللائمة فكان ذلك زاجراً له عن مثلها .

كلف الله تعالى النساء بالإيمان والمعرفة والأعمال الصالحة فى العبادات والمعاملات كما كلف الرجال وجعل لهن عليهم مثل ماجعله لهم عليهن وقرن أسماءهن باسمائهم فى آيات كثيرة وبايع النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنات كما بايع المؤمنين

وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم وأجمعت الأمة على ما مضى به الكتاب والسنة من أنهن مجزيات على أعمالهن في الدنيا والآخرة ، أفيجوز بعد هذا كله أن يحرمن العلم بما عليهن من الواجبات والحقوق لربهن ولبعولتهن ولأولادهن ولذي القربى وللأمة والملة ؟ العلم الاجمالي بما يطلب فعله شرط في توجه النفس اليه اذ يستحيل ان تتوجه الى المجهول المطلق ، والعلم التفصيلي به المبين لفائدة فعله ومضرة تركه يعد سبباً للعناية بفعله والتوقي من اهماله فكيف يمكن للنساء أن يؤدين تلك الواجبات والحقوق مع الجهل بها إجمالا وتفصيلا ؟ وكيف تسعد في الدنيا أو الآخرة أمة نصفها كالبهائم لا يؤدي ما يجب عليه لربه ولا لنفسه ولا للناس والنصف الآخر قريب من ذلك لانه لا يؤدي الا قليلا مما يجب عليه من ذلك ويترك الباقي ومنه إعانة ذلك النصف الضعيف على القيام بما يجب عليه أو إلزامه به بما له عليه من السلطة والرياسة

ان ما يجب أن تعلمه المرأة من عقائد دينها وآدابه وعباداته محدود ولكن ما يطلب منها لنظام بيتها وتربية أولادها ونحو ذلك من أمور الدنيا كاحكام المعاملات — ان كانت في بيت غنى ونعمة — يختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال ، كما يختلف بحسب ذلك الواجب على الرجال ، ألا ترى الفقهاء يوجبون على الرجل النفقة والسكنى والخدمة اللائقة بحال المرأة ، ألا ترى ان فروض الكفايات قد اتسعت دائرتها فبعد أن كان اتخاذ السيوف والرماح والقسي كافياً في الدفاع عن الحوزة صار هذا الدفاع متوقفاً على المدافع والبنادق والبوارج وعلى علوم كثيرة واجبة اليوم ولم تكن واجبة ولا موجودة بالأمس ؟ ، ألم تر أن تمريض المرضى ومداواة الجرحى كان يسيراً على النساء في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء رضي الله تعالى عنهم وقد صار الآن متوقفاً على تعلم فنون متعددة وتربية خاصة ، أي الأمرين أفضل في نظر الاسلام ، أتمريض المرأة لزوجها اذا هو مرض أم اتخاذ ممرضة أجنبية تطلع على عورته وتكتشف مخبآت بيته ؟ وهل يتيسر للمرأة أن تمرض زوجها أو ولدها اذا كانت جاهلة بقانون الصحة وبأسماء

الأدوية ؟ نعم قد تيسر لكثيرات قتل مرضاهن بزيادة مقادير الأدوية السامة أو بجعل دواء مكان آخر

روى ابن المنذر والحاكم وصححه وغيرهما عن عليّ كرم الله تعالى وجهه انه قال فى تفسير قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا »: علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم : والمراد بالأهل النساء والاولاد ذكورًا وإناثًا وزاد بعضهم هنا العبد والأمة والأهل فى أصل اللغة القرابة . واذا كان الرجل يقي نفسه وأهله نار الآخرة بتعليمهم وتأديبهم فهو كذلك يقيهم بذلك نار الدنيا وهي المعيشة المنغصة بالشقاء وعدم النظام

والآية تدل على اعتبار العرف فى حقوق كل من الزوجين على الآخر مالم يحلّ العرف حرامًا أو يحرم حلالاً مما عرف بالنص والعرف يختلف باختلاف الناس والازمنة ولكن أكثر فقهاء المذاهب المعروفة يقولون ان حق الرجل على المرأة أن لا تمنعه من نفسها بغير عذر شرعي وحقها عليه النفقة والسكنى الخ وقالوا لا يلزمها عجن ولا خبز ولا طبخ ولا غير ذلك من مصالح بيته أو ماله وملكه . والأقرب الى هداية الآية ماقاله بعض المحدثين والحنابلة - قال فى حاشية المقنع بعد ذكر القول بأنه لايجب عليها ماذكر : « وقال أبو بكر بن أبي شيبة والجوزجاني عليها ذلك واحتجا بقضية علي وفاطمة رضي الله عنهما فان النبي صلى الله عليه وسلم قضى على ابنته بخدمة البيت وعلى علي ما كان خارجًا من البيت من عمل رواه الجوزجاني من طرق قال وقد قال عليه السلام «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها ولو أن رجلا أمر امرأته أن تنتقل من جبل أسود الى جبل أحمر أو من جبل أحمر الى جبل أسود لكان نولها (أي حقها) أن تفعل ذلك» ورواه باسناده قال فهذا طاعة فيما لا منفعة فيه فكيف بمؤنة معاشه . وقال الشيخ تقي الدين يجب عليها المعروف من مثلها لمثله قال فى الانصاف والصواب أن يرجع فى ذلك الى عرف البلد » : اهـ

وما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم بين بنته وربيبه وصهره (عليهما السلام)

هو ماتقضي به فطرة الله تعالى وهو توزيع الأعمال بين الزوجين على المرأة تدبير المنزل والقيام بالأعمال فيه وعلى الرجل السعي والكسب خارجه . وهذا هو المماثلة بين الزوجين في الجملة وهو لا ينافي استعانة كل منهما بالخدم والاجراء عند الحاجة الى ذلك مع القدرة عليه ولا مساعدة كل منهما للآخر في عمله أحيانا اذا كانت هناك ضرورة وانما ذلك هو الاصل والتقسيم الفطري الذي تقوم به مصلحة الناس وهم لا يستغنون في ذلك ولا في غيره عن التعاون « لا يكلف الله نفساً الا وسعها — وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله » وماقاله الشيخ تقي الدين وما بينه به في «الانصاف» من الرجوع الى العرف لايعدوما في الآية قيد شعرة . واذا أردت أن تعرف مسافة البعد بين مايعمل أكثر المسلمين وما يعتقدون من شريعتهم فانظر في معاملتهم لنسائهم تجدهم يظلمونهن بقدر الاستطاعة لا يصد أحدهم عن ظلم امرأته الا العجز ويحملونهن مالا يحمله الا بالتكلف والجهد ويكثرون الشكوى من تقصيرهن ولئن سألتهم عن اعتقادهم فيما يجب لهم عليهن ليقولن كما يقول أكثر فقهائهم انه لايجب لنا عليهن خدمة ولا طبخ ولا غسل ولا كنس ولا فرش ولا ارضاع طفل ولا تربية ولد ولا إشراف على الخدم الذين نستأجرهم لذلك ، ان يجب عليهن الا المكث في البيت والتمكين من الاستمتاع ، وهذان الامران عدميان أي عدم الخروج من المنزل بغير اذن وعدم المعارضة بالاستمتاع فالمعنى انه لا يجب عليهن للرجال عمل قط بل ولا للاولاد مع وجود آبائهم

أما قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) فهو يوجب على المرأة شيئاً وعلى الرجل أشياء . ذلك ان هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس لان المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الامور ولا تقوم مصلحتهم الا اذا كان لهم رئيس يرجع الى رأيه في الخلاف لئلا يعمل كل على ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام . والرجل أحق بالرياسة لأنه أقدر

على التنفيذ بقوته وماله ومن ثم كان هو المطالب شرعاً بحماية المرأة والنفقة عليها وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف فان نشزت عن طاعته كان له تأديبها بالوعظ والهجر والضرب غير المبرح ان تعين تأديباً ، يجوز ذلك لرئيس البيت لأجل مصلحة العشيرة وحسن العشرة كما يجوز مثله لرئيس الأمة (الخليفة أو السلطان) لأجل مصلحة الجماعة . وأما الاعتداء على النساء لأجل التحكم أو التشفي أو شفاء الغيظ فهو من الظلم الذي لا يجوز بحال وكل راع مسؤول عن رعيته . وسيأتي تفصيل لهذه السلطة في سورة النساء ان شاء الله تعالى

وختم الآية بقوله عز وجل (والله عزيز حكيم) قال الاستاذ الامام ان لذكر العزة والحكمة ههنا وجهين أحدهما إعطاء المرأة من الحقوق على الرجل مثل ماله عليها بعد ان كانت مهضومة الحقوق عند العرب وجميع الأمم والثاني جعل الرجل رئيساً عليها فكأن من لم يرض بهذه الاحكام الحكيمة يكون منازعاً لله تعالى في عزة سلطانه ، ومنكرا لحكمته في أحكامه ، فهي تتضمن الوعيد على المخالفة كما عهدنا من سنة القرآن اه

هذا هو رأي فقيد الاسلام المرحوم ومن تصفح ما يلي من فصول كتابنا وجدنا لم نقل غير ما قال والله الهادي الى ما فيه الخير والسداد

﴿ مقدمة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين واخوانه المرسلين

أما بعد فانه قد كثر في هذه الايام البحث والكتابة فى حالة المرأة وما يجب عليها ولها وفي طرق تعليمها .

والفضل فى فتح باب هذا البحث لكتاب تحرير المرأة الذي وضعه حضرة الفاضل قاسم بك أمين يقول فيه : ان المرأة مساوية للرجل من جميع الوجوه وان الرجل ظالم لها فى حقوقها ويحث فيه على تربية المرأة وتعليمها كما يتعلم الرجل سواء بسواء . ويقول بلزوم رفع الحجاب ووجوب الاختلاط لأن حجاب المرأة وعدم اختلاطها بالرجال مما يقيد حريتها التي منحها الله اياها ويمنع من قيامها بالعمل المكلفة به فى الهيئة الاجتماعية الى آخر ما يدعو اليه . ولم يكد يظهر هذا الكتاب فى عالم الوجود حتى أشيع فى بعض الجرائد انه تألفت لجنة فى مصر تحت رعاية عظيم فيها

لتحرير المرأة الشرقية على الطريقة التي أشار اليها حضرة المؤلف فى كتابه. وأخذ الناس من ذلك الوقت يبحثون فى موضوع الكتاب وما احتوى عليه من أفكار وأماني . ولقد انقسموا حزبين : حزبا يرى رأي المؤلف وهم قلائل يعدون على الاصابع . والحزب الآخر وهو الاعظم عددا أجمع على استهجان ماورد بالكتاب ويقول انه يدعو الى بدعة فى الدين لا في العوائد فقط . وكلا الحزبين مسلم والحمد لله بأن الدين لا يمنع مطلقا من تعليم المرأة وتربيتها وتهذيبها بل هو يحض على ذلك ويأمر به ولكنهما يختلفان فيما ينبغي أن تعلمه المرأة وفى طريقة التعليم والتهذيب

ولما رأينا هذا الجدال والكفاح بين فريقين يعزز كل منهما قوله بالشرع ويقول ان الحق والدين فى جانبه ورأينا انه لم يكد يخلو مجتمع من الكلام فى هذا الموضوع تاقت نفسنا الى البحث والتنقيب والدخول فيه

ونحن نعرض على القراء نتيجة بحثنا فان أخطأنا فلنا من حسن النية ما نرجو معه غفران سيئات خطئنا وان أصبنا المرمى كما نظن فلسنا نسأل على عملنا أجرا فنقول :

أول شيء طرأ على ذهننا حين قرأنا الكتاب ورأينا الناس أخذوا يسلقون حضرة المؤلف بألسنة حداد ويحملون عليه وعلى كتابه حملات لم تعودها على مؤلف غيره من قبل ان لا بد فى الامر من شيء . ثم حمل الناس على ذلك اذ لا يمكن ان يجتمع كل الناس على ضلالة . ولا يخفى ان ألسنة الخلق أقلام الحق . فأخذنا نسأل ونتساءل ونبحث ونتناظر حتى علمنا أن معظم هياج الرأي العام على حضرة المؤلف ناتج مما هو راسخ فى أذهانهم

من ان رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تمناها اوروبا من قديم الزمان لغاية فى النفس يدركها كل من وقف على مقاصد اوروبا بالعالم الاسلامي ويقولون ان « للاوروباويين مطامع قديمة ومآرب في النفس يظهرها»
«زيادة التقرب بين العالمين الشرقي والغربي حتى ان بعض امراء المسلمين»
« اتخذ هـذه المقاصد ذريعة يتقرب بها الى بعض دول اوروبا فى نيل »
« مآربه . ومن ذلك ان اسماعيل باشا خديوي مصر الاسبق لما كانت »
« نفسه تميل الى الاستقلال وتكوين مملكة مستقلة بافريقا يحكمها هو »
« ومن يأتي بعـده من أولاده كان عاملا على جذب دول اوروبا اليه »
« لتساعده على تحقيق أمينته في مقابلة تحقيقه أمنيتهم بان يدخل العادات »
« الافرنكية بين امته مما كان يظنه سهل المنال حتى انه كان كثيرا ما يتظاهر »
« ويقول ان مصر قطعة من اوروبا وان أخلاق المصريين وعوائدهم التي »
« ورثوها ستصبح بمساعيه بعد قليل مماثلة لعوائد اوروبا وأخلاقها ليكون »
« له من ذلك وسيلة يتقرب بها اليهم لما رآه وعلمه من مخالطة أمرائهم »
« وعلمائهم وأرباب الافكار والسياسة منهم الذين يعلمون حق العلم انه لم »
« يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الاسلامي - فى المشرق لا فى مصر »
« وحدها - الا ان يطرأ على المرأة المسلمة التحويل بل الفساد الذي عم »
« الرجال فى المشرق . وكل من ادرك اسماعيل باشا يعلم ما كان قد اشيع »
« فى ذلك الوقت من انه كان يريد ان تخرج النساء مكشوفات الوجوه »
« فى الطرقات كالفرنجيات وعمت الاشاعة ارجاء القطر باجمعه »
« وتحدث الناس بها فى كل ناد . وقالوا ايضا انه لاجل تنفيذ هذا الفكر »

« أمر بان تخرج تلميذات مدرسة السيوفية مكشوفات الوجوه . وقد »
« رآهن الناس وهن على ذلك وعلى رؤوسهن البرانيط فى عربات كثيرة »
« يتفسحن في أرجاء المدينة وبينهن من لها من العمر ست عشرة سنة »
« وزيادة . وقد علم الناس ثمرة هذا الغراس فقد خرجن أكثرهن على علة »
« البغاء . ولم يقتصر العلم بهذا العزم على مصر فقط بل تمدها الى غيرها من »
« الامصار حتى ان أحد امراء المسلمين اذ ذاك كتب اليه كتابا مطولا »
« ينهاه فيه ويلومه على مايتظاهر به من حب الانفصال عن الدولة ومايريد »
« ادخاله من عادات الافرنج بين قومه . ومما جاء فى الكتاب المذكور »
« مختصا بهذا الموضوع قوله بعد العنوان وحمد الله والصلاة على أنبيائه (١) »

« بلغنا ورأينا من مقتضيات الاحوال مايصدق الخبر انكم كانبتم »
« ملوك أوروبا وتوجهتم بانفسكم اليهم تطلبون منهم الاعانة على الاستقلال »
« بملك مصر والاستبداد بالسلطنة ليقال لكم ملك مصر أو فرعون مصر »
« ولم يقنعكم لقب الخديوي الذي شرفكم به سلطاننا فى هذه المدة الاخيرة »
« وذكرتم للمشار اليهم انكم تضمنون لهم ان وقعت منهم الاعانة التي »
« تطلبونها تبديل أحكام القرآن وفصل السياسة عن الدين بالمرة وتبيحون »
« لنساء الامة الجديدة التي تكونونها ماتبيحه العادات الافرنجية وقوانينها »
« من الحضور في مجامع الرجال ومواكبهم وغير ذلك ولا تظلمونهن بمثل »
« ماظلمتهن الشريعة الاسلامية على مدعاكم وقلتم فيما ذكرتم لأولئك »
« الملوك ان السلطان العثماني لا يتيسر له مايتيسر لكم من امثال هاته »

(١) اطلعت على هذا الكتاب عند بعض أعاظم مصر ولديه مايثبت صحته .

« الامور التي هي خلاصة التمدن الانساني في نظركم لكونه ملقبا بلقب »
« خليفة الرسول الى آخر ما ذكرتم ...» اه .

« وان ارادة الوصول الى تغيير حالة المرأة المسلمة شيء كامن في نفوس »
« الفرنج لذلك كانوا يطالعون به كل من حادثهم من أدباء الشرق وعلمائه حتى »
« انك ترى الواحد منهم متى ناظرته مشفقا على المرأة المسلمة اشفاقا »
« غريبا ويرثي لحالها ويصدر منه من الاقوال ما يدل على جهله بحالة »
« المرأة وحقوقها في الاسلام جهلا تاما . مع ان لكثير من فضلاء الشرق »
« مؤلفات ومقالات في حالة المرأة المسلمة وما لها من الحقوق بحسب »
« الشريعة الغراء قد ترجمت الى بعض لغات اوروبا واطلع عليها الكثير »
« من علمائها ومع ذلك تراهم مصرين على رأيهم من تعاسة حالة المرأة »
« المسلمة كأن المرأة المسلمة وكأنهم عنها في المدافعة عن حقوقها وكأنهم »
« لما رأوا تعاسة حالة المرأة عندهم وابتذالها بما وصلت اليه بفضل الحرية »
« الزائدة الواسعة أرادوا أن تكون حالة التعاسة عامة كل نساء الدنيا فهم »
« دائبون عاملون على التنفير من حالة المرأة المسلمة وماهي عليه من »
« الشقاء لتقوى كلمتهم فيتداخلون يوما ما بالقوة باسم المروءة ليحملوا دول »
« الاسلام على تغيير حالة المرأة فيتم لهم الغرض الخفي الكامن في نفوسهم »
« كما تداخلوا من قبل باسم الانسانية والعهد ليس ببعيد في مسألة الرقيق »

« وان كل من نظر الى أقوال الفرنج ومن ينسجون على منوالهم رآها »
« مزخرفة الظاهر جميلة الحواشي والاركان لماعة براقة تكاد تأخذ »
« بالالباب: ولكن وا أسفاه حشوها السم الناقع . ولا نلام على قولنا هذا »

« لاننا طالما سالمنا الافرنج وظننا ان كل مايصدر منهم حق وكل أفعالهم »
« منزهة عن العبث فلما استسلمنا اليهم بهذه الطريقة وقمنا فيما نخافه »
« فانطمست معالمنا ودرست آثارنا وغطى الجهل بصائرنا وأبصارنا فاصبحنا »
« على حالة يرثي لها العدو قبل الصديق بعد مجد باذخ وعز سابق وعلم قديم »
« ولو قيل لنا هذا القول في أول تعارفنا بالفرنج لكنا أخذناه كما هو »
« وعملنا به ولربما أصبحت حالة المرأة عندنا كحالة الرجل على ما يبتغيه الفرنج . »
« ولكن يسر الله وأصبحت لنا خبرة بمآرب الافرنج نحو الشرق فلا »
« نسمع منهم قولا الا بعد أن نطيل النظر والتنقيب فيه (١) »

(١) جاء فى جريدة المقطم الغراء في عددها الصادر يوم ١٣ سبتمبر سنة ٩٩ ضمن مقالة فى محلياتها عنوانها « اندري ماهي فاعلة » ما يعذر هؤلاء المعارضين فى اعتقادهم حيث قالت :

وبديهي ان الامة التي تنفع العالم بقدوتها الحسنة تضرهم بقدوتها السيئة . ولعل أهل الشرق الادنى أعظم الامم اقتداء بالفرنسويين واقتباساً لافعالهم وعاداتهم واصطلاحاتهم حتى انك لترى شبانهم في أكثر المدن لايقلون شغفاً وتعلقاً بالفرنسوية وتحيزا وتحزباً لها من الفرنسويين أنفسهم . فيخاف الشرقي الضرر من عاقبة خطأ الفرنسوي وضلاله قدر مايرجى النفع من عاقبة أفعاله الحسنة ومبادئه القويمة . ولو بحثنا لوجدنا ان اضرارا كثيرة سرت الينا من اختلال المبادئ القويمة فى فرنسا مع النفع الذي جنيناه من التشبه بها فى مبادئها السامية وافعالها العظيمة . فانحلال عرى العفاف في عاصمة فرنسا واستخفاف اهل باريس بهذا المبدأ الادبي واطلاقهم السراح لشهواتهم اثر تأثيره من الضرر فى هذا القطر وغيره من الاقطار الشرقية على وجهين : الواحد اقتداء الذين ربوا في باريس او زاروها بأهل باريس من هذا القبيل فصارت العفة عندهم امرا حقيرا لايرعون له حرمة ولايجلون لصاحبه قدرا .

هذا هو مجمل قولهم وداعية سخطهم واني أجل حضرة الفاضل قاسم بك أمين عن أن يكون له غاية من وضع كتابه خلاف حب الخير والارتقاء لأمته كما هو ظاهر من كلامه على تربية المرأة فانه وصف حالتها اليوم أحسن وصف وقال بوجوب تربيتها تربية تهذب أخلاقها وتقوم نفسها فلحضرته مزيد الشكر على ذلك وسيرانا في هذا الكتاب داعين الى مثل دعوته رافعين صوتنا مع صوته عل دعوتنا تخرق تلك الاذن الصماء فيهتم القوم بأمر هـذه التربية وننال ضالتنا التي ننشدها وهي تحسين حالنا وماذلك على الله بعزيز . واننا مع موافقتنا لحضرته على هذا المبدأ نخالفه في غيره فنستمنحه العفو عما يجده خلال بحثنا من المخالفة والمباينة في الرأي والفكر فحضرته حر ولا نخاله الا يحب كل حر الفكر

ومما اتخذه خصومه حجة على ممالأته الفرنج ومجاراته لهم على أفكارهم انه قد سافر بعض الفضلاء من الاتراك الى اوروبا بقصد السياحة من بضع سنين فلما كان في بلاد الانكليز وتعرف ببعض أدبائهم هناك جرهم الكلام الى موضوع حالة المرأة المسلمة وهو الموضوع الذي قل ان يخلو منه مجلس فيه شرقي ووجهوا اليه أقوالا واعتراضات وانتقادات هي نفس الاعتراضات التي بنى عليها حضرة مؤلف كتاب تحرير المرأة كتابه

والوجه الآخر توهم كثيرين من الشرقيين ان التمدن الحالي ينتج في كل مكان ما أنتج في عاصمة الفرنسويين من الفجور وترك العفاف فنفروا منه وممن يستحسنه وكرهوا تعليم بناتهم وتغيير طرق المعيشة مع نسائهم وعائلتهم وقاموا يعنفون النابغين من أبناء هـذا القطر كانهم ارتكبوا وزرا حيث طلبوا للمرأة التحرير يعنون بذلك ان تغير معيشتها العائلية والاجتماعية بعض التغيير اهـ

ويقولون : « انه ليس بعجيب فى الامر ان الاعتراضات التي وجهت الى »
« الفاضل التركي هي التي يوجهها كل الفرنج الى الشرقيين . بل العجيب »
« ان هذه الاعتراضات هي بعينها التي جاءت فى كتاب حضرة قاسم »
« بك أمين ولكنها بعبارة أوسع مع ان ذلك الفاضل التركي كان باوروبا »
« قبل ان يظهر كتاب تحرير المرأة بعد سنوات . وقد طبعت هذه »
« الاعتراضات ضمن رسالة باللغة التركية سنة ١٨٩٣ أفرنكية بالمطبعة »
« الجامعة بمصر باسم الرحلة الاصمعية . فهل هذا أيضا من باب وقوع »
« الحافر على الحافر أو من توافق الخواطر كما كان الامر فى ظهور كتاب »
« تحرير المرأة فى الوقت الذي ظهرت فيه مقالة انكليزية قيل انها لاحد »
« علماء الهند المسمى القاضي أمير علي وترجمت الى العربية من جريدة »
« انكليزية فى مجلة المقتطف يدعو فيها صاحبها الى مثل ما يدعو اليه »
« صاحب كتاب تحرير المرأة ؟ » ـ ذلك أمر لا نتعرض له بنفي ولا اثبات بل نكل فيه الحكم للقراء ـ انما نقول ان اعتراضات الفرنج على حالة المرأة المسلمة وما هي عليه من التحجب لا بد ان تكون قد وجهت لحضرة الفاضل قاسم بك أمين حينما كان يتعلم باوروبا ولكن يظهر ان حضرته لم يحفل بها ولم تؤثر عليه أدنى تأثير . يدل على ذلك أقواله ومدافعاته عن حالة آداب المرأة المسلمة واحتجابها فى مؤلفه النفيس الذي رد به على كتاب الدوك دار كور . ولكن لا ندري أي الاسباب أثر عليه بعد ذلك فحوله عن فكره الاول الى فكر يخالفه بالمرة فى كتاب تحرير المرأة .

ولنكتف الآن بما أوردناه ولنبحث فى المرأة ووظيفتها فى العالم وفى

حقيقة التربية الصحيحة والتعليم الحق اللازمين للبنين والبنات ليصلحوا ان يكونوا يوما مّا أزواجا فآباء وأمهات وفيما يجب أن يتخلق به النساء ليقمن بوظيفتهن فى البيوت أحسن قيام . ثم نتبع ذلك بالكلام على الحجاب أهو شرعي يأمر به الدين ويقضي به العقل أم هو بدعة وعادة سيئة ضرت ضررا بليغا بدون أن تنفع ؟ ويتخلل هذه الفصول بيان ما نحن عليه الآن من الادب والتهذيب والتعليم وبيان درجة النقص فيها وطرق اصلاحها بما لا يخل بعوائدنا المستحسنة ومبادي ديننا القويم .

وانا نقول هنا ما قاله حضرة الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله فى رسالته باكورة الكلام على حقوق النساء فى الاسلام : « لا يحسبن قراء هذا الكتاب انا نريد المنع من تقليد الاجانب فيما يعود علينا بالمنفعة . كلا . فان ذلك لا تمنعه الشريعة المطهرة . كيف وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق لما أخبره سلمان الفارسي بأنه من أعمال الكسرويين فى حروبهم وشواهد ذلك كثيرة لا نطيل بذكرها »

ونحن عملا بما تأمرنا به شريعتنا المطهرة وتقليدا للأمم الحية في الحث على تهذيب البنين والبنات وتربية نفوسهم نحض على هذه التربية الصحيحة وندعو اليها جهدنا لعلنا نوفق الى الوصول الى هذه الغاية الشريفة

ولكي يطابق الاسم مسماه سمينا الكتاب تربية المرأة والحجاب وهو اسم كنا نتمنى أن يجعله حضرة قاسم بك أمين عنوانا لكتابه فانه أولى وأليق به من اسم « تحرير المرأة » حيث ان المرأة المسلمة بشهادة حضرته قد خولت لها الشريعة السمحة من نحو ثلاثة عشر قرنا حقوقا وامتيازات

لم يحصل زميلاتها الفرنجيات على جزء يسير منها الا من عهد غير بعيد وهي الآن قد زادت حريتها عن الحد الشرعي . والله تعالى نسأل ان يهدينا سواء السبيل فيما نقول

هـذا وإنا نرجو المعذرة اذا هفا اليراع هفوة فالغرض مما نقدمه الجوهر لا العرض وجل غرضنا المشاركة في البحث توصلا الى الحقيقة التي هي ضالتنا جميعا فما تزاحمت الظنون على شيء الا انكشف . وعلى الله الاتكال في كل الأمور ومنه يرجى خير المآل .

﴿ الباب الاول ﴾

المرأة أقل من الرجال ادرا كا وحساً — وظيفتها — اقرار بعض علماء الافرنج والسيدات أنفسهن بان المرأة لايلزم ان تتعدى وظيفتها — هل للمرأة ان تشتغل بأشغال الرجال؟ — ماهي نتائج تحرير المرأة في اوروبا ؟

﴿ المرأة ووظيفتها في المجتمع الانساني ﴾

المرأة اقل من الرجل ادرا كا وحساً ـ أجمعت كل الشرائع المنزلة على ما سلم به الطبع والعقل من أن المرأة أضعف من الرجل وأقل منه في سائر الحيثيات جسما وادرا كا وعلى ان الرجال قوامون على النساء دون العكس . لهم عليهن السيادة ولهن منهم حسن المعاملة والرفق والمحبة والاحترام حيث ان الرجل لايمكنه أن يعيش بدون المرأة ولا المرأة بدون الرجل لانه يترتب على تآلفهما عمران الكون وتحسين النوع الانساني وتكثيره وسعادة العالم المؤلف من عائلات وأفراد بسعادتهم يسعد وبشقائهم

يشق فقد جاء فى التوراة فى سفر التكوين بالاصحاح الثالث عدد ١٦ أن الله تعالى قال للمرأة : « تكثيرا أكثر اتعاب حبلك . بالوجع تلدين أولادا . والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » . وجاء فيه أيضاً أنه تعالى قال للرجل معلقا به الكد والشقاء : « بعرق جبينك تأكل خبزك »

وجاء فى أعمال الرسل : ١ كورنتوس ص ١١ من ع ٢

« ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح . وأما »
« رأس المرأة فهو الرجل . ورأس المسيح هو الله »

« . . . . »

« فان الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده . »
« وأما المرأة فهي مجد الرجل . لان الرجل ليس من المرأة بل المرأة من »
« الرجل . ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل »
« لهذا ينبغي أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة . غير أن »
« الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل فى الرب . لانه »
« كما ان المرأة هي من الرجل هكذا الرجل أيضا هو بالمرأة »

وقد قررت الديانة المسيحية ذلك التعليم الالهي وأمرت المرأة ان تخضع لرجلها وأمرت الرجل أن يتعطف على امرأته وأن يخلص لها الحب

أما الشواهد من القرآن ومن السنة على كل ما تقدم فكثيرة جدا يعلمها حق العلم كل من اطلع عليها وكلها تثبت خضوع المرأة لسلطان الرجل وهو نظام اقتضته حكمته سبحانه وتعالى .

وحسبنا اثباتا لما نقوله قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء

بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » وقوله تعالى : «واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن وأهجروهن فى المضاجع وأضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا» وقوله تعالى : «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة» وقوله صلى الله عليه وسلم: «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لاحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» وقوله عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله فى الضعيفين : المرأة واليتيم » وقوله صلى الله عليه وسلم : « خيركم خيركم لنسائه وبناته . وأكمل المؤمنين أحسنهم خلقا مع زوجته . وكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وأهله وولده وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة عنه » وقوله صلوات الله عليه : « استوصوا بالنساء خيرا فانما هن عندكم وديعة لا يملكن لانفسهن ضرا ولا نفعا وانما هن كاسرى بين أيديكم وانما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتموهن بكلمات الله فعاشروهن بالمعروف ولا تظلموهن وقوموا بحقهن ... الخ ... »

والشواهد الحسية والعقلية على ضعف المرأة كثيرة جدا كلها مؤيدة لما سبق نورد منها ما ذكره حضرة فريد أفندي وجدي ضمن مقالة عنوانها « نظرة فى تحرير المرأة » نشرت في جريدة المؤيد الغراء بعدديها الصادرين فى ٣٠ سبتمبر وأول اكتوبر سنة ١٨٩٩ . قال : « هل المرأة مساوية للرجل فى سائر الحيثيات ؟؟ فالجواب لا . »

«وهل لدينا دليل حسي على هذا الجواب السلبي اصدق من وجود»
«المرأة من ابتداء الخليقة للآن تحت سيطرة الرجل يوجهها كيف يشاء»

«ويحكم عليها بما تقضي أمياله ؟؟»

«اذا كانت المرأة مساوية للرجل من الجهتين الجسمية والعقلية فلماذا»
«رضخت كل هذه الالوف المؤلفة من الاعوام لسلطان الرجل وجبروته؟»

«لاشك انا اذا لاحظنا ناموس الغلبة والقهر الذي مؤداه ان»
«القوي يغلب الضعيف ويأسره علمنا جيداان المرأة لاتساوي الرجل»
«في جميع المواهب الطبيعية اذلوساوته فيها لحدثنا التاريخ باخبار التدافع»
«بين هذين الجنسين شأن كل عاملين متساوي القوة فى هذا الوجود .»
«ولكن الأمر بالعكس فان المرأة ظلت راضخة لنير الرجل ولم تنل»
«ما نالته من حريتها فى اوربا الا بسعي الرجل نفسه ورضاه بتخفيف»
«الوطأة عنها كما هو شأن القوي اذا أراد ان يخفف عن الضعيف»
«المقهور له شيئا من أثقاله»

«اذا اسلمنا بهذا ولا مناص من التسليم به لانه عين الواقع وجب»
«علينا أن نبحث لنتبين كنه التفاضل بين الرجل والمرأة لندرك سر»
«انغلابها له ورضاها بسيطرته كل تلك المدة المستطيلة فنقول :»

«هل الرجل أقوى من المرأة جسما ؟؟ الجواب نعم»

«وهذه حقيقة لامرية فيها ألبتة . ولو سلمنا جدلا ان ضعفها»
«ناشيء من استكانتها للرجل الذي كثيرا ما حملها ويحملها أحكام عوائده»
«وتقاليده المضرة بصحتها فان أقل نظرة لحالتها الطبيعية من حيث»
«لوازم الانوثة وعوارضها ومن حيث الحمل والوضع والارضاع»
«واستغراق عواطفها فى الهيمنة على أطفالها وهي الأمور التي»

«يخلو منها الرجل بالمرة - قلنا أقل نظرة فى حالتها هذه التي يعدها»
«الفسيولوچيون أمراضا - تكفي لان نحكم بانها أقل من الرجل قوة ونشاطا»
«على أنا لا نسلم مطلقا كما قلنا بأن المرأة لو التي حبلها على غاربها»
«وتحررت من كل قيد يمكنها ان تلحق شأو الرجل قوة وشدة . والا»
«فهذه اناثى الحيوانات كلها تدلنا حالتها الحيوية دلالة صريحة على ان»
«الخالق جل شأنه خلق الاناث أضعف من الذكور فى كل الانواع الحية»
«لحكمة بالغة ومقصد عظيم . لكن اثباتنا بان الرجل أقوى من المرأة»
«جسما لا يفسر لنا خضوعها فى سائر أدوارها فان القوة العضلية»
«بمفردها لا تكفي للسيطرة والغلبة فى العالم الانساني والا لتغلبت»
«الوحوش على نوعنا الضعيف وأجلته عن الوجود من زمان مديد . فان»
«كثيرا من أنواعها أشد منه قوة وأقوى عضلا . ومع ذلك هو تغلب عليها»
«وقهرها بقوة فكره وسعة ادراكه . اذن وجب علينا ان ننظر فى هذه»
«النقطة الى وجهة اخرى فنقول :»

«هل المرأة اضعف من الرجل ادراكا ؟ »

«نقول نعم . وأحوال الشعوب الحاضرة والغابرة تؤيد هذا القول»
«بالشواهد العيانية فان كل الاعمال الاختراعية والاكتشافات العلمية»
«التي بنيت عليها سعادة الانسانية صدرت من الرجل دون غيره اللهم»
«الا بعض أمور صغيرة تمت على يد المرأة فى العصور المتأخرة ولكنها»
«غير ذات أهمية ولو جمع الملايين منها لما وازت فوائدها ما أحدثته الآلة»
«البخارية من التأثير العظيم فى أحوال المدنية»

« يقول قائل نسلم لك ذلك لانه عين الواقع ولكن لاتنس انه »
«نتيجة ظلمها وحرمانها من تغذية قوتها الادراكية بالعلوم والمعارف»
«التي تهيء الانسان للاشراف على دقائق الامور واستدرار منافعها .»
«فنجيبه بأن حالة المرأة نفسها تعارض هذا القول على خط مستقيم.»
«فانا نعلم ان نمو المدركة الانسانية كما يتوقف على الدراسة لمبادىء العلوم»
«الاساسية كذلك يستلزم العمل بها واجهاد النفس فى تنميتها واستزادة»
«مادتها وهو الامر الذي لا يتأتى الا بالانقطاع لها أو على الاقل بالتعرض»
«لمناشئها . وبالتأمل فى حالة الرجل والمرأة من هذه الحيثية نجدان الاول»
«بحكم الطبيعة متعرض لنفحاتها فى كل أدوار حياته فهو من المدرسة»
«الى مكابدة العمل ثم الى التعامل بين الناس سواء بالزراعة أو الصناعة»
«والتجارة وكلها مناشىء لتربية المدارك وتوسيع نطاق الملكات . بخلاف»
«المرأة فان الوظيفة التي نيطت بها من الحمل الى الوضع الى الأرضاع الى»
«التربية مع تدبير البيت تجبرها ان تصرف معظم حياتها فى الابتعاد عن»
«مصادر التغذية الفكرية . وبناء على هذا يستحيل عليها أن تبلغ شأو»
«الرجل فى سعة الادراك حتى ولو سلمنا (ولو ان ذلك مناف لابحاث»
«الفسيولوجيين) ان استعداد الجنسين لقبول المعلومات بدرجة واحدة.»
«ولا يغرنا مانسمعه عن بعض النابغات بأوروبا وأمريكا فى العلوم الطبيعية»
«والفلكية فانهن فضلا عن كونهن لم يبلغن شأو الرجال فيها على الاطلاق»
«جانيات على هيأتهن الاجتماعية بعدم ارادتهن الزواج الا بعد أن يشارفن»
«سن الهرم تقريبا . وبذلك فهن باشتغالهن بما لا ينفع وطنهن بشيء يذكر »

«يحرمنه مما يطالبهن به من الذرية الصالحة فان الواحدة منهن لو تركت»
«أشغالها الفلكية مثلا المديءة الجدوى ورضخت لحكم طبيعتها فتزوجت»
«وهي شابة لاستطاعت أن تهدي الجمعية بخمسة علماء من ذريتها يستطيع»
«الواحد منهم أن يؤدي أضعاف أعمالها مما يكون له أثر يشكر . نعم»
«ان عالمات العالم المتمدن يعددن جانيات في نظر علماء العمران لابتعادهن»
«عن الوظيفة الحيوية التي خلقهن لها الخالق عز وجل فقد ثبت بالاحصاء»
«ان المرأة العالمة لا تتزوج قبل أن يبلغ سنها الخامسة والاربعين كما روته»
«مجلة المجلات الفرنساوية . فقل لي بأبيك ما ذا ينتظر منها من النسل»
«بعد هذا السن وهل يستفيد الوطن من ابحاثها في علم الطبيعة أو السياسة»
«أو التشريع مثلا بقدر ما يخسره من حرمانها اياه من ذريتها التي ربما»
«نبغ فيها فيلسوف مثل چول سيمون أو طبيعي مثل هكسلي أو عمراني»
«مثل سبنسر ممن يفيدون الانسانية فوائد حقيقية ؟ هذه الحالة يشكو»
«منها الغربيون أنفسهم ويعدونها تداخلا من المرأة في غير شأنها واشتغالا»
«بغير ما هو مطلوب منها مما يبعد بها عن لوازم جنسها وقد لاحظ ذلك»
«الفيلسوف چول سيمون فقال ما معناه : اني لا أسر اذا كانت امرأتي»
«دكتورة فاني أود أن تكون المرأة مرأة وما ذلك الا لعلمه انها بدكتوريتها»
«في التشريع مثلا لا تستطيع أن تجمع بين دقائق القوانين ودقائق علم»
«التربية الذي يطلب منها ويعتمد فيه عليها»

« نتيجة ما تقدم ـ يظهر لنا من كل ما تقدم وليس بعد الحس دليل»
«ان المرأة أضعف من الرجل جسما وادراكا . أما جسما فلكونها معرضة»

«للوازم الانوثة وهي كما أثبتنا أمراض تهد القوى وتضعف البنية بشهادة»
« الاطباء . وأما ادراكا فلكونها بحكم وظيفتها من تدبير المنزل وتربية»
«اطفالها والتحفظ عليهم غير معرضة مثل الرجل لمناشىء تنمية القوة»
«الادراكية فتكون النتيجة اللازمة لكل هذه المقدمات ان المرأة لاتساوي»
«الرجل في كل حيثية انسانية وبناء على هذا ومع ملاحظة ناموس التغلب»
«يجب ان يكون الرجل صاحب السيطرة المطلقة عليها اذ لا سبيل لمعارضة»
«أحكام الطبيعة بالاقاويل . ولكن ذلك كله لايمنع من مطالبة الرجل»
«بالاعتدال فى تلك السيطرة واعطاء المرأة حقوقها فى حدودها المعتدلة»
«الحقة لا فى القاء حبلها على غاربها وتركها وشأنها تحت مؤثرات الحياة المدنية»
«التي كثيرا ما فتنت العباد والزهاد فضلا عن ربات القلائد والنضاد اه.»

وظيفة المراة ـ ظهر من ذلك ان للمرأة أعمالا غير ما للرجل ليست بالاقل اهمية من أعماله ولا بالادنى منها فائدة وهي تستغرق معظم زمن المرأة ان لم نقل كله : الرجل يسعى ويشقى ويكد ويتعب ويشتغل ليحصل على رزقه ورزق عياله . وامرأته ترتب له بيته وتنظف له فرشه وتجهز له أكله وتربي له أولاده وتلاحظ له خدمه وتحفظ عينه من المحارم . وهو يسكن اليها الخ . الخ ... قال بعضهم « وقع خالد بن يزيد بن معاوية يوما فى عبد الله بن الزبير يصفه بالبخل وزوجته رملة بنت الزبير أخت عبدالله حاضرة فاطرقت ولم تتكلم بكلمة مع زوجها فقال لها خالد مالك لاتتكلمين؟ أرضا بما قلته أم تنزها عن جوابي ؟ فقالت لا هذا ولا ذاك ولكن المرأة لم تخلق للدخول بين الرجال وانما نحن رياحين للشم والضم فما لنا والدخول

بينكم .... »

وروي عن اسماء بنت زيد الانصاري رضي الله عنها انها أتت للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت : « يارسول الله اني وافدة النساء اليك . ان الله بعثك بالحق للرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك وانا معاشر النساء محصورات قواعد فى بيوتكم مقضى شهواتكم وحاملات أولادكم وانكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعة وعيادة المرضى وشهادة الجنائز وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى وان الرجل منكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مرابطا حفظنا لكم أموالكم وغسلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفما نشاركم فى الاجر يارسول الله ؟ » فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجهه الكريم ثم قال : هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من هذه عن أمر دينها ؟ فقالوا يارسول الله ماظننا امرأة تهدى الى مثل هذا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم اليها ثم قال. انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك ان كل شيء حسن تفعله إحداكن لزوجها طلبا لمرضاته وابتغائها موافقته يعدل ذلك كله . فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشارا

وقيل ان رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكوا اليه سوء خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع الرجل امرأة عمر رضي الله عنه وهي تغلظ عليه بالقول وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل وهو يقول اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي ! فلما خرج عمر رأى الرجل موليا فناداه ماحاجتك ؟ فقال له سبب مجيئه وما سمع . فقال

عمر : « ياأخي اني أتحملها لحقوق لها علي : انها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي ويسكن قلبي بها عن الحرام » فقال له الرجل : « ياأمير المؤمنين وانا أتحمل زوجتي » .

أليس معنى ذلك أن الله خلق المرأة للرجل للملاذ الدنيوية وحفظ الشؤون المنزلية وأنه لم يخلق النساء لمغالبة الرجال ولا للآراء والسياسات ولو شاء لاعطاهن الشجاعة والبسالة والفتوة والشهامة مع ان الامر بخلاف ذلك . ولو أرادت المرأة أن تسلك مسالك الرجال وتتعود على تحمل ثقيل الاعمال لتساوي الرجل فى جميع أحواله وتضاهيه فى أقواله وأفعاله أفلا يكون ذلك منها خروجا عن الوظيفة التي خصصها بها الله سبحانه وتعالى ؛ لانه كما ان نظام الكون وسعادته قضيا بأن يخلق الناس أطوارا وبان أعمال الرجال يجب أن تكون مقسمة بينهم وبأن يكون لكل منهم وظيفة مخصوصة ينقطع لها فيتقنها فطائفة للسيادة وطائفة للسياسة وطائفة للعلم وأخرى للبأس والنجدة كذلك أراد الله أن يكون لكل من صنفي بني الانسان (المرأة والرجل) عمل مخصوص لا يتعداه والاحصل الخلط والتشويش . وبمجموع عمليهما تتم السعادة لكليهما .

ولا يظن ظان أن هذا التقسيم فى الاعمال تحكم من الرجال وان المرأة قابلة للقيام بكل عمل منزلي أو غير منزلي لافرق بينها وبين الرجل لانا اذا قطعنا النظر عن الانسان ورجعنا الى أنواع الحيوانات الاخرى التي لاتصنع عندها ولاتحكم لوجدنا أن الذكور منها أقوى بطشا وأشد بأسا وأقدر على العمل وأصبر على المشاق . وتأمل فى الطيور التي تطير

جماعات وتسبح فى البحار زرافات تجدها تسير تحت قيادة الذكور وتنام تحت حراستها وتنضوي تحت حمايتها وتجد الفرق بين الصنفين ظاهرا فى الرواء والحسن والبنية والقوة . واذا أمعنت النظر فى الحيوانات تجدها إما بيوضا وإما ولودا فالبيوض منها تقضي المدد الطوال فى تحمل البيضة ثم وضعها فى وكنة أو عش ثم احتضانها حتى تفرخ ثم تمهد فرخها الصغير وجلب الاقوات له حتى يقوى على الطيران والتحصيل . والولود منها تقضي زمنا أطول من ذلك في الحمل والفصال والرضاع والتمهد والمدافعة بحيث يشغلها ذلك عن كل شاغل .

ثم ارجع الى الانسان تجد هذا الفرق بذاته وتحكم ان المرأة كغيرها من إناث الحيوان تحتاج لان تقضي مدة من الزمان فى الحمل والوحم والولادة والرضاع وتمهد الطفل حتى يترعرع وينمو ثم بعد ذلك لا تخرج من العهدة بل تشارك زوجها فى تربيته وتعويده على العوائد والاعمال المطلوبة .

وهي فى كل ذلك لا ينبغي أن تكون مشغولة بغير ذلك من الاعمال الخارجية كالوظائف والصنائع الشاقة والزراعة والجندية لان أعمالها السالفة الذكر تحتاج الى السكون والاطمئنان وراحة الفكر . فقد ظهر لك ان الطبيعة التي فطر الله الناس عليها جعلت المرأة في حيز مخصوص وحددت لها أعمالا لا يمكن أن تكون للذكر فاذا حاول محاول تسوية المرأة بالرجل من كل الوجوه يكون قد حاول خرق سياج الطبيعة وتبديل السنة الفطرية: ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ولقد حصلت فى احد المجامع مناقشة بين عدة من فتيان وفتيات

فاخذت فتاة تخطب فى ان الرجال هاضمون حقوق النساء ولماذا لا تدخل المرأة فى الوظائف العامـة ؟ ولم لا يكون من النساء وزيرات ومديرات وقاضيات ونائبات ؟ ولم لا يشتغل الرجال ببعض الامور المنزلية ؟ فقال لها فتى من الحاضرين نحن مستعدون لتسليمكن كل هذه الوظائف ولكن على شرط أن تقمن بأعمال الجنود من حفر خنادق وبناء استحكامات ومكافحة وقت اشتعال نار الوغى واستخراج فحم ومعادن من المناجم ومباشرة حرث وزراعة فى الغيطان وبناء جسور على الانهر وحفر ترع وغدران . فقالت الفتاة : في الامكان ان نقوم بهذه الاعمال اذا لم نتزوج ونحمل ونلد . فقال : اذا كان غرضكن أخذ هذه الوظائف مدة ثم قيام الساعة بعدها فانتظرن آخر الزمن !! . ولقد أيدت لنا ذلك المشاهدات الحسية فقد قرأنا فى مجلة أنيس الجليس الصادرة فى ٣٠ سبتمبر سنة ٩٩ ان عدد النساء المشتغلات في الولايات المتحدة بالفنون الجميلة والآداب قد زاد من سنة ٧٠ الى العام الماضي زيادة فاحشة واردفت ذلك بقولها : « ولكن يظهر انه كلما أمعنت المرأة فى التوسع بالفنون والعلوم زاد الرجال فى طلاقها وكان أكثر ذلك فى الولايات المتحدة فان الطلاق يمتد فيها الى حد غريب غير موجود فى هذه البلاد الاسلامية وسواها . »

هذا ولقد ثبت لعلماء العمران ان توزيع الاعمال أقوى معارج التقدم والمدينة فاذا اشتغل النساء باعمال والرجال باعمال كان من وراء ذلك التقدم والنجاح . وناهيك بالفساد الذي نراه من الرجال الذين يتشبهون بالنساء والنساء اللاتي يتشبهن بالرجال . ولقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

كلا الاثنين وروي عن عمار بن ياسر عن النبي عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : الديوث والمترجلة من النساء ومدمن الخمر . » وفسر المترجلة بالتي تتشبه بالرجال .

وقد قضت الشريعة الاسلامية الغراء وقوانين غالب الممالك بقصر السلطنة والقضاء والامامة على الرجال دون النساء . وليس عدم استخلاف النساء وتقليدهن هذه المناصب لعدم وجود من يصلح لذلك فقد قال عروة بن الزبير لذكوان : « لو طابت إمرة لامرأة بعد النبوة لاستحقت عائشة الخلافة » اذا لماذا ذلك وكلنا نسلم ان الشريعة السمحة لم تأت حكما عبثا بل لا بد لكل مبدإ قررته من حكمة مقبولة معقولة ؟ أليس ذلك لكون النساء يوصفن بالنقص عن الرجل فى مهمات الامور الحسية والمعنوية ؟ على أن من تقلد منهن الملك فى الممالك المبيحة لذلك وأفلح فلم يكمل له الفلاح . واذا كمل له فهو من النادر الذي لا حكم له ومع ذلك يكون معظم الفضل ان لم يكن كله للرجال الذين يدبرون الملك فى عهدهن

هذا وقد أجمع علماء التوحيد على ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا من النساء مع كونه بعث ما لا يحصى من الذكور : « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » فاذا كان الله سبحانه وتعالى جعل تدبير امور الجمهور وتنظيم الشرائع والقوانين والوساطة بينه وبين عباده بيد الرجال ولم يجعل للنساء فى ذلك نصيبا فأي امرأة تقصد بعد ذلك ان تتعدى طورها وأي رجل يريد أن يساعدها على ذلك يكونان قد اعترضا على حكمة الباري وخالفا الشرائع السماوية ومن لم يعتقد بالشرائع السماوية فلا كلام لنا معه ولا جدال .

اقرار بعض علماء الافرنج والسيدات انفسهن

« بأن المرأة لايلزم ان تتعدى وظيفتها »

وهذا هو رأي كثيرين من علماء أوروبا كما علمنا مما سبق ايراده ونزيد عليه ما يأتي :

كتب العلامة الشهير والفيلسوف العمراني طائر الصيت چول سيمون الذي عدد مآثره أمبراطور المانيا على رؤوس الاشهاد مقالة فى مجلة العلماء عن المرأة الاوروبية وسوء تأثير التربية الافراطية عليها وعلى مجتمعها برهن فيها على ان الحقوق التي تنتحلها المرأة المتمدنة لنفسها خروج عن الحد وغلوّ كانت نتيجته وخيمة للغاية وشدد النكير كثيرا على اشتغال النساء خارج بيوتهن ومزاحمتهن للرجال فى الاعمال عادًّا ذلك مقوضا لبناء المدنية مفسدا للنظامات العائلية واستطرد فى الكلام الى أن قال : « المرأة التي تشتغل خارج بيتها تؤدي فى الحقيقة عمل عامل بسيط ولكنها لاتؤدي عمل امرأة » ثم قال: « النساء قد صرن الآن نساجات وطباعات الخ وقد استخدمتهن الحكومة فى معاملها . وبهذا فقد اكتسبن بعض دريهمات ولكنهن فى مقابلة ذلك قد قوضن دعائم عائلاتهن تقويضا . نعم ان الرجل قد صار يستفيد من أجرة امرأته ولكن بازاء ذلك قد قل مكسبه لمزاحمتها له فى عمله » ثم قال : « وهناك نساء أرقى من هؤلاء يشتغلن بمسك الدفاتر وفى محلات التجارات ويستخدمن فى الحكومة كمعلمات وبينهن عدد عديد فى التلغرافات والبوستة والسكك الجديدية وبنك فرنسا

والكريدي ليو نيه ولكن هذه الوظائف قد سلختهن من عائلاتهن سلخا . »
ثم اطنب في مضار ذلك وختم فصله بقوله : « يقول بعض الفلاسفة ان الحياة محفوفة بالمكاره ولكنهم ربما قالوا ذلك لانهم لم يذوقوا طعم الحب طول عمرهم . أما أنا فاقول : ان الحياة طيبة هنيئة بشرط ان يلزم كل من الرجل والمرأة المحل الذي خصصه الله تعالى لكل منهما . » اه

هذا ماقاله ذلك الفيلسوف وقد عرفنا من هو فلا يصح ان نضرب بقوله عرض الحائط . ولنلتفت الآن الى ماقاله مستر (لوسن) الكاتب الاميركي الشهير فى مجلة المجلات التي هي أشهر مجلات العلم فى العالم (مجلد ٢٥) عن المرأة الاميريكية وما آل اليه أمرها : وصف هذا الكاتب الحر المرأة الاميريكية وصف رجل لا يغره الظاهر المموه ولا تغشه خضراء الدمن مما يجب على الشرقي ان يتدبر فيه ويستفيد منه ليتخذه عبرة تزعه عن التقليد عن غير روية . قال جنابه بعد كلام طويل : « أما المنزل فيثير لهن ضجراً لا يستطعن اخفاءه لانهن فى الحقيقة لا يردن ان يكن ربات عائلات بل يردن ان يكتفين بانفسهن مع انهن لا يستطعن ان يفقدن كثيرا من الزمن لا في الخياطة ولا فى المطبخ » ثم قال : « فالمرأة الاميريكية لا تقرأ ولا تحفظ بل ولا تفتكر فى شيء كما يجب : أما معظم شغلها الشاغل فهو التزين والتبرج فتراها تعتمد على ظرافتها وجمالها لكي تسلب فؤاد حامل الدولارات (الريالات) الذي يعطيها الحق فى ان تصرف كما تشاء لتبل أوام مابها من البذخ والترف » ثم قال بعد ان سرد لها مساوي كثيرة : « هذه الحالة النفسية شديدة التهديد لمستقبل المنصر

الاميركي قدوصفتها بدون غلوّ ولا تقصير حيث لم أكتم شيئا ممايتعلق باستقصاء هذا الداء الدوي . » اه ملخصا من مقالة لحضرة فريد أفندي وجدي نشرت بالمؤيد الاغر بعنوان (نصيحة للباحثين فى تهذيب المرأة)

هذا وقد نقلت الينا جريدة الاهرام الغراء فى عـددها الصادر فى يوم ١٩ سبتمبر سـنة ١٨٩٩ من مقالة افتتاحيـة عنوانها (المتكلنزون وحكم انكليزي عليهم) خطبة لذلك الانكليزي وهو الفيلسوف الشهير المستر «بضلى» اختتمها بذمه انتشار مذهب حقوق النساء السياسية فى انكلترا ونصح لفرنسا أن تتجنب هذا الخطر . وفهم بعض السيدات الانكليزيات أنفسهن ان وراء مذهب حقوق النساء ما وراءه من الخطر على المجتمع الانساني فقامت من بينهم العالمة « مس فرنسيس لو » وناهيك بالمرأة الانكليزية علما وتربية ونشرت فى مجلة القرن التاسع عشر رسالة اختتمتها بما يأتي كما عربتها لنا جريدة الاهرام الغراء فى عددها الصادر يوم ٩ ستمبر سنة ١٨٩٩ قالت بعد ان ذكرت أعمال المؤتمر الذي عقده بعض النساء بلوندرة فى فى هـذا العام :

« ان مؤتمرا كالذي تقدم ذكره يؤدي الى زرع المداوة والبغضاء بين »
« الجنسين اللذين يتألف منهما النوع الانساني لان كلا منهما قد وهبه الخالق »
« عز وجل صفات ومزايا خاصة تمكنه من القيام بالعمل الذي أرصدته له »
« الطبيعة على مبدإ التعاون والتناصر فلذلك كان كل مسعى الى تحقيق »
« سعادة أحدهما دون النظر الى سعادة النوع كله سعيا خبيثا يؤيده رأي »
«فائل وأمل باطل . وكأن المؤتمر بذلك يدل على ضيق مداركه وخطل آرائه»

« وقلة فطنته لانه يسعى الى خلط النابل بالحابل وتشويش نظام الجمعية »
« البشرية كلها وقلب شرائعها الالهية وقوانينها المدنية الانسانية رأسا »
« على عقب : وما كان أحراه أن لا يلتئم له شمل اذا كانت هذه هي الغاية »
« التي يسعى اليها والمبادىء التي يعول عليها .... » اه

واتماما للفائدة نورد هنا أيضا ما كتبه فى هذا الموضوع حضرة فريد أفندي وجدي ضمن مقالته السالفة الذكر قال:

﴿هل للمرأة أن تشتغل باشغال الرجال﴾

« نحن اذا عرفنا حقيقة المرأة من أنها ذلك الكائن الانساني الذي أعدته »
« العناية الالهية لحفظ النوع البشري واستدامته ووهبته سائر الخصائص »
« والمواهب التي يقوى بها على أداء هذه الخدمة . ثم أدركنا جيدا ان هذه »
« الخدمة لاجل أن تؤدى كما يجب تستغرق جل أوقات المرأة علمنا بدون »
« أدنى شبهة ان المرأة لم تخلق لتتعاطى أشغالا خارج بيتها الذي يأوي اليه »
« صغارها المحتاجون في كل لحظة للعناية والملاحظة . ثم تحققنا تبعا لذلك ان »
« القاء المرأة بنفسها فى معترك الحياة الخارجية هو تعد منها لحدودها الطبيعية »
« ويجب أخذ جميع الوسائل الفعالة دون انتشار ذلك التعدي بالطرق »
« الحكمية الحافظة لسعادة الهيئة الاجتماعية . هنا يمكن ان يعترض علينا »
« المعترضون قائلين : ألم تر تلك الشعوب الافريقية والاسيوية مثلا كيف »
« تشتغل النساء مع الرجال كتفا لكتف ولولا ذلك لما استقام لسكان »
« تلك البلاد معيشة ؟ نقول نعم كل ذلك صحيح وهو مظهر من مظاهر »
« أسر الرجل للمرأة وأثر من آثار حرمانه اياها من حقوقها الطبيعية »

«شأن القوي مع الضعيف . ونحن فى مجال لايجوز لنا ان نتخذ حال»
«الهمجية دليلا على نظرياتنا العمرانية ولو دقق المعترضون النظر لرأوا»
«ان السبب الرئيسي لتأخر تلك الشعوب فى ميادين المدنية هو اشتغال»
«المرأة بغير وظيفتها وإلزام الرجل لها بترك أولادها تحت رحمة الصدف»
«والمقتضيات الطبيعية وهي غير كافية لابلاغ الانسان كماله المرجوّ له»
«والذي خلق لاجله ولذلك فان جهابذة علماء العمران يعتبرون طروّ»
«عادة الاسترقاق على مابها من فظاعة مبدأ من مبادىء الرق البشري»
«لأن حدوثه خفف عن عاتق المرأة أثقالها ووهبها من الدعة والراحة»
«مايسمح لها بتنمية قوتها العقلية وتربية أولادها نوعا ما . هذه حقيقة»
«عمرانية يمكن الاصطلاح عليها فى كتب علم الاجتماع البشري . اذن»
«لم يبق علينا الآن الا ان نثبت أن الحياة المدنيـة تنافي تعاطي النساء»
«أشغال الرجال . وهل لدينا دليل أصدق من الاستناد على مشاهدات»
«علماء العمران فى هذا الشأن : »

« قال الاستاذ (فريرو) البحاث فيأحوال الانسان وتطوراته : انه »
« يوجد فى انجلتره كثير من النساء اللواتي يتعاطين أشغال لرجال ويتركن »
« الزواج بالمرة وأولاء يصح تسميتهن بالجنس الثالث أي انهن لسن برجال »
«ولا بنساء لمنافاتهن للاول طبيعة وتركيبا وللأخريات وظائف وأعمالا . »
« وقد درس هذا الاستاذ أحوالهن درسا مدققا فوجد أنهن بتركهن الزواج »
« وانتزاعهن أنفسهن من وظائفهن الطبيعية كالامومة ومايتبعها قد تغيرت »
« أحساساتهن عن أحساسات بنات جنسهن وصرن فى حالة من الكآبة »

« تشبه أعراض الماليخوليا . فكأن الفطرة البشرية تقيم عليهن الحجة على »
« إغفالهن حقوقهن . ثم قال: « وقد ابتدأ علماء العمران يشعرون بوخامة عاقبة »
« هذا الامر المنافي للسنن الطبيعية فان هاته النسوة بمزاحمتهن للرجال صار »
« بعضهن عالة على الجمعية لا يجدن ما يشتغلن به ولو تمادى الحال على هذا »
« المنوال لنشأ منه خلل اجتماعي عظيم الشأن . » هذا موجز ما كتبه ذلك »
« الاستاذ ومنه يتضح للقارئ اللبيب وجوب الحذر من تمهيد السبل امام »
« النساء لتعاطي أشغال الرجال بالوسائل العادلة الكافلة لراحة الجنسين »
« وليس ذلك بالعزيز علينا لو وقف بعضنا نفسه كما هو حاصل في اوروبا »
« على درس دقائق علم الاجتماع وارشاد الحكومات لما يرونه أضمن لحفظ »
« أجزاء الهيئة الاجتماعية . » اهـ

اذا تقرر ذلك وعلم ان المرأة أضعف من الرجل وان الرجل راعيها وأن لها عملا مخصوصا محدودا لا يصح ان تتعداه فكيف يطلب منا ان نسوي بين من لم يسوّ الله بينهما ونخالف حكمته ؟ أليس الله هو الذي جعل حظ الرجل مثل حظ الانثيين ؟ أليس هو كذلك الذي جعل شهادة الرجل الواحد تعدل شهادة امرأتين ؟ وليت شعري ما ذا يقول الشرقي المسلم بعد أن يتدبر أقوال علماء العمران السالفي الذكر : أيصح أن يصر على فكره الاول من ضرورة احتذاء المرأة الشرقية شاكلة المرأة الغربية أم يلزمه أن يتخذ هذه الاقوال عبرة ويجعلها وأمثالها نصب عينيه لتتمكن من وضع قاعدة حكيمة لتربية نسائنا على موجبها كي ينتجن النتيجة التي ينتظرها منهن كل محب لبلاده وجامعته الملية . ودينننا فيه والحمد لله الكفاية للحصول

على ذلك كما ترى فى الباب الثاني من هذا الكتاب . واذا كنا نريد بالنساء المسلمات خيرا حقيقة ورفقا فما علينا الا أن نتبع ما جاء فى كتاب الله العزيز وفى أحاديث نبيه الهادي الى الطريق المستقيم فانهما مع هذا الفرق بين الرجل والمرأة فى التركيب الطبيعي وفى الطبائع والحقوق ومع تقسيم العمل والوظائف بينهما قد حثا على حسن معاملة النساء والرفق بهن والاستيصاء بهن خيرا بآيات وأحاديث مسطورة فى كتب السنة المعتمدة . وكما جعل الله سبحانه وتعالى حقوقا للرجل على المرأة طالب الرجل بما لا يقل عن تلك الحقوق بالنسبة لامرأته كما هو معلوم أيضا لتتوفر أسباب السعادة والوفاق بينهما .

على أن من أنصف سلم بأن المرأة عند أغلب المسلمين الآن وقبل الآن هي صاحبة الامر والنهي في بيت زوجها والقول قولها . وكم من رجل لا يمكنه أن يبدي أي رأي أو يعمل أي عمل الا بعد أن يشاور زوجته وان يكن في قلبه من مشوراتها حسرات وغصص لجهالته المترتب عليها طبعا جهالتها . ولنختتم هذا الباب بذكر ما نتج عن تحرير المرأة فى أوروبا ليتحقق لذي عينين ان كان يليق بنا أن نقتدي بالاوروبيين في ذلك أم لا :

﴿ ماهي نتائج تحرير المرأة في أوروبا ﴾

قال حضرة فريد أفندي وجدي تحت هذا العنوان : لا نظن ان «المرأة قاست من آلام الاسر فى بلد مثل ماقاسته فى أوروبا من أول» «أدوارها لغاية القرن السابع عشر . ونحن هنا لا نود ان نتوسع فى بيان» «الفظائع التي كانت تعامل النساء بها فى تلك البلاد الغربية . ولكنا نقول» «اجمالا ان المرأة كانت هنا لك تعد من ضمن العجماوات سواء بسواء . بل»

« وربما كانوا يكرمون العجماوات أكثر منهن في بعض الاحوال . »
« فان أمامنا الآن من أخبار القرون الوسطى انهم كانوا يحرمون على المرأة »
« أكل اللحوم ويجبرونها على ملازمة المآكل النباتية كما يمنعونها من الضحك »
« والكلام . ولكننا لم نر من أخبار تلك القرون أنهم حرموا على الهرر تناول »
« اللحم أو حرموها من اللعب والقفز أمام من يقتنيها . نعم بلغ أسر المرأة »
« في الغرب الى درجة وحشية جدا حتى تطرف كثير منهم وزعموا ان المرأة »
« ليست من نوع الانسان بل هي من نوع وسط بين الحيوان والبشر . »
« والف أحد علمائهم في ذلك كتابا سماه هل للمرأة نفس ولكن لما ترقت »
« المدارك ولطفت الاحساسات أدرك الرجل شدة هضمه لحقوق المرأة »
« فأخذ في اطلاق العنان لها شيئا فشيئا وساعد على ذلك فشو الالحاد في »
« بعض الطبقات تحت آثار التعاليم المادية التي انتزعت منهم كثيرا من »
« الكمالات الانسانية فمالت النفوس الى الشهوات البهيمة واستلزم ذلك »
« التغاضي عن تبرج النساء فقوي شأنهن تدريجا حتى قمن في السنين الاخيرة »
« (تحت حماية الرجل) يؤلفن الجمعيات للمطالبة بحقوقهن المهضومة التي »
« تخولهن على زعمهن التربع في دسوت الوزارات وتقلد المراكز السياسية »
« لقيادة الشؤون الاجتماعية . وليت الامر وقف عند هذا الحد بل سرى »
« فساد الاخلاق اليهن سريانا يخجل الكاتب من سرد وقائعه الشائنة »
« وتعداد حوادثه المخجلة »

« ألم تر ان المرأة التي كانت محرما عليها أكل اللحم صارت تشاطر الرجال »
« في الجلوس على المنتديات العمومية ؟ ألم ترها بعد ان كانت محجورا عليها »

« غير الصلاة وطاعة زوجها طاعة عمياء قدصارت الآن تحسو بنت الحان »
« على رؤوس الاشهاد حتى لاتجد فى ساقيها قوة توصلها الى بيتها الذي فيه »
« صغارها فتطرح تفسا على أفاريز الطرقات وهي سكرى لاتستطيع »
« حراكا فيحملها رجال البوليس لتبيت فى الضابطة . فقد دل الاحصاء فى »
« بعض البلاد المتمدنة على ان البوليس يجد فيها سنويا مايزيد عن العشرة »
« آلاف امرأة ملقاة فى الطريق ثملا . وليتهن وقفن عند هذا الحد المدهش »
« فان بعض المتعلمات منهن قد فقدن فضيلة الحياء لدرجة صرن يؤلفن »
« الكتب ينددن فيها بعادة الزواج مدعيات انها من آثار الوحشية الاولى »
« قائلات ماهذه العادة السيئة التي تحرم المرأة من التمتع بابلاغ عواطفها »
« الحيية مشتهياتها ؟ ماهذه التقاليد التي تربط المرأة بالرجل ارتباطا دائما »
« فتجبرها على ملازمة رجل قبيح فى عينها لرؤيتها من هو أجمل منه ؟ ماهذا »
« الرباط الحديدي الذي يمنع المرأة من ان تنصاع لاميال فؤادها السريع »
« التقلب الكثير الاحساس بالانفعالات المختلفة ؟ كلا . يعار على الهيئة »
« الاجتماعية ان تذر هذه التقاليد القديمة حية للآن ويجب على ربات الجمال »
« ان يبذلن وسعهن للتخلص منها بكل الطرق الممكنة . هذه كلها مقولات »
« بعض المتغاليات من نساء العالم المتمدن وهذه الحالة قد أقامت علماء العمران »
« وأقعدتهم وجعلتهم يتوقعون انهدام عظمة أوروبا بيد المرأة الضعيفة اذا »
« لم يتوصلوا الى ايقافها عند حدها »

« قال المسيو (جان فينو) مدير مجلة المجلات في فصل ذكر فيه غلواء »
« النساء فى الحرية والمصائب التي جرتها على المدنية: « نقول بغاية الاسف »

«ان المرأة التي بواسطتها تهذبت أوروبا ستكون هي نفسها هادمة تلك المدنية»
« الزاهرة بيديها بازاء هـذه النزغات فان عقلاء القوم لا يدرون كيف»
« يوقفون سير هذا التيار الشديد الاندفاع الذي ابتدأ يجرف أمامه كل»
«الكمالات الاخلاقية التي بنيت على أساسها عظمة العالم المتمدن . »
« قال الكاتب الشهير (جول بوا) بعد سرده مساوي المرأة فى بحبوحة »
« الحرية : « وبانتظارنا على هذه الحالة ستثنينا المرأة تحت سلطة جرائدها »
« وصناعتها وفلسفتها التي لم تحسن استنتاجها للآن . فترى أفكارنا قد تشبعت»
« باخلاقها السامة التي تبعث النفوس الى البذخ البالغ حد الجنون والسفه . »
« فهي لا تفتأ تحبب الينا البطالة وقلة النظام وتبرهن لنا على انه يجب على »
الانسان ان يتسفل في أمياله لكي يصل الى معالي الامور . » هذا قول»
« كاتب من فطاحل كتابهم ومايقوله غيره فى هذا المعنى لا يدخل تحت »
« الحصر فلا لزوم للاستزادة منه فى هذه العجالة . ولا يحسبن القارىء ان هذا»
« ناشىء من حسد الرجال للنساء على ما نلن من حرية فان عقلاءهن أيضا قد »
« أدركن هذا الفساد ووخامة عاقبته فقمن ينصحن لاخواتهن بالاعتدال »
« والتوسط فى أمورهن ولا يتأخرن عن اظهار مايختلج بضمائرهن لمن »
« يسئلهن عن آرائهن . واليك معنى ماقالته احدى العاقلات للمسيو (جول
« بوا) بعد ذكرها أحوال النساء : هذه الحالة هي مهواة جنس من »
« الاجناس ونهاية جيل من الناس لم يفكروا الا في شهواتهم البهيمية حتى»
« انتهى بهم الامر الى حد اليأس المهلك . الى ان قالت : « ان داء الضجر»
« العضال ينتابنا معشر النساء المتبرجات جميعا وان اذكانا تدرك ساعة هدوها»

«انها غير صالحة لشيء ما . أرح نفسك فانا ستتلاشى بهدو وسكينة بدون»
«مقاضاتنا أمام العدالة وان كل مالنا من جمال ورواء سيصير أثرا بعد عين .»
«هذه شهادة امرأة عاقلة على بنات جنسها ممن يتغالين في الحرية والترف .»
«فهل بعد هذا يجوز لنا ان نحتذي حذو أوروبا فى هذا الشأن الخطير ؟»
« أليس يجب علينا بعد هذه المشاهدات ان ندرس هذه المسألة جيدا ليتضح»
«لنا مثار الفساد الذي جرته أوروبا على نفسها ولم تستطع ان تصدم تياره»
«بما لديها من وسائل وحكمة ؟ نعم ان هذا من أوجب الواجبات علينا .»
«قبل ان نخطو خطوة واحدة فى سبيل إعطاء المرأة حقوقها لان العاقل»
«من يتعظ بغيره .» اه

واذ قد علنا ماهي المرأة وماهي حقيقة وظيفتها وانها راعية على بيت زوجها حافظة لاموال مربية لاولاده فلنبحث الآن فيما يلزم أن تكون متخلقة به وفيما يلزم أن تتعلمه لتؤدي وظيفتها المطلوبة منها خير تأدية فنقول:

الباب الثاني

﴿ماينبغي أن تكون المرأة متخلقة به . ويدخل فى هذا المبحث﴾
﴿ماهية التربية الصحيحة وطرق الوصول اليها .﴾

﴿ الفصل الاول ﴾

تمهيد — تسليم الكل بوجوب التربية — حالتنا الحاضرة
في التعليم والادب — مداواة الحالة الحاضرة

تمهيد ـ من المعلوم المقرر انه متى صح التواد بين الزوجين توفر

الهناء وتمت السعادة وتبودل الاحترام بين جميع أفراد العائلة وساد الوفاق وامتنعت أسباب الشقاق وكان الامر بينهم شورى . فما أحسن الزوجين المتمتعين في منزلهما بالسعادة والهناء وبحسن ادارة المنزل وما أحسن الزوج الذي يحسن ارضاء زوجته والزوجة التي تحسن ارضاء زوجها

ومعرفة ارضاء أحد الزوجين للآخر فن دقيق لانه يستدعي كمال التربية واعتياد كل من الزوج والزوجة على تحسين أحوال المنزل المشترك بينهما وتنظيمه وترتيبه بقدر ما يمكن ومعرفة الاعتناء بالوسائل التي تستدعيها الصداقة بين الزوجين لاشتراكهما في المنفعة العمومية . فروابط الوداد الاكيدة بين الزوجين يتولد منها ثقة عظيمة في أفعالهما وأقوالهما وجمع قلوب بعضهما على بعض فيكون كل منهما قوي الوداد شريف الفؤاد . فاذا حصل التناسل والذرية تأكدت هذه المحبة التي قضت بثبوتها الزوجية واقتدى الاولاد بالوالدين في المحبة المتبادلة وفي الاشغال المنزلية الموجبة للعمران .

وكان نساء السلف اذا خرج الرجل الى عمله يقلن له : « اتق الله ولا تكسبن الا من حلال فانا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار . » وهمَّ أحدهم بالسفر فقال جيرانه لزوجته : « لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق : يذهب الاكال ويبقى الرزاق) هذه عبارات لو نظرها الانسان بعين الانصاف لوجدها صالحة لان تشرح بمجلدات تقوم عليها دعائم السياسة ونظام الملك

تسليم الكل بوجوب التربية ـ لذلك اهتم كل الامم بتربية البنين والبنات وتهذيب أخلاقهم . ووجوب التربية أصبح مسلما به من العموم ومن

البديهيات التي يعترف بها كل قاص ودان . ومع ذلك كثرت المباحثات واشتغل العلماء والافاضل فى هذا الموضوع لا لاثبات لزوم ذلك بل لبث الرغبة أو الرهبة أو كلتيهما فى الناس لأن حب الخير وحده ليس كافيا فى سعادة الامم بل لا بد من العمل هدانا الله اليه .

ولم يقتصر الاسلام في ذلك كما يظن خصومه الذين يدعون أن لا تربية عند المسلمين خصوصا للبنات إما تعنتا لغاية فى النفس يريدون قضاءها أو جهلا منهم بأحكام الشريعة الغراء خصوصا ما يتعلق منها بمكارم الاخلاق وأحكام المعاملات بجميع أنواعها فيغترون بما يشاهدونه من سوء الاعمال وفساد الاخلاق وخرق سياج المروءة بما تأباه الانسانية فيظنون ان هذه المنكرات مقتضى الشريعة الغراء وصريح القرآن الكريم ويستنتجون من ذلك ان الدين الاسلامي الذي فيما يظنون هو هذه المنكرات انما هو امارة الدمار والموءذن بالبوار وانه عنوان الخراب وأبعد الاشياء عن نظام الممالك وعمران البلاد الى آخر مايرمونه به مما هو منه براء

وليس الغريب جهل هؤلاء القوم أو عنادهم انما الاغرب منه مانشاهده من بعض جهالنا الذين يكادون ينكرون البديهيات اذا قالها القرآن ويذعنون للمستحيلات متى عزيت الى المسيو والمستر فلان . . . . . ولله فى خلقه شؤون.

ومن نظر بعين الانصاف وجد ان فى الشريعة الاسلامية من الحث على علو الهمم وكسب المعدوم وطلب المعالي والتنزه عن سفاسف الامور وعن ان يكون المرء عالة على الناس مالا يسعه هذا الكتاب . وكذلك فيها من آداب سنية وأخلاق زكية تضمن اصلاح النفس والجسم وحسن

التربية والاخلاق مايكفي لعمارة الممالك وضمان السعادتين الدنيوية والاخروية. وكان السلف يعودون ابناءهم عليها فيشبون عليها فيأخذها عنهم أبناؤهم وبذا أصبحت الدنيا لهم ولم تول عنهم الا يوم تولوا عن الدين وحادوا عن مبادئه ولم يأتمروا باوامره ولم ينهوا بنواهيه . يوم أهملوا تربية الاولاد التربية الحقة. التربية التي يقتضيها الدين. التربية الصحيحة التي تنطبق تمام الانطباق على أحكام القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . يوم دهمتنا المدنية الغربية على فجأة بعد ان هبطنا من عظمتنا الاولى وظللنا قروناعديدة تتوزعنا الفتن وتتقاسمنا الاحن فاحدث لدينا ذلك الانقلاب الفجائي دوارا اجتماعيا جعلنا نتخبط في سيرنا ونضطرب في أعمالنا على غير هدى.

يوم دهمتنا المدنية الجديدة على مابها من بهجة ظاهرية فظننا ان ذلك منتهى مايدركه الانسان من الكمال فالقينا أنفسنا في مضمار التشبه والتقليد وتسابقنا في باحات التكيف بما توهمناه أصولا لذلك الكمال البشري فهبطنا الى دركة أدنى مما كنا فيها وأي هبوط .

يوم جهلنا ان الذي جاء به الاسلام من الاحوال والاحكام هو الذي مدن بلاد الدنيا على الاطلاق، وانبعثت أنوار هديه في سائر الآفاق، أيام كان الناس عاملين باحكامه فنبذنا أصوله وانقدنا لاهوائنا وأهواء غيرنا فكان جزاؤنا ما أصبحنا فيه من الفشل والاختباط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتيتكم بشريعة حنيفية بيضاء لم يأت نبي قبلي ولو كان أخي موسى وسائر الانبياء في زمني لم يسعهم إلا اتباع شريعتي»

فاذا كنا نريد اصلاحا حقيقا لمجتمعنا فما علينا الا ان نبني كما كانت اوائلنا

تبني ونفعل مثل مافعلوا ونعمل على تربية أبنائنا تربية صحيحة حتي يأتي يوم نعيد فيه اذا استطعنا مجد آبائنا ونحصل على السعادة الداخلية والخارجية والهناء فى الدارين .

وحيث كان الاطفال ذكورا وإناثا محتاجين للتربية ـ لانه لا يوجد أحد يسلم بان التربية الحاصلة الآن للذكور كافية وكافلة لتخريج رجال يصح ان يكونوا للنساء مربيات التربية الصحيحة التي ندعو اليها ويأمر بها الدين ولا ان يكونوا آباء يهذبون ويقومون أخلاق أبنائهم ويربونهم تلك التربية المطلوبة ـ فلذلك وجب علي كل من يرغب فى تحسين حال البلاد ويغار على امته وملته ووطنه ان يسعى جهده فى الوصول الى هذه الغاية . وياليت اللجنة أو الجمعية التي أشارت الى تشكيلها الجرائد لتحرير المرأة الشرقية تقوم وتتشكل لتبحث فى ايجاد انجع الطرق وأسهلها لتربية البنات والبنين معا التربية الصحيحة الاسلامية . وياليتنا جميعا نقوم من غفلتنا ونهب من رقدتنا بعد ان صرنا فى حالة من الجهالة وفساد الاخلاق يرثي لها العدو قبل الصديق فنعمل بما يفرضه علينا ديننا ونقوم بما علينا من الواجبات لابنائنا . ولا غرو فالسبب الاصلي فى كل هذا البلاء ملقى على عواتقنا وعواهننا ونحن مسئولون أمام الخالق سبحانه وتعالى عن تركنا ابناءنا منذ نشأتهم ضحية للتغيرات الجوية والتقلبات الوسطية والاضاليل والترهات القولية بدون مراعاة أي ناموس من نواميس التربية الصحيحة . ولعمر الحق ماذا عملنا ؟ قصرنا عن ايجاد نسل صالح للعمل عقلا وجسما !! اطلقنا العنان لاطفالنا وهم بين حجورنا في الكسل والرخاء والتنعم والترف وغيرها من العوامل التي تنتزع من النفس

سلطات المروءة والنخوة فترتب على ذلك انه انطبع فى جوهر مخهم تلك المبادىء الفاسدة ونمت مع تلك العيوب التي تشربوها فى صغرهم !! غفلنا عن كل ماهو فى مصلحتنا. واهملنا تربية اولادنا فاصبحت حالتنا فى التعليم والآداب كما يعلمها الكل ولا ينازع فيها أحد غير ملاءمة لمصلحة الامة من كل وجه وخصوصا المسلمين منهم بعد ما أغفلت الحكومة العناية التي كانت لها قبل بامور الدين !! أصبحنا فى حالة الاملاق والحقارة : لا اقدام . لانشاط . لا فضيلة. نخبط خبط عشواء !! أصبحنا متفانين فى استهلاك شرفنا وثروتنا وجسمنا وعقلنا وكل فرد منا يشكو لاخيه تقهقره وسوء حاله ويلقي تبعة ذلك على غيره ولا يدري انه أول الناس في اهمال واجبه الاقدس !! وكثيرا ما ترى المتنور منا يصف لك العلاج الشافي وصفا جيدا ولكنه لايجربه لنفسه . واذا لاحظت عليه ذلك أجابك لسان حاله بقول القائل:

فخذ بعلمي ولا تركن الى عملي * ينفعك علمي ولا تضررك أوزاري

وما ذلك وايم الحق إلا خطأ محض فان النصيحة لا يكون لها تأثير حتى تصدر عن حر الطبع نقي الصنع بالفضائل بصير عامل بما يقول .

﴿حالتنا الحاضرة فى التعليم والادب﴾

أما كفانا عاراً أن تكون آدابنا على ماbينا وعلى ماجاء بجريدة المقطم الاغر فى عددها الصادر فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٩٩ بعنوان آداب الامة عنوان مجدها ولما احتوته هذه المقالة من فوائد جمة فى هذا الموضوع ننقلها بلفظها . قالت

«لا نكاد نسمع بأمة بلغت ذرى العلياء حتى أنافت على السماكين»

« منزلا الا كان الادب لها رائدا ونريد بالادب هنا معناه اللغوي أي ما »
« يحترز به عن جميع أنواع الخطأ أو هو ملكة تعصم من قامت به عما »
« يشينه كما عرفه صاحب المحيط فهو صولجان كل مملكة . وتاج كل رئاسة . »
« وفخر كل أمة. بل هو الدعامة الكبرى فى نجاح كل أمة وتقدمها »

« وهذا الكاتب الفرنسوي الشهير المسيو ادمون ديمولان عند »
« ما حاق بامته من التأخر والانحطاط بالنسبة الى الامة الانكليزية جارتها »
« أعمل فكرته وأجهد قريحته حتى وقف على أسباب ذلك التأخر فجمعها »
« فى كتاب ونشره على أمته تنبيها لها من غفلتها وايقاظا من رقدتها وهو »
« الكتاب المشهور بسر تقدم الانكليز الذي ترجمه حضرة العالم الفقيه »
« والمنشىء البليغ أحمد بك فتحي . ولقد وجد هذا الكاتب الشهير بعد »
« البحث الدقيق ان السر فى نجاح الامة البريطانية هذا النجاح الذي لم »
« تبلغه أمة من الامم الخالية والحاضرة آداب أفرادها وحسن تربيتهم »
« البيتية الى أولادهم متبعين فى ذلك قول الحكيم (رب الولد فى طريقة »
« فمتى شاخ لايحيد عنها) ويظهر تقدير الأمة الانكليزية للفضيلة »
« واحتقارها للرذيلة من سقوط بارنل رئيس الحزب الارلندي السقوط »
« الهائل وهو اذ ذاك معادل لشيخ الحرية المرحوم المستر غلادستون في »
« مكانته. وذلك لاشتهاره بالزنا حتى بلغ به الامر ان عرض على رجال »
« الصحافة مائة الف جنيه لكيلا يذكروا اسمه فى صحفهم فابت الفضيلة »
« التي ربوا عليها الا أن يشهروه على صفحات الجرائد تشهيرا ليكون »
« عبرة لغيره وليقوموا بواجب الخدمة العمومية التي ندبوا أنفسهم لها »

«فعملوا وهكذا سقط . ولا يظن القارىء الكريم ان ذلك محصوربين»
«الطبقة المالية فيهم بل هو قد تناول افراد الطبقة لدنيا أيضا»

«واذكر ان عسكريا انكليزيا ركب المركبة الهكربائية وهو ثمل من»
«الشرب لا تكاد تحمله رجلاه وجلس على المقعد الذي أمامنا ولم يكد»
«يستقر به الجلوس حتى صعدت سيدتان مع ولدين لهما الى حيث هو»
«جالس فنهض مسرعا وأجلس أحد الولدين موضعه اذ لم يكن في المقعد»
«متسع لجلوسهم جميعا وظل واقفا وهو في أشد التعب حتى بلغت المركبة»
«متنزه العباسية»

«وأين مافعله هذا الجندي وهو في حالته تلك مما يفعله بعض ادبائنا»
«الذين شاركوا الغواني في لباسهن والمخنثين في أخلاقهم من ارتيادهم»
«الطرقات والمنتديات وهم كل مارأوا سيدة عارضوها في طريقها»
«واسمعوها من بذاءة أفواههم مايحمر له وجه كل حر خجلا . وأنكى»
«من ذلك وأشد وقاحة شراؤهم الصور القبيحة وابرازها أمام كل مخدرة»
«يلتقون بها فتأخذ تلك المسكينة الرعدة من هذه السفالة ولا يزالون»
«في أثرها حتى تلج حانوتا أو تركب مركبة تخلصا من شرهم فيغربوا اذ»
«ذاك في الضحك مقهقهين ولا قهقهة القرود سرورا بما أتوه من»
«الشهامة والنبالة»

«وهناك نوع آخر من الوقاحة يستعمله بعض ركاب العجلات»
«وهو انهم كلما رأوا سيدة خارجة في مركبتها للتنزه ساروا بحذائها»
«حتى يضطروها الى اسدال ستاركوة المركبة فرارا من نظراتهم السافلة»

« وهي نهاية فى الحطة وفقد الشرف. ألا يذكر هؤلاء الاغرار ان لهم »
« امهات واخوات ؟ فكيف اذا خرجن ونالهن من مثل ذلك ما نال »
« غيرهن منهم !! فاذا لم يكن لهم وازع من دين ولا ناه من أدب فخشية »
« ان الكيل الذي به يكيلون يكال لهم به وازيد

« هؤلاء غير رجال وخط الشيب رأسهم تجدهم عصارى كل يوم »
« فى محطة الكهربائية العمومية يركبون القطار ذهابا وجيئة وليس لهم »
« من ارب في ركوبه سوى تهتكهم وابداء سفالتهم لكل امرأة يجدونها »
« فى القطار وحدها ولا رجل معها

« ولما كان لا يرجى من رجال البوليس ان يراقبوا أمثال هذه »
« المنكرات لانهماكهم في اشغالهم الخصوصية وجب على الجرائد الوطنية »
« على اختلاف نزعاتها وتباين مذاهبها ان تتفق على مطالبة الحكومة »
« بان تجبر شركة الترمواي على القيام بما تكفلت به واشترطته على نفسها »
« من جعل عربات خصوصية للنساء ويظهر ان الفئة التي عارضت سعادة »
« العالم الاصولي قاسم بك امين في رأيه الذي ذكره فى كتابه „ تحرير »
« المرأة „ عن احتجاب النساء وتمنيه ان يكن عندنا مثل ماهن عند »
« الغربيين مصيبة فى معارضتها مادام عندنا شبان هذا مبلغهم من »
« الآداب : وهم لسوء حظ مصر غير قلائل »

« وربما اخذ البعض العجب عند قراءتهم خبر الصور المغايرة »
« للآداب وعما يفعل بها لانهم يتذكرون ان وزارة الداخلية أصدرت »
« قرارا بمنع بيعها وسنت عقابا لمن يخالف أمرها . ولكن ذلك العجب »

«يزول عند ما يعرف القارىء الكريم ان تنفيذ هذا القرار موكول»
«أمره الى رجال البوليس وهم كما يعلم الجمهور لا يعرفون من واجباتهم»
«(أولا يريدون ان يعرفوا) سوى مماكسة باعة الفاكهة اذا لم يستجلبوا»
«رضاهم ومخالفة الحوذيين اذا لم يتقدوهم الجعل المعلوم وماسوى ذلك»
«فهو عندهم رجس من عمل الشيطان يجتنبونه »

«ولما كان الحث على الفضيلة والنهي عن المنكر من أخص واجبات»
«الصحف ومن أجل الخدمات التي تقدمها للوطن وبنيه سيما مايحط»
«بشأنه ويحقر ابناءه فى أعين الاجانب من مثل الفعال التي مر الكلام»
«عليها فحبذا لو انها تتفق على ايجاد طريقة فعالة لكبح جماح هؤلاء»
«الأغرار انتصارا للفضيلة اذهم انجب ابنائها وشيمة أمثالهم البر لا»
« العقوق والسلام»

مداواة الحالة الحاضرة — مما تقدم ينتج انه ليست تقوم لنا قائمة الا اذا سعينا فى تحسين التربية والتعليم وجعلناهما ملائمين لمصلحة الامة من كل وجه ويجمل بنا ان نورد هنا كل ماالحضرة صاحب تحرير المرأة. قال:
«وقد آن الوقت على ما أظن لتربية نفوسنا تربية صحيحة متينة علمية . »
«تربية تنشىء رجالا أولي علم واصالة رأي يجمعون بين المعارف »
«والاخلاق والعلم والعمل . تربية تنقذنا من جميع العيوب التي يقذفنابها»
«الاجنبي فى كل يوم وبكل لسان وكلها ترجع مهما اختلفت فى الاسم الى»
«سبب واحد وهو النقص فى تربية نفوسنا وقد اتفق جميع أهل النظر فى»
«مصر على ان التربية هي الدواء الوحيد لذلك الداء وانتشر هذا الرأي»

«الصائب فى الكتب والجرائدوأحاديث المجالس حتى صح ان يقال انه»
«اصبح رأيا عاما وتولد عن ذلك شعور بأن مستقبل الأمة تابع لتربيتها»
«ولكن أرى همم الناس موجهة الى التعليم ولا أرى أحـدا يلتفت الى»
«تربية النفوس وأرى ان الحرص على التعليم منحصر فى تعليم الذكور»
«مع ان تهـذيب الاخلاق مقدم على التعليم وتعليم البنات مقدم على»
«تعليم الذكور»

فهذا كلام كله حكم ونوافق عليه حضرة المؤلف جهدنا ولـكن لايؤاخذنا اذا كنا نخالفه فى أمر واحـد فيه وهو اننا نعتقد ان التهذيب واجب للذكور وللبنات مما لاتقديم للبعض على الآخر أواذا كان هناك سبب لتقديم تهذيب البعض فليبدأ بالذكور لأننا نرى ان الرجل المربى المهذب يمكنه ان يجمل امرأته على خلقه ويطبعها بطبعه

وعلى ذلك تكون تربية البنات تابعة لتربية الذكور لأن الأب هو المسئول عن حالة عائلته الاخلاقية . كيف لا وهو رئيسها وراعيها - والرعية على دين راعيها - ومن المقرر أن أخلاق أهل كل منزل وعوائدهم مكتسبة من أخلاق رب المنزل وعوائده فان أكثر من الموبقات والملاهي وأنواع الشهوات سرى ذلك فى بيته وعائلته وذريته :

اذا كان رب البيت بالدف مولعا * فشيمة أهـل البيت كلهم الرقص

وان استقام وقام بما يجب عليه حق القيام تبعته عائلته وذريته وحاشيته وهذا أمر لايختلف فيه اثنان ويؤيده حالنا في هذه الأيام .

فياعلماء الامة وأذكياءها ويا سراتها وعقلاءها منكم يطلب تعريف الآباء

واجباتهم وذلك لا يكون الا بفتح المدارس الممدة لتثقيف عقول النشأة الجديدة ولا يكفي أن يتعلموا فيها اللغة والرياضيات بل يجب أن يدرس لهم ذلك العلم الاساسي وهو فن التربية الحقيقية علميا وعمليا فليس العلم الصحيح بكثرة الرواية انما العلم بالخشية على أصول دينية ونصائح أدبية وبان يهيأ الطفل ذكرا كان أو أنثى للفضائل وبتعريفه واجبات الحياة ووظيفة الانسان فيها .

ولملاءمة التعليم لمصلحة الامة يجب أن يكون أساس التعليم فى المدارس الاهلية التي تؤسس اللغة العربية وأمور الدين وآدابه التي أهملت في المدارس الاميرية مع المشي فى اللغات الاجنبية والعلوم الاخرى بالنسبة للذكور حذو تلك المدارس وبذلك يكون التعليم فى المدارس الاهلية مطابقا لمصلحة الامة من جميع الوجوه وبعد هذا وذاك يجب أن ينظر الى مستقبل المتعلمين وها نحن نرى الوظائف أصبحت أضيق أبواب الرزق لهم فلا بد من مخرج آخر وهو لا يكون الا بالترشيح للاستقلال فى العمل الحر أيا كان والدنيا مجال فسيح لابنائها العارفين وسجن ضيق للجاهلين . واذا وفق الله بعض أسخياء الامة لانشاء مدارس صناعية كانت لابنائها منها حياة جديدة . ولكن النتيجة الحقيقية التي يستلزمها نجاح التعليم انما تكون سريعة لو وجدت (ادارة معارف أهلية) تقبض على أزمة المدارس الاهلية وتسير بها في طريق واحدة تضمن لها الغاية التي يطلبها الجميع وعسى أن يأتي يوم يسمع فيه هذا النداء وتجاب فيه الدعوة لها وما ذلك على الله بعزيز

وقد كان بودنا أن تكون الحكومة مساعدة على اصلاح أخلاق

الامة ولكن يظهر ان الامل فى ذلك قليل مادام الحال كما نرى فانه من المقرر الثابت ان أغلب الناس لا يرتدعون عن غي أو عن فعل قبيح الا خوف الوازع القوي أو العقاب الدنيوي ولذلك نرى الناس من يوم أن أمنوا عقاب الحكومة لهم على مخالفتهم واجبات دياناتهم قدخلعوا برقع الحياء فصنعوا ما شاؤوا وانتهكوا حرمة الادب والدين ومع ذلك تراهم يتجنبون ارتكاب مخالفة بسيطة خشية الوقوع تحت طائلة العقاب الذي سنته الحكومة لهذه المخالفة . وحيث ان مالا يدرك كله لا يترك جله والطشاش خير من العمى كما يقال فى الامثال السائرة فياليت كبراءنا وسراة أمتنا وأفاضل علمائنا يتفقون على البحث عن الحكمة أينما وجدوها علما وعملا لينشروها بين الامة ائتمارا بقوله تعالى : «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ولاشك ان سائر الامة تقلدهم وتتشبه بهم فى طلب العلم الشرعي والعمل به واقامة العدل والقسطاس والتخلق بمكارم الاخلاق والترفع عن سفاسف الامور فتصطبغ أمتنا المصرية بصبغة الدين القويم ويستقيم معوج الاخلاق وحينئذ يسهل وجود المعلمين الاكفاء ويصير فى استطاعة كل واحد أن يربي أولاده ويطبع زوجته بطبعه كما قدمنا

ولعمر الحق ليس ذلك صعب المنال على من يرغب فى تحسين حال بلاده ويوقف نفسه لخيرها وعزها فطرق الوصول كثيرة متيسرة لكل باحث ولكل طالب فان الحقيقة بنت البحث وكل من سار على الدرب وصل . فقد كفى المسلمين اعراضا عن دوائهم واغضاء على دائهم وكفى

عارا على مستنيري هذه الامة ان تبقى حقائق دين الله مختبئة فى مطاوي مجلداتها وهم مغرورون بزخارف أفكار البشر مما يسمونه بالنظريات الفلسفية اللهم ان المسلمين عن أسرار دينهم لمحجوبون وعن بدائعه للاهون فهبهم اللهم ميلا الى ترويض نفوسهم فى حقائق دينك السرمدي وقانونك الابدي وهب اللهم بصائرهم قوة تمتعهم من دينهم بما متعت به آباءهم الاقدمين انك رحيم بالمؤمنين

ولعمري ليس يتم لهم ذلك الا بتربية النفوس وحفظها من الامراض ولا سبيل لذلك الا بتطهير النفوس من أدناس الاوهام وتهذيبها بالمعلومات الصحيحة وتعويدها على مكارم السجايا وتصحيح اعتقادها . والاسلام تكفل بكل ذلك كما لا نزاع فيه ولا مرية فلنرجع الى أحكامه ان كنا نريد لانفسنا خيرا حقيقة : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

الفصل الثاني

التربية الصحيحة — تقسيمها الى ثلاثة أنواع : الرضاعة بالالبان وتقويم الاخلاق وتربية العقول بالمعارف والعلوم — طرق التربية الصحيحة — النوع الاول — النوع الثاني — النوع الثالث

التربية الصحيحة ـ عرف بعضهم التربية بأنها تنمية أعضاء المولود الحسية من ابتداء ولادته الى بلوغه حد الكبر وتنمية روحه بالمعارف الدينية والمعاشية فبهذا انقسمت التربية قسمين : حسية وهي تربية الجسد ومعنوية وهي تربية الروح ومع ذلك فان لتغذية الطفل ثلاثة أنواع من الغذاء مختلفة

الموضوع : الاولى تغذية المراضع للاطفال بالألبان . الثانية تغذيتهم بارشاد المرشد بتأديبه الاولي للاطفال وتهذيب أخلاقهم وتعويدهم على التطبع بالطباع الحميدة والآداب والاخلاق الفاضلة . الثالثة تغذية عقولهم بتعليم المعارف والكمالات وهذه وظيفة الاستاذ المربي كما ان ما قبلها وظيفة المرشد المتولي أمر الصبي . فالنسبة بين الرضاع والتربية الاولية والتربية الانتهائية كالنسبة بين المرضع والمربي المرشد والاستاذ . فكلما أجاد المربي جادت التربية

فالتربية بأنواعها الثلاثة وان كانت تظهر ببادئ الرأي سهلة بسيطة لاتحتاج الا الى عمل يسير الا انها فى الحقيقة وعند التأمل تستدعي عظيم اهتمام وعناية وسلوك أصول مقررة وآداب محررة ويضاف الى ذلك ما يحتاج اليه المراضع والمربون والاساتذة من قوة محبة الاطفال ومعاملتهم معاملة من طب لمن حب

وقد أنتج هذا ان التربية فن تنمية الاعضاء الحسية والعقلية وطريقة تهذيب النوع البشري ذكرا كان أو أنثى طبق أصول معلومة يستفيد منها الصبي هيئة ثابتة يتبعها ويتخذها عادة وتصير له دأبا وشأنا وملكة فالتربية المعنوية حينئذ هي فن تشكيل العقول والنفوس البشرية وتكييفها بكيفية حسنة مألوفة وغايتها ايجاد ملكة راسخة فى الصغير تحمله على التخلق بحسن الاخلاق حسب الامكان بحيث تحصل من هيئة تربيته الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا بسهولة ويسر . ثم ان التربية لاتفيد الصبي الذكاء ولا الألمعية فان هذه الصفات هي فى الاطفال غريزية طبيعية وانما بالتربية تنمو العقول وتتحسن الادراكات والتربية الاولية فائدتها ان يعتاد الصبي

على أن ينقاد بطبعه الى ما يريده منه مؤدبه ويختاره له مرشده فغايتها المطاوعة وهذا النوع كما يكون فى الانسان يكون في الحيوان بترويضه وتمرينه على الاطاعة . أما تنمية العقل التي هي غذاؤه بالمعارف المعقولة المقبولة كتغذية الجسم بالطعام فهي خاصة بالانسان فالتربية المعنوية تزيد فى تنمية عقول الاطفال بالمعارف وحسن الاخلاق على التناسب من حسن ادارة المرشد والمعلم فبهذا يقال لمن اكتسب المعارف الجيدة والاخلاق الحسنة انه حسن التربية . وحسن تربية الآحاد ذكورا واناثا وانتشار ذلك فيهم يترتب عليه حسن تربية المجتمع الانساني وهو الامة بتمامها . فالامة التي حسنت تربية أبنائها واستعدوا لنفع أوطانهم هي التي تعد أمة سعيدة وملة حميدة . فبحسن تربية أولادها والوصول الى طريقة اسعادها لا تخشى ان تأمن ابنائها على اسرار الوطن ولا على مايكسبها الوصف الحسن بخلاف سوء التربية اذا انتشر في امة من الأمم فان فساد أخلاق بنيها يفضي بها الى العدم حيث يفشو فيهم الانهماك على اللذات والشهوات والانتهاك للحرمات والتعود على المحرمات كما هي حالتنا الآن كما أسلفنا القول فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ طرق التربية ﴾

التربية الاولى ـ تربية الولد الاولى ينبغي ان تكون فى بيت ابيه وامه وهي التربية اللائقة للبيت وكل امرأة لم تربها أمها فى صغرها لا ترغب فى تربية أولادها فى كبرها . ومن سوء التربية ان الام تكل تربية اولادها الى غيرها بدون ان تلاحظ ذلك بنفسها فان الام بما اودع فيها من الشفقة

والرأفة على أولادها وهي أولى وأرفق بالتربية ولتعديل مزاج ابنائها وبناتها . فاذا ربت المرأة أولادها الى سن التمييز تربية حسية أومعنوية انتقش فى اذهان الابناء اعتدال المزاج والاتصاف بمكارم الاخلاق وتهذيبها وسلوك الرفق واللين التي هي من صفات التمدن . ومن هنا وجب ان تكون الام متحلية بهذه الصفات لتصلح ان تربي على حسبها أولادها عالمة بكيفية الاعتناء بالطفل وكيفية تغذيته عارفة طباع طفلها وعوائده ويحسن أيضا ان تكون الام هي التي ترضع ابنها فللرضاع تأثير ظاهر فى الاولاد فقد قال صلى الله عليه وسلم : « الرضاع يغير الطباع » . وقال : « لاتسترضعوا الحمقاء فان اللبن يعدي ويروي . » ومعناه ان المرضع اذا أرضعت غلاما نزعت اليه أخلاقها فيشبهها . وعند عدم تمكن الام تختار المرضعة العاقلة صحيحة الحواس ظاهرا وباطنا معتدلة المزاج عظيمة الثديين

حكي عن الامام ابي المعالي عبد الملك الشهير بامام الحرمين اعلم اصحاب الشافعي رضي الله عنه فى عصره على الاطلاق وهو الذي انتهت اليه رئاسة العلماء نحو ثلاثين سنة ولاجله بنى نظام الملك المدرسة النظامية بنيسابور وتولى بها الخطابة وكان آية من آيات الله علما وعملا ان والده كان يتعيش من نسخ الكتب فاجتمع له ثمن جارية ولم يزل يطعمها من كسب يده حتى حملت بامام الحرمين ووضعته فاوصاها ان لاتمكن أحدا من ارضاعه ثم دخل عليها يوما وهي مريضة والصبي يبكي وقدشاغلته امرأة من جيرانهم بثديها فامتص منه قليلا فشق ذلك على ابيه فاخذه ونكس رأسه ومسح على بطنه وأدخل اصبعه فى فيه حتى أفرغ جميع ما امتصه والصبي فى خلال ذلك تدكربت

نفسه تزهق وابوه يقول : « موته خير من فساد اخلاقه . » فكان الامام اذا لحقته فترة فى مجلس المناظرة يقول . « هذا من بقايا تلك الرضعة » . أفترى والد هذا الامام فعل غير مايوجبه عليه القرآن الكريم حيث يقول : « قوا أنفسكم وأهليكم نارا ؟ »

التربية الثانية ـ وبعد ذلك تكون تربية الأولاد موافقة أحوال الأمة وطريقة ادارتها وأحكامها لينتقش فى أفئدة الصبيان الاحساس والاصول الحسنة الجارية في أوطانهم . مثلا اذا كانت طبيعة البلد المولود فيها الانسان عسكرية مائلة للحرب والضرب تكون تربية الاولاد الذكور تابعة لها أصولا وفروعا وتكون تربية البنات أيضا مائلة لمحبة الشجعان والابطال وفحول الرجال ليشجعن الابناء كما هو منقول ومسطور عن نساء العرب في الجاهلية وفى صدر الاسلام كما روي عن الخنساء بنت عمرو السلمية أنها حضرت حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال فقالت لهم من أول الليل : « يابني والله الذي لا إله غيره انكم لبنو رجل واحد وانكم »
« بنو امرأة واحدة ماخنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم »
« ولا غيرت نسبكم وانتم تعلمون قول الله تعالى: ياأيها الذين آمنوا اصبروا »
« وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا أصبحتم ان شاء الله »
« فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائكم مستنصرين »
« فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وأضرمت لظى على سياجها »
« فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند اخترام خميسها تظفروا بالغنى »
« والكرامة فى دار الخلود والمقامة . » فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم

وشنوا الاغارة وقاتلوا حتى استشهدوا جميعا فبلغها الخبر فقالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجوا من ربي ان يجمعني بهم فى مستقر رحمته . » واذا كانت المملكة زراعية أو تجارية أو بحرية وما أشبه ذلك كان مدار التربية الصحيحة للاولاد على ذلك

ولقد دلت التجاريب وبرهنت المشاهدات على ان الامة التي تتقدم فيها التربية بحسب مقتضيات احوالها يتقدم فيها أيضا التقدم والتمدن على وجه تكون به أهلا للحصول على حريتها بخلاف الامة القاصرة التربية فان تمدنها يتأخر بقدر تأخر تربيتها . قال بعض الحكماء : « ان سمحتم لي بتحسين التربية الزمت نفسي لكم باصلاح أحوال العالم بأسره . » فالتربية هي اساس الانتفاع بابناء الوطن ولذلك يجب تعويد الاطفال لا سيما ابناء الامراء والاكابر والاغنياء من الصغر على ترك الكبر والاعجاب ومحبة النفس وتكليفهم باستعمال الرفق واللين والتلطف مع غيرهم حتى لا يتجارى أحد من عوام الناس وخواصهم على لومهم على أفعالهم وأطوارهم وحركاتهم فيلزم محو ذلك من الاطفال فى حال صغرهم بان يعتني مربي الذكور والاناث بان يطفىء من قلوبهم نار حبهم لانفسهم وحرارة حرصهم على جلب كل شيء لخاصيتهم فان حبهم للنفس بهذه الدرجة انما هو عين البغض لها لانه يجلب لهم بغض من عداهم من الاخوان . وكيف ينال السعادة من خص نفسه بالحب ولم يجعل لاخيه قدر حبه . وفى الحديث الشريف : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه . » وهذا الحديث من أعظم آداب الدين وأسسه . وكذلك يلزم تعويد الاطفال على الآداب

الدينية التي تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر فيعظمون الفضيلة فى أعينهم ليحبوها ويتمسكوا بها ويحطون بالرذيلة ليفروا منها ويستقبحوها ويعودنهم على النظافة والترتيب والاقتصاد ويحضونهم على مكارم الاخلاق قليلها وجليلها بان يحسنوا لهم الصدق والوفاء والامانة والعفة والصيانة وشرف النفس وتوقير الكبير واحترام الصغير واجتناب الهزل واساءة الادب والفحش والقول والفعل وبر الوالدين والانقياد لامرهما بالسمع والطاعة والدعاء لهما وتقبيل أيديهما عند الدخول اليهما لترسخ كل هذه الصفات والفضائل فى أنفسهم وتنتقش فى قلوبهم فلن ينسوها بعد ذلك مادام المرء يشيب على ماشب عليه . ومن المعلوم أن كل مايصدر عن الاطفال فى كبرهم من خدم جليلة وصناعات جميلة ومساع خيرية ومنافع اجتماعية ليس الا اظهارا للمبادىء التي انطبعت فى ذهنهم من تعاليمهم المنزلية حالة صغرهم ومما تلقوه من مرشدهم فنمت مع نموهم . فان كانت هذه التعاليم ليست مؤسسة على قاعدة علمية صحيحة كانت سبب تعاسة كبرى قل أن يخلص منها الطفل أو يقاومها بالدراسات الثانوية بعد نمو مجموع قواه الجسمية والعقلية . ومع تعويدهم على ذلك ينبغي أن يقبح فى نظر الاولاد بالفعل وبالقول كل مايضاد هذه الصفات بأن يمثلوا لهم حالة الكذاب الخداع المنافق الحسود الكنود المرائي فى دينه ودنياه أشنع تمثيل فان الكذب وحده رأس كل مذموم وجماع كل فضيحة . ويلزم تقوية صفة الحياء فى الاولاد وهم صغار فيشبون ويشيبون عليها فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان شر الناس عند الله من خافه الناس اتقاء فحشه . » وروى البخاري عن ابن

مسعود قال : « قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ان ما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت . » فاذا ارتفع الحياء صنعت النفس ما تهوى . ولذلك نكرر انه يجب على من يربي البنات ويتعهد شؤونهن أن يتركهن على حيائهن الذي هو زينتهن فلا تمسه التربية بمحو ولا تخفيف وان لا يجتهد أحد فى إلهام الشجاعة لهن . وكذلك ما اشتملن عليه عادة من الخوف والوجل مما ينبغي محوه من الذكور فلا بأس بابقائه فى النساء فانهن غير مخلوقات لان يحزن شجاعة الرجل كما قدمنا

وكان أهل سبارطة يربون أولادهم على طرف المملكة وكانوا يعودونهم على عدم الخوف من ظلام الليل وعلى عدم الكآبة والتشكي الا لحاجة لازمة وكانوا اذا بلغ الطفل سبع سنين أمروا المعلم أن يعلمه التعود على الاشغال والتجلد والمشاق والمبادرة فى الطاعة وكان المعلمون يسوون بين سائر الاولاد فى التعليم بالمكاتب العمومية بلا تمييز لاحد منهم بتعليم شيء وتقديمه على آخر بل يعلمون الكل مع بعضهم بطريقة واحدة لانهم مستوون في القيام بواجبات المملكة . وكانوا يجعلون من ظهرت نجابته فى التعليم رئيسا على من عداه ممن لم تظهر له نجابة فيحكم الانجب فيمن عداه منهم بملاحظة الشيوخ ليرد الشيوخ من أخطأ في حكمه منهم الى الصواب ويجب تأديبه على ذلك بما يليق بخطئه من العقاب . وكانت طريقة تعليم الاولاد التفاهم والتخاطب عندهم هي ان الآباء كانوا اذا اجتمعوا على مائدة عمومية يحضرون معهم أولادهم ليغتنموا فائدة محاورة تلك المجالس وكانوا يسألونهم عن بعض أشياء مهمة فيقولون للواحد منهم ما رأيك فى هذا الشيء أوفى

هذا الرجل ويحملونهم على رد الجواب بسرعة مع الاختصار وأدب الكلام.
وكان هذا هو السبب الاعظم فى كثرة فحول الرجال وكبراء الابطال في بلاد اليونان وكذلك في مدينة (أثينه) كانوا يعتنون بتعليم الاولاد لعلمهم أن بقاء عز المملكة انما يكون بذلك ويحثون على الاستقلال بالحرف والصنائع وكل من يثبت عليه من أهالي المدينه أنه لم يتعاط حرفة وصنعة واتهم بذلك ثلاث مرات فانه يفضح على رؤوس الاشهاد كما كان يفضح كل ولد يسرف في أمواله أو يحرم أبويه من القوت الا اذا كانا لم يعلماه صنعة فانه كان لاعقاب عليه بذلك
وكان من أحكام هذه المدينة انه لايجب على المرأة أن تتجهز لزوجها عند الابتناء بها بأكثر من ثلاثة أثواب وأمتعة قليلة الثمن خوفا على أهلها من الفقر وان من اجتمع بغير زوجته وعاشرها أو خالط النساء المتبرجات لايكون من أرباب مشورة المدينة لانه لايؤتمن على مصلحة الاهالي وان من سكر من أرباب مشورة المدينة فمقابه القتل . فبهذا صارت تربية عموم اليونان كاملة فاضلة فى أغلب الازمان .
ذلك كان حال التربية عند الاقوام الذين خلوا وكانت سببا فى رفعتهم وعزتهم ومنعتهم فقل لي بأبيك هل أتت بشيء أعظم مما يدعو اليه القرآن الشريف والشريعة السمحة ؟ أيوجد أمة أحسن ممن تهذبت أخلاق أبنائها علي ما وردت به تلك الشريعة الغراء ؟ كلا – اللهم كلا – هذا وجميع هذه التعاليم والتدريبات التي أشرنا اليها هي المسماة بالدروس الاولية للطفل والتي يجب تلقينها له سواء كان ذكرا أو أنثى بواسطة الامهات والآباء والاقارب

والاصدقاء المرشدين الذين هم أساتذة هذه المدارس المنزلية. هذه الدروس هي الاساس الاقوم والمبدأ المحكم للتربية والواسطة الوحيدة لجعل الطفل مستعدا لان يتلقى دروسا أعلى وبدون هذا الاساس لا يمكن التحصل على الثمرة المقصودة من الطفل اللازمة لذاته وعشيرته لانه بدونه لا يكون تهذيبه فيما بعد ممكنا بل تكون كل التعاليم التي تلقى اليه صورية لا تؤثر على وجدانه بشيء مهما أجهد النفس فى تعديلها لان الطبع يغلب التطبع. ولا جدال في أن اهمالنا هذه التربية الاولية هو السبب الاصلي فى تقهقرنا

ويلزمنا أن ننوه هنا أن لا تربية تصلح الا اذا كان القائم بها مرشدا كان أو مربيا من أهل وأقارب ومراضع أو معلما متخلقا بالاخلاق التي يراد تطبيع الاولاد عليها حتى يكونوا قدوة حسنة لهم بهم يقتدون وعلى منوالهم ينسجون. وبخلاف ذلك لا يمكن ولا يؤمل أن تحصل فائدة اذ القدوة السيئة تؤثر تأثيرها على النفوس وتسيء أخلاق الاولاد منذ صغرهم فيشبون على ذلك ويفسدون. وهناك الطامة الكبرى حيث لا يفيد دواء ويعظم الداء. ومن هذا عرفنا ما يجب على الام أن تكون متصفة به من الاخلاق لتحسن تربية أولادها فان الام ان لم تتذرع هي أيضا باصول التربية ولم تتحل بمكارم الاخلاق يشب طفلها عديم المنفعة ساقط المنزلة ويعيش طول عمره ككرة يلعب بها من هو أقوى منه ويموت غير مأسوف عليه وليس من ينكر انه وإن كان الاب هو صاحب التأثير المهم والاولى في التربية فان الام كذلك هي الحجر الاساسي للعائلة ففي امكانها ان تضم أفرادها وتشتتهم وذلك تبعا لاميالها التي اكتسبتها من معلوماتها اثناء صغرها

التربية الثالثة — التعليم — لا أظن انه يوجد أحد يكره أن تحسن حالة بيته ولا ان لا يساعد ويعين على ما يوجب هذا التحسين . ولكن كل من يشاهد ما نحن عليه من الآداب وكيفية التعليم الناقص الغير ملائم لمصلحة الأمة الذي يتعلمه البنون والبنات الآن فانه ولا شك يفضل الجهالة التامة على ذلك التعليم الصوري الكثيرة مضارة المعدوم المنافع .

فاذا تهذبت أخلاق الاولاد بالآداب الصحيحة كما قدمنا فليس من يقول بعدم تعليم البنت ما يساعدها على زيادة تحسين حال بيتها وتوسيع نطاق معارفها فيما يتعلق بواجباتها من مواد العلم الاموي حتى تصير كمعلمة صحية وعملية من غير اخراجها عن وظيفتها حيث انها ستصير أما والام هي الحجر الاساسي للعائلة كما قدمنا . والدين لم يمنع مطلقا من ذلك فحسبنا قول النبي صلى الله عليه وسلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وقد كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم من يعلم القراءة والكتابة من النساء للنساء

فالتعليم الذي لا بأس من أن يشترك البنات بالاشتغال فيه والانتفاع به متى آنس الانسان منهن رشدا واستعدادا له هو عبارة عن تعليم القراءة والكتابة فى ضمن تعليم القرآن الشريف وأمور الدين ـ لتعرف البنت ما يجب عليها وما يجب لها من الحقوق والواجبات ـ ومبادىء الحساب والهندسة والجغرافية ومختصر تاريخ بلادهن فان هذا مما يزيدهن أدبا وعقلا ويصلحن به لمشاركة الرجل فى الكلام والرأي فيعظمن فى قلوبهم ويعظم مقامهن لديهم .

ويجدر بنا أن ننبه هنا بوجه عام بأنه ينبغي للمرشد أو المعلم أن يرغب الاولاد في التحصيل ويدلهم على مكانته ويصرف عنهم الهموم الشاغلة

لهم ويهون عليهم مؤنته ويذاكرهم بما حصله من الفوائد والغرائب وينصحهم في الدين فبذلك تطهر قلوبهم ويزكو علمهم ويجب عليه أيضا ان يأذن في بعض الاوقات للاولاد باللعب ويكون لعبا جميلا غير متعب لهم ليستريحوا من كلفة الادب . وهذه الرياضة تروح النفس وتحرك الحرارة الغريزية وتحفظ الصحة وتنفي الكسل وتطرد البلادة وتبعث النشاط وتزكي النفس فان النفس تمل من الدؤوب في الجد وترتاح الى بعض المباح من اللهو . قال نبينا صلى الله عليه وسلم لحنظلة : ساعة وساعة . وقال علي رضي الله عنه : روحوا القلوب فانها تمل كما تمل الابدان . وقال أيضا : سلوا هذه النفوس ساعة بعد ساعة فانها تصدأ كما يصدأ الحديد . وكان صلى الله عليه وسلم يقول: يابلال روحنا .

وينبغي ان يكون لنساء هذه الاعصر في خدمتهن لمنزلهن اقتداء بنساء النبي صلى الله عليه وسلم : فان نساء النبي كن يسمين على عيالهن ويخدمن زوجهن ويخدمن انفسهن . ولذلك يلزم ان يتعلمن شيئا من فن تدبير المنزل ومن مبادئ القوانين الصحية ومايلزم النساء من الخياطة والتطريز والطبخ . الخ . قال النبي صلى الله عليه وسلم لام سلمة : « اذا أدت المرأة » « فريضة ربها وأطاعت بعلها وحركت المغزل كانت كأنها تسبح ومادام » « المغزل في يدها كانت كأنها تصلي جماعة واذا طبخت القدر لاجل » « أطفالها تساقطت ذنوبها . »

هذا مايمكن تعليمه لهن واظن ان فيه الكفاية للقيام بوظيفتهن أحسن قيام وهذه التربية هي المناسبة لوظيفتهن فاننا لوأخذنا بنتا وعلمناها القراءة

والكتابة والعقائد والآداب الدينية والعبادات وطرفا من قانون الصحة وكيفية تدبير المنزل وتربية الاولاد والاشغال اليدوية . الخ . ثم قصرناها فى بيتها فيكون منزلها هو المدرسة الثانوية لهذا التعليم الابتدائي تجري تطبيق ماتعلمته بالعمل فيه لأن وظيفتها التي بيناها تقتضي جميع هذه المعارف كما لاينكره أحد وبذلك لاتنسى ماتعلمته ولا تتغير اخلاقها . وما الفائدة من تعليمها ماتنساه ولايمكنها ان تمارسه ولا ان تعمل به فى منزلها لخروجه عن حدود وظيفتها ؟ على ان لاشيء يمنع المرأة من التوسع فى العلوم والمعارف اذا وجدت عندها قابلية من نفسها وكان وقتها يسمح لها به . كما ان لاشيء يمنعها عند اقتضاء الحاجة من ان تتعاطى من الاعمال بعض مايتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها .

ومما يلزم تعويدهن عليه وتأديبهن على تركه الصلاة والصوم وانواع العبادات التي يأمر بها الدين اذ بخلافها يكون العلم ناقصا ولا فائدة منه مادام غير مقرون بالعمل . فاذا ربينا البنت الناشئة على هذه المبادىء وحليناها بهذه الكمالات ومنعناها من الابتذال وقوينا فيها فضيلة الحياء بالاحتجاب الذي به تمام التربية كما سترى أمكنها أن تنفع وتفيد واستطاعت أن تنصح والدتها التي لم يسبق لها دراسة وقامت بوظيفتها أحسن قيام وامتنعت أسباب الشكاية والبلاء .

أما مايذهب اليه بعضنا من وجوب تعليم المرأة المسلمة على الطريقة الاوربية واتخاذ حالة المرأة الغربية مثالا لذلك فما يزيد أحوالنا فساداً وليس ذلك لكون طبيعتنا مضادة لطبيعة الغربي ولا لأننا نحب ان

نبقى على جهالتنا ولكن لأن علماء العمران فى العالمين القديم والجديد (فى أوروبا وأمريكا) يرفعون عقيرتهم كل يوم منذرين قومهم - كما علمنا مما اقتطفناه ومما سنورده فى الفصل الآتي من أقوال بعضهم - بسوء العاقبة من غلواء النساء فى الحرية وخروجهن عن الدائرة التي أراد الله أن يشغلنها. وما على الشرقي الذي يعتبر أن المرأة الاوربية والامريكية ملك كان نزلا من سماء المدنية على أرض الحرية الا أن يقرأ ما قاله وما يقوله علماء بلادهما نهما حتى تنشأ لديه فكرة عامة على وظيفة المرأة ومستقبلها والعاقل من اعتبر واتعظ بغيره. قال العلامة جول سيمون: «كان الناس في سنة ١٨٤٨ يشكون»
« من عدم الاعتناء بتهذيب النساء وتربيتهن ولكنهم بالعكس يشكون اليوم »
« من أن ذلك التهذيب قد بلغ حد الافراط . نعم لا نشك انا اخرجنا من »
« تفريط الى افراط هائل .» فلنتق الله فى أنفسنا وأهلينا ولنقلد بروية وتدبير. والله تعالى أعظم مسئول فى توفيق الأمور واصلاح الحال .

الفصل الثالث

﴿ الحجاب ﴾

العفة والامانة والحياء — الحجاب أعظم قائد للعفة — الحجاب شرعي يأمر به الدين — دفع اعتراضات — الحجاب الحالي وما يتهددنا به — ما هو الاصلح فى حالة المرأة التحجب أم الابتذال ؟

العفة والامانة والحياء - كل من تأمل فى أحكام الشرع الشريف ومبادئه وجدها تحث على الفضائل ومكارم الاخلاق وتنهي عن الرذائل ومن

ضمن ماتحض عليه العفة التي هي أمانة كل من الزوجين لصاحبه وهي فضيلة دقيقة تفيد أن لا يصدر من أحد الزوجين ما يخدش صداقته للآخر وهي لذلك ينبغي أن يحرص عليها ولو كانت عزيزة وقل من اتصف بها فى أعلى درجات كمالها فهي عصمة معنوية وهي أساس روابط الجمعية البشرية لان عقد الزواج بمجرد انهائه رابط أحد الطرفين بالآخر ومشروط فيه الامانة ضمنا على الوجه الذي قضته الحكمة الإلهية فتقصير أحد الزوجين في تأدية حقوق الزوجية يعد مضادا للامانة الواجبة على كل من الزوجين على حد سواء. وبالنظر للعرف يقتضي ان تكون الامانة فى المرأة أوكد وان كانا مشتركين فيها وسبب ذلك ان جميع الامم على اختلاف مشاربها ونحلها قد اتفقت على ان تطالب المرأة بالصيانة والعفة وسلوك سبيل الحياء أكثر مما تطالب به الرجل . قال عليه الصلاة والسلام : الحياء حسن ولكنه من النساء أحسن . وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « ان الله اذا أراد ان يهلك عبدا نزع منه الحياء » وقال صلي الله عليه وسلم : « ان لكل دين خلقا وخلق هذا الدين الحياء » وقال أيضا صلوات الله عليه : « ان الله يحب الحيّ الحليم ويبغض الفاجر البذيّ . » فلذلك وجب ان تتعود البنت من صغرها على الحياء والتخلق بهذا الخلق الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لدينه القويم كما قدمنا لأن المرأة متى خلعت ثوب الحياء فكأنها تنازلت عن سلوك سبيل العفاف والصون حيث ان خلع ثوب الحياء منها علامة قوية على نية خدش الامانة التي يترتب عليها من العواقب الوخيمة مالا نهاية له . فان الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته الربانية وضع النسل

فى بطون الامهات فلا يباح للنساء هتك حرمة هذا النسب فاذا تخلت المرأة عن العصمة ربما دست فى العائلة ماليس منها . وناهيك بما يترتب على ذلك من المضار والفساد . فأوجب العقل والنقل والشرع والطبع على الزوجين فى كل مكان وفى كل زمان أن يعيشا على الامانة التامة كما يقتضيه عقد الزواج فلذلك وجب أن يتمسك كل منهما مع غاية الدقة والانتباه بهذه الفضيلة التي يترتب عليها صون النسب فتمتنع الوساوس والشكوك والريبة فى طهارة الانساب التي حفظها من ضروريات الدين والملك والعمران كما هو معلوم للعموم ولا يختلف فيه اثنان .

الحجاب اعظم قائد للعفة

فنظرا لما تقدم ولكون الغيرة من الايمان وما من امرىء لا يغار الا منكوس القلب كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اهتم كل الاهتمام بما يدفع الارتياب ويريح القلب والفؤاد من الوساوس والاوهام ولم يكن ديننا القويم بالمقصر في تبيين انجع دواء لهذه الادواء فأمر بالحجاب بمعنييه (١) وتمسك به المسلمون في كل عصورهم وبلدانهم لانه الطريق المغني عن الغيرة ومما يوجب زيادة ائتلاف المرأة بأهلها يؤكد ارتباطها

(١) جاء فى كتاب « صناجة الطرب في تقدمات العرب » تأليف نوفل افندي بن نعمة الله جرجس نوفل الطرابلسي ما يأتي لدى كلامه على العشق فى الاعراب : « لا يخفى بان اصل دواعي العشق فى البادية هو لكون نساء العرب في الجاهلية لم يتبرقعن اصلا لان لبس البراقع للنساء هو امر حادث في نساء الحضر اوجبته الشريعة الاسلامية منذ انزلت آية الحجاب ومن ثم امرت بعدم تمكن الرجال من رؤية النساء

بزوجها وأمنه عليها ورضاها بحاله . كيف لا وهو بلا شك أحسن وأفيد ماجرب الاقوام من طرق الاحتراس للصون والعفة ولإراحة النفس من الشكوك والارتياب فلقد دلت التجاريب على أن لا نطاق عفة يفيد ولا تربية تقوى على صد تيار القوة الشهوانية الغريزية فى الانسان ولا على رد جماحها عند الثوران مهما بلغ تهذيب المرأة فان كثرة علومها تصل الى حد التلطف والتحايل على أداء الغرض بصورة لا تنكر عليها ـ متى تهيأت لذلك الاسباب ـ لا الى مغالبة الفطريات والغرائز . (١)

قال حضرة أحمد زكي بك سكرتير ثاني مجلس النظار في كتابه السفر الى المؤتمر بعد ان أورد شواهد عديدة على مايقول : « ان المرأة بعد كل تهذيب أراها ضعيفة ميالة أكثر من الرجل لداعي الشهوات والتفاني في الملاذ . فالواجب أن تكون لهن الحرية كالملح فى الطعام . فان التعليم ليس بقادر أن ينزع منهن هذه الاميال وان نزع منهن الخرافات التي يبثنها فى عقول الاطفال . »

وقال أيضا بعد أن أورد نقلا عن بعض العلماء الالمانيين فى الفرق الفاحش بين خيانة المرأة الغربية والمرأة الشرقية لزوجها فى عرضه : « فاذا

(١) جاء في جرنال فرنسا الرسمي من سنوات ان عدد الزناة في فرنسا من الرجال واحد وسبعون من المائة . ولا بد وان يكون العدد قد ازداد لتقدم الفساد . وجاء في تاريخ موسهيم كيف ان كثيرين ممن بلغوا فى مجرد التربية اقصاها وفي المعارف منتهاها من أعيان الرجال والنساء استعصى جموح نفوسهم الشهوية عن الانقياد لمقتضى التربية وهوى بها الى الحضيض فيما تنزه الاسماع عن ذكره فليراجعه من اراده .

سلمنا بهذا الحساب الذي استنتجه ذلك الالماني (١) رأينا أن في التحجب وفيما يقرب منه فائدة عظيمة في صيانة الاعراض . » وفى الواقع فليس من ينكر أن اجتماع النساء والرجال فى مكان واحد ـ خصوصا بلباس الزينة الذي يستحيل أن تخرج أو تختلط المرأة بدونه ـ يحدث تيار غرام كهربائي لا يقطعه الا الوصال : فان الانسان ليس فى سعته مغالبة شهواته بالوازع العقلي ولا بالوازع الديني اذا أبيح الا بتذال كما اعترف بذلك كثيرون وذهبت أقوال بعضهم مجرى الامثال . وناهيك بالمثل الالماني القائل « يلزم أن تحفظ البنت وسط الاربعة أناجيل أو وسط أربعة جدران » اشارة الى أن لاشيء يفيدها سوى الحجاب لاستحالة العمل بالشق الاول .

---

(١) جاء في (تقويم ترويح النفوس) المكتوب باللغة الفرنساوية عن سنة ١٨٩٣ ماخلاصته ان العلامة الالماني (كستنر) أحد أساتذة (ليبسيك) وصاحب التصانيف العديدة المشهورة نشر كتابا فيه ابحاث علمية دقيقة مستوفاة تكلم فيه على حركة ازدياد المواليد ونقصها في البلدان المختلفة مستندا على الارقام وقد أدته ملحوظاته وحساباته الى اثبات النتائج الآتية بحسب التعديل المتوسط وهي :

ان المرأة الالمانية تخون زوجها فى عرضه ٧ مرات والبلجيكية ست مرات وأربعة اخماس مرة (بحسب التعديل المتوسط) والانكليزية خمس مرات والنمساوية اربع مرات ونصف مرة والهولاندية اربع مرات والسويدية او الدانيمركية مرتين والطليانية مرة وخمسة اسداس المرة والفرنساوية مرة واحدة والاسبانية سبعة اثمان المرة والبرتغالية واليونانية خمسة اسداس المرة . والصربية والبشناقية واتي من الجبل الاسود والبلغارية ثلثي مرة . والتركية (ويعنون بهذه اللفظة المسلمة وغير المسلمة من الشرقيات) عشر المرة الواحدة . » اه من كتاب السفر الى المؤتمر .

لذلك حافظ المسلمون على الحجاب كما قلنا وحذروا من تركه: فكان الصحابة رضي الله عنهم يسدون المنافذ والثقوب التي في الجدران لئلا يطلع منها النساء على الرجال أو الرجال على النساء. ورأى معاذ امرأته تطلع فى الكوة فضربها. وكان علي كرم الله وجهه يقول: اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب. وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل. وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليها السلام: أي شيء خير للمرأة؟ فقالت: «ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل.» أي من الاجانب فضمها اليه وقال: «ذرية بعضها من بعض.» وقال الحسن رضي الله عنه: «لا تدعوا نساءكم فيزاحمن العلوج في الاسواق قبح الله تعالى من لا يغار.» وقال عمر رضي الله عنه: «أعروا النساء يلزمن الحجاب.» إشارة الى انهن لا يرغبن الخروج فى الهيئة الرثة. ولقد بلغ حرص الصحابة على تشديد الحجاب الى ان اجتهد بعضهم فى منع النساء حتى من الخروج الى المساجد فأتوا حيلا حببت النساء في القعود فى منازلهن. يدل على ذلك ماروي عن عمر وعن الزبير بن العوام رضي الله عنهما فانهما لما شق عليهما خروج زوجتيهما الى المسجد للصلاة ولم يكن في استطاعتهما منعهما عن ذلك لحديث «اذا استأذنت امرأة أحدكم الى المسجد فلا يمنعها» فتعرض كل منهما لزوجته ليلة فى ظهر المسجد وهي لا تراه وضربها على عجيزتها فرجعت امرأة عمر قائلة: «نعم مارأيت فقد فسد الزمان» وقالت عاتكة امرأة الزبير لما قعدت عن الخروج وسألها زوجها ألا تخرجين ياعاتكة:

« كنا نخرج اذ الناس ناس وما بهم من باس وأما الآن فلا . »

فهل بعد هذا دليل واثبات على ان الحجاب دافع أوهاما وارتيابا وشكوكا وحصن حصين للعفة والصيانة ؟ وهل بعد ذلك دليل واثبات على ان الصحابة كانوا يحجبون نساءهم وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستحسن ذلك ويعجب به ؟ وسنورد طرفا من أحاديثه الشريفة في هذا المعنى . فهلا يكون لنا اسوة حسنة بهم جميعا وهم هداة الانام ؟ أليست هذه سنة مثلى يجب ان نسير عليها مادام في الدنيا رجال ونساء ؟

الحجاب شرعي يأمر به الدين

اذا تقرر ذلك وعلمنا ان الحجاب من لوازم العفة والامانة والصون وان الصحابة كانوا متمسكين به ويتفانون في تشديده لانه اصل من اصول الادب ولأن المحافظة على العرض من أهم أركان مكارم الاخلاق التي بعث النبي صلى الله عليه وسلم لتتميمها وثبت ان الحجاب احصن حصن لهذه المحافظة وجب ان يكون القرآن الكريم والسنة الشريفة حاثين عليه آمرين به . ولو كان القرآن والسنة لم يأمرا بالحجاب لما تمسك به الصحابة ورضوا بمخالفتهما ولما أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه المخالفة لامر الله بل لما حض على استعمال الحجاب بمعنييه وهما القصر في البيت وستر الوجه كما سترى . فلنورد اذا بعض النصوص القرآنية والاحاديث النبوية والواردة في هذا الشأن ولننظر أأمر الله بالحجاب وحث عليه رسوله أم لا . فنقول :

قال حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة :

«لو ان فى الشريعة الاسلامية نصوصا تقضي بالحجاب على ماهو »
« معروف الآن عند بعض المسلمين لوجب عليّ اجتناب البحث فيه »
« ولما كتبت حرفا يخالف تلك النصوص مهما كانت مضرة في ظاهر »
« الامر لأن الاوامر الإلهية يجب الاذعان لها بدون بحث ولا »
« مناقشة . لكننا لانجد نصا فى الشريعة يوجب الحجاب على هذه »
« الطريقة المعهودة . وانما هي عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الامم »
« فاستحسنوها واخذوا بها وبالغوا فيها والبسوها لباس الدين كسائر »
« العادات الضارة التي تمكنت فى الناس باسم الدين والدين براء منها . »
« ولذلك لانرى مانعا من البحث فيها بل نرى من الواجب ان نلم بها »
« ونبين حكم الشريعة فى شأنها وحاجة الناس الى تغييرها » اه .

ونحن لا نلام اذا كنا نخالفه فى هذا الفكر وقلنا ان فى الشريعة نصوصا تقضي بالحجاب الشرعي ونعني به ستر البدن باكمله وملازمة المرأة خدرها الا لضرورة . اما الحجاب الحالي فلا شك انه بدعة لم يأمر بها دين ولم يقل بها شرع ولذلك لانرى مانعا من البحث فى تلك النصوص : جاء فى الكتاب العزيز : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت ايمانهن أو التابعين غير اولي الاربة من الرجال أو

الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن »

هذه آية جمت فأوعت اذ أمرت الرجل والمرأة معا بغض النظر وحفظ العرض وأمرت النساء زيادة على ذلك بان لا يبدين زينتهن الا ماظهر منها أي من الزينة لاني لست ادري ماالداعية للتكلف فى التأويل والقول كما قال حضرة صاحب تحرير المرأة من ان الشريعة أباحت فى هذه الآية ان تظهر المرأة بعض أعضاء من جسمها امام الاجنبي عنها مادام المعنى ظاهرا لايحتاج لهذا التعسف .

ولقد حلت لنا هذا الاشكال السيدة عائشة رضي الله عنها وناهيك بالسيدة عائشة فانها هي التي قال في شأنها النبي صلى الله عليه وسلم - كما يعترف به حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة نفسه - « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » فقد سئلت عن الزينة الظاهرة فقالت : « هي الكحل والخضاب . » أفليس هذا القول هو الفصل والحاسم لكل نزاع فى هذا الموضوع ؟

والا فما معنى ان تمنع المرأة من ابداء زينتها ويرخص لها بكشف الوجه ؟ واذا لم يكن الوجه هو عين الفتنة واعظم زينة يجب عدم ابدائها فما هي إذاً الزينة التي اشار اليها القرآن الكريم ؟ جاء في البحر : « والاقرب دخول الخلقة فى الزينة . وأي زينة أحسن من الخلقة المعتدلة »

ولم يختلف أحد من الصحابة في ذلك ولا فى ان المقصود من هذه الآية منع كشف الوجه بحضرة الاجانب بدليل استعمالهم الحجاب

وحثهم على تشديده كما أسلفنا وبدليل فهم الآية على هذا الوجه كما سترى :

روي عن ميسون الكلابية أن معاوية دخل عليها ـ لانه كان زوجها ـ ومعه خصي فتقنعت منه . فقال هو خصي فقالت : « يامعاوية أترى ان المثلة به تحلل ماحرم الله تعالى ؟ » . فلو كان كشف الوجه مباحا ماتقنعت وماعدته حراما حرمه الله . بل ولما اعتذر لها معاوية بانه خصي أي داخل في ظنه في ضمن أولي الاربة الذين قد يباح التكشف بحضرتهم ولما أقرها على مافعلت (١) وكان عمر يقول : القناع للحرائر : ويمنع الاماء من التشبه بهن في ذلك وأخرج أبو داود والنسائي عن عائشة انها قالت : « أو مأت امرأة من وراء ستر بيدها كتاب الى رسول الله صلى الله

(١) كان العرب لا يعرفون خصاية الانسان أصلا . وكان ذلك شائعاً في الروم فلم يرد في الشرع نص في استعمال الخصيان الاستعمال الذي كان عليه بعض العائلات الكبيرة لعهد غير بعيد انما كان أمر استعمال الخصيان من الامور الاجتهادية قياساً على غير أولي الاربة الذين أباح الله في الآية السابقة ابداء الزينة امامهم . والاربة هي حاجة الرجال الى النساء . وكان معاوية في عهد خلافته أول من رأى هذا وجعله مذهباً اجتهاديا فلما اقتنى خصياً وأراد أن يدخله على بعض نسائه كما تقدم امتنعت من ذلك فاحتج بكونه خصياً فقالت له ان المثلة به لم تحل منه ماحرم الله . ولم ير غيره من أهل الاجتهاد جواز ذلك فكان استعمال الناس للخصيان تقليدا لمذهب معاوية الذي هو من الشرعيات الاجتهادية دون النصية . ولقد ترتب على ذلك من الآثار المذمومة مالو اطلع عليه معاوية لكان عساه أن يحكم بتحريمه :وليس ماتنتج من استعمال الاغاوات سبباً للحط من الدين فهو بدعة دخلت بلادنا كغيرها من البدع ولم تكن من عوائد المسلمين السابقة ولا اللاحقة ولم يرد بها شرع فلا ينسب الى الشرع ماخرج عن حدوده ولا يصح أن ينسب الى الدين ماحدث بالبدعة

عليه وسلم فقبض صلى الله عليه وسلم يده فقال ما أدري أيد رجل أم يد امرأة فقالت بل يد امرأة فقال : لو كنت امرأة لغيرت أظفارك » يعني بالحناء . فهلا يؤخذ من هذا أن النساء كن يتبرقعن وكن يستترن حتى عن النبي ؟ وهلا كان قول علي : «ا كفف أبصارهن بالحجاب» أعظم دليل عن أن المراد بغض الابصار لزوم الحجاب ؟

وهل يفهم لذلك معنى سوى ان جميع الصحابة كانوا فاهمين أن النساء مأمورات بالتقنع وانهم كانوا حريصين على تنفيذ ذلك الامر ؟ أليس اذا أشكل أمر يرجع الى القرآن والسنة أو الاجماع ؟ وهذا هو القرآن أمر بالحجاب بهذه الآية وبما سترى من الآيات . وهذه هي السنة حاثة عليه كما رأيت وكما سترى . واجماع الصحابة متفق عليه كما رأيت . واذا نظرنا الى العادة التي كانت جارية وقت نزول هذه الآية وجدنا حضرة محرر المرأة نفسه يقول : « ان الانتقاب والتبرقع هما من العادات القديمة السابقة على الاسلام والباقية بعده » فما هو وجه الاشكال اذا ؟ هل قال أئمة الدين وعلماء المسلمين بما يخالف ذلك الاجماع وبكشف الوجه واليدين مطلقا كما يدعون عليهم ؟ أين الدليل على هذا القول وها كم الأئمة كلهم تابعون لقول الله العظيم وسنة نبيه الكريم ولم يقل أحد منهم برفع الحجاب ؟ غاية ما قالوه جواز كشف الوجه والكفين اذا حلت ضرورة تبيح ذلك المحظور وأمنت الفتنة . فيا بعد هذا القول مما يتقولون عليهم ! !

ولزيادة الايضاح نقول انه لم يختلف كذلك أحد من الصحابة في

أن المراد من قوله تعالى : «« الا ماظهر منها »» ليس هو الا الزينة بدليل انهم لم يسألوا عائشة الا عن الزينة الظاهرة ولو كان الامر بخلاف ذلك وكان القصد استثناء بعض أعضاء كما يزعمون لسألوها عن الاعضاء التي لاتدخل تحت حكم عدم الابداء

وجاء فى تفسير روح المعاني للعلامة الشيخ الالوسي : « ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها » أي الا ماجرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا مؤاخذة في ابدائه للاجانب وانما المؤاخذة فى ابداء ماخفي من الزينة كالسوار والدملج والقلادة والخلخال والاكليل والوشاح والقرط . وذكر الزين دون مواقعها للمبالغة فى الامر بالتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لايحل النظر اليها الا لمن استثني فى الآية بعد » وقال ابن المنير وهو مالكي مشهور . « الزينة على حقيقتها وما يأتي انشاء الله تعالى من قوله عز وجل . «« ولا يضربن بأرجلهن الآية »» يحقق ان ابداء الزينة مقصود بالنهي . وأيضا لو كان المراد من الزينة موقعها للزم أن يحل للاجانب النظر الى ماظهر من مواقع الزين الظاهرة وهذا باطل : لان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الالضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة . »

وروى الطبراني والحاكم وصححه ابن المنذر وجمع آخرون عن ابن مسعود أن «« ماظهر »» الثياب والجلباب وفى رواية الاقتصار على الثياب وعليها اقتصر الامام أحمد . وقد جاء اطلاق الزينة عليها فى قوله تعالي

,, خذوا زينتكم عند كل مسجد ،، على مافى البحر . وروي عن ابن عباس ان ماظهر الكحل والخاتم والقرط والقلادة . وعن الحسن انه الخاتم والسوار وقال ابن بحر . « الزينة تقع على محاسن الخلق التي فعلها الله تعالى وعلى ما يتزين به من فضل لباس والمراد فى الآية النهي عن ابداء ذلك لمن ليس بحرم واستثنى مالم يمكن اخفاؤه في بعض الاوقات » وقال بعض المفسرين: « إن قوله تعالى ,, ماظهر منها ،، أي من غير اظهار بأن كشفته ريح أو لضرورة »

هذا وهل يمكن باختلاط الرجال مع النساء وكشف وجوههن غض بصر الرجل عن المرأة وبالعكس كما هو صريح هذه الاية الشريفة ؟ أليست مبادئ ميل الانسان الى الشهوات انما هي الاجتماع . والميل للشيء لا يكون الا بعد رؤيته والرؤية كما أجمع العقلاء سبب التعلق والفتنة ؟ أليس وجوب الغض المأمور به فى هذه الآية يوجب حرمة الاختلاط لاستحالة الاختلاط مع غض النظر ؟ أماتدل هذه الآية على طلب المبالغة في الاحتياط فى أمر النساء وعلى ان الاحوط لهن لزوم البيت الذي هو محل شغلهن والتباعد عن الرجال وعدم اختلاطهن بهم لعدم الضرورة لذلك وتباعدهن عن الحضور فى المجتمعات والهيآت ؟ ألم تدل التجاريب على انه متى تأثرت العين بنقل الصورة وصلت الحركة الاستحسانية الى المخ فى أسرع وقت وهو يردها الى الاعضاء هياما وثورة غرام ؟ جاء فى بعض الاثار : أن النظر سهم مسموم من سهام ابليس . وقال الالوسي فى تفسير قوله تعالى ,, ذلك ازكى لهم ،، : « أي أطهر من دنس الريبة وأنفع من حيث الدين

والدنيا فان النظر بريد الزنا وفيه من المضار الدينية والدنيوية مالايخفي »
قال الشاعر :

والمرء مادام ذا عين يقلبها * فى أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ماساء مهجته * لامرحبا بانتفاع جاء بالضرر

ولسنا نتكلف ايراد دليل على ذلك اعظم مما ذكر فى اسباب نزول هذه الآية فان سبب الواقعة التي ترتب عليها نزولها كان الفتنة من النظر الى محاسن امرأة فى الطريق فافتتن الرجل واختبل فى فكره وعقله وسيره حتى اختبط فى حائط وهو لايدري ماذا يفعل ولا يعي وسال دمه كما ترى :

اخرج ابن مردويه عن على كرم الله وجهه قال : « مر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق من طرقات المدينة فنظر الى امرأة ونظرت اليه فوسوس لهما الشيطان انه لم ينظر أحدهما للآخر الا اعجابا به فبينما الرجل يمشى الى جنب حائط وهو ينظر اليها اذ استقبله الحائط فشق انفه فقال : والله لاأغسل الدم حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره أمري . فاتاه فقص عليه قصته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هذا عقوبة ذنبك . وأنزل الله تعالى هذه الآية .« فامر الرجال بغض الابصار وبحفظ فروجهم وأمر النساء بذلك وبشيء آخر ازيد منه : وهو ستر الزينة والمحاسن وعدم إبدائها حتى لايعود احد يفتتن بهن . ومن هذا لزم ستر وجه المرأة لانه داعية الفتنة كما قدمنا .

ولو كان المراد من هذه الآية اظهار بعض أعضاء وهي الوجه والكفان بدون قيد ولا لضرورة فبم نفسر قوله تعالى : «« والقواعد من

النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم »» جاء في تفسير روح المعاني : « أي ان استعفافهن خير لهن من الوضع لبعده من التهمة فلكل ساقطة لاقطة » وجاء فيه ايضا ان المراد بثيابهن الثياب الظاهرة كالجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار (١)

فهذه آية دلت على وجوب الستر والاحتجاب على الكواعب واباحت للقواعد ان يرفعن قناعهن ان اردن وان يكن التستر وعدم رفع ذلك خيرا لهن واسلم وابعد عن التهمة

على انه اذا كانت وجوههن وايديهن مكشوفة من الاصل فماذا يمكن ان يباح لهن ازيد من ذلك ؟ هل يمكن أن يقال ان الله أمرهن بابداء باقي بدنهن وجسمهن ؟ اللهم ان هذا تضليل ومغالطة لا يرضيانك !

هذا وحرصا على الحجاب وحثا على وجوبه وتشديده قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم . واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن » أي أكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية التي تخطر للرجال في أمر النساء والنساء في أمر الرجال لما يترتب على الرؤية من التعلق والفتنة كما اسلفنا

(١) اخرج ابن المنذر عن ميمون بن بهرام انه قال في مصحف أبي بن كعب ومصحف ابن مسعود : « فليس عليهن جناح ان يضعن جلابيبهن » واخرج ابن ابي حاتم عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما انهما كانا يقرآن كذلك ولعله لذلك اقتصر البعض في تفسير الثياب على الجلباب .

القول . وقال أيضا : « يانساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » فهذه آيات تفيد جميعها ان الله سبحانه وتعالى أمر بالحجاب بمعانيه كلها وانها وان كان المخاطب بها نساء النبي لكن المقصود منها بلا شك امر نساء المؤمنين كلهن بهذا الحكم تبعا لهن . لانها انما تأمر بآداب والادب مطلوب للجميع . قال ابن كثير فى تفسير هذه الآيات . هذه آداب أمر الله بها نساء النبي صلى الله عليه وسلم ونساء الامة تبع لهن في ذلك » ولا شك ان هذا من باب الخصوص الذي يقصد منه العموم وهي قاعدة أصولية اتفق عليها فحول علماء الاصول فقالوا « ان العبرة فى آي الكتاب واخبار السنة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب »

ولا يعتد بقول من يقول ان هـذه الآيات خاصة بنساء النبي ولا تنطبق على غيرهن بدليل قوله تعالى « لستن كاحد من النساء » اذ لماذا لا نقول ان الحجاب كان معروفا مستعملا عنـد جميع نساء المسلمين كما ثبت مما قدمنا ولم يكن غير محتجب الا نساء النبي صلى الله عليه وسلم لأنهن معتبرات امهات المؤمنين بقوله تعالى : « وأزواجـه أمهاتهم » ولا موجب للام ان تحتجب على ابنها فظنن انهن لذلك غير داخلات فى حكم ذلك المنع والاحتجاب . فأراد الله سبحانه وتعالى أن يبين لهن ان الحجاب واجب عليهن أيضا لأنهن لسن كاحد من النساء فى الثواب والعقاب بل يضاعف لهن كل من ذلك لعلو مقامهن ومكانتهن : قال الله تعالى : « يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف له العذاب ضعفين . ومن يقنت

منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما » قال في ذلك ابن عباس رضي الله عنه : « يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات : أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي ان اتقيتن الله فأطعنه فان الاكرم عند الله الاتقى »

ولعمري ليس في ذلك شيء من الغرابة . أليس العمل الواحد يعمله شخص فيعاقب عليه عقوبة خفيفة ويعمله الآخر فيضاعف عقابه ؟ أليس من أصول التشريع ان التعذير يختلف باختلاف درجات الانسان ؟ أليس البعض يضرب بالعصا والبعض تكفيه الاشارة ؟ والا فما معنى ان نساء النبي المعتبرات كما قلنا أمهات المؤمنين فلا يجوز النظر اليهن ولا التطلع لهن يؤمرن بالاحتجاب عن أولادهن وغيرهن ممن يطمع فيهن لا يؤمرن به ؟

ولو أضفنا الى ما تقدم ايراده من الاحاديث وأخبار الصحابة وأقوالهم قول عائشة رضي الله عنها : « رحم الله نساء الانصار لم يكن الحجاب يمنعهن ان يتفقهن في الدين » لزال كل شك وارتفع كل التباس وعلمنا أن جميع النساء كن مأمورات بالحجاب عاملات به : وهذا مايستفاد أيضا من أسباب نزول آية الحجاب . أخرج البخاري وابن جرير وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال : « قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . يارسول الله يدخل عليك البار والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب . فأنزل الله تعالى آية الحجاب : وأخرج ابن جرير عن عائشة : « ان أزواج النبي عليه الصلاة والسلام كن يخرجن بالليل اذا برزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول

للنبي . احجب نساءك فلم يكن رسول الله يفعل انتظارا لامر ربه ـ والا فهو كان أشد غيرة كما تدل على ذلك أحاديثه الشريفة ـ فخرجت سودة بنت زمعة رضي الله تعالى عنها ليـلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر رضي الله تعالى عنه بصوته الاعلى : قد عرفناك ياسودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله تعالى آية الحجاب . » وفى مجمع البـيان للطبري : « ان مجاهدا روى عن عائشـة انها كانت تأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيسا في قعب فمر عمر فدعاه عليه الصلاة والسلام فأكل فأصابت أصبعه أصبع عائشة فقال : لو أُطاع فيكن ماراتكن عين : فنزلت آية الحجاب . »

ولا يبعد ان يكون مجموع ماذكر سببا لنزوله : ومنه يستفاد ان الحجاب كان معهودا واجبا على نساء المؤمنين ولم يكن ينقص الا ان تحجب نساء النبي . والا فلماذا كان حرص عمر لهذا الحد بخصوص امهات المؤمنين وترك نسائه وباقي النساء ؟ أما كان الأولى به ان يبدأ بنفسه خصوصا وشدة غيرته مشهورة معلومة ؟

وفضلا على ذلك فان فى قوله تعالى : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » اشارة لطيفة الى ان هذه العادة ـ عادة التبرج وهو الظهور وعدم التستر انما كانت عادة الجاهلية الاولى التي لاشرع لها واندثرت بزوال تلك العصور ـ عصور الجاهلية والهمجية والتوحش ـ فلم يعد يليق الرجوع اليها فى زمن التمدن الحقيقي وقد بزغ نور الاسلام . ولو كان المقصود احتجاب نساء النبي فقط دون باقي النساء لكان التبرج باقيا

ولما صح ان يقال عنه : « تبرج الجاهليـة الاولى » بل كان الاقرب ان يقال : « ولا تبرجن تبرج باقي النساء لانكن لستن كاحد منهن »

هـذا وقوله تعالى : « يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونسـاء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن . ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » قد أزال كل التباس ان كان هناك وجه للالتباس وجاء متمما للحكم بستر المرأة جميع بدنها وتعميم هذا الحكم على جميع النساء فى جميع الاوقات ليلا ونهارا .

وفى الواقع أليس معنى ذلك ان نساء المؤمنين عامة أمرن بان يغطين وجوههن التي يعرفن بها . وأي شيء يعرف الانسان به غير وجهه قال عمر رضي الله عنه : « القناع للحرائر لكيلا يؤذين » وقال السدي فى أسباب النزول : « كانت المدينة ضيقة المنازل وكان النساء اذا كان لليل خرجن فقضين الحاجة وكان فساق المدينة يخرجون فاذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا هـذه حرة فتركوها واذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا هذه أمـة فكانوا يراودونها فأنزل الله تعالى هذه الآية» الا يفهم من ذلك ان القناع كان مستعملا لدى الخروج نهارا وان بعضهن كن يخرجن بدونه في جنح الظلام لقضاء حاجتهن ظنا منهن ان لهن من ظلام الليل وحلكته حجابا آخر يغنيهن عنه فخاب ظنهن وتطاول الاشرار عليهن فشـدد الله تعالى فى الامر بالتستر وبأن لا يرفعن الحجاب متى برزن من خدورهن ليـلا كان أو نهارا لما فى ذلك من زيادة الصون والحرص على الآداب .

ولقد اتفق أغلب المفسرين على ان المراد من ذلك وجوب ستر

المرأة رأسها ووجهها وجميع بدنها بحيث لا يظهر منها الا عينا واحدة وقيل عيناها. قال ابن عباس فى ذلك : « أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة » . وقال أبو حيان : « أي ذلك أولى أن يعرفن لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن أحد ولا يلقين ما يكرهن لان المرأة اذا كانت فى غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها أحد بخلاف المتبرجة فانه مطموع فيها » وعن أم سلمة قالت : « لما نزلت هذه الآية ـ يدنين عليهن من جلابيبهن ـ خرج نساء الانصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن ألبسة سود يلبسنها »

والاحاديث الشريفة على وجوب الحجاب بمعنييه كثيرة منها ماتقدم ومنها ما يأتي : أخرج أبو داود والترمذي وصححه والنسائي والبيهقي في سننه عن أم سلمة : « انها بينما كانت هي وميمونة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ابن أم كلثوم فدخل عليه الصلاة والسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقالت أم سلمة . يارسول الله هو أعمى لا يبصر فقال : أفعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه ؟ » واستدل به من قال بحرمة نظر المرأة الى شيء من الرجل الاجنبي مطلقا ×

واخرج الترمذي والبزار عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان المرأة عورة فاذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان واقرب ماتكون من رحمة ربها وهي فى قعر بيتها » واخرج البزار عن انس قال : « جئن النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن يارسول الله ذهبت الرجال بالفضل والجهاد فى سبيل الله فهل لنا من عمل ندرك به

فضل المجاهدين ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : من قعدت منكن فى بيتها فانها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى »

على ان الشرع قد صرح للنساء بالخروج في أحوال مخصوصة عند الضرورة كخروجهن للمسجد والحج وزيارة الوالدين وعيادة المرضى وتعزية الاقارب وغير ذلك بشروط مذكورة في محلها . والمراد أن لا يكن خرّاجات ولاّجات طوّافات في الطرق والاسواق وبيوت الناس بدون ضرورة ولا حاجة وبيتهن أولى بهن وأحوج لهن . وهذا لاينافي خروجهن لما فيه مصلحة دينية ولا ان يخرجن لحاجتهن مع التستر وعدم الابتذال برضا أزواجهن وان يكن القعود أسلم . قال عليه الصلاة والسلام : « ليس للنساء نصيب فى الخروج الا مضطرة . » وقالت عائشة : « لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج » فاذا كان هذا حال النساء فى ذلك الوقت فكيف حالهن اليوم الذي كثرت فيه المفاسد بفضل الحرية الواسعة والابتذال ولا رادع من حاكم ولا من دين ؟

والاحاديث كثيرة على ان صلاة المرأة فى بيتها خير من صلاتها في المسجد مبالغة فى سترها وعلى ان الاجدر بها ملازمة البيوت وعدم الخروج منها خصوصا والرجل متكفل بقوتها ونفقاتها . وكذلك الشرع أباح للمرأة الاختلاط مع محارمها وهم غير قليلين وحرم عليها الاختلاط مع أجنبي والخلوة به . روى البخاري عن ابن عباس رضوان الله عليهما قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخلون رجل بامرأة الا مع ذي محرم»

وقال : « والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة الا دخل الشيطان بينهما. ولأن يزحم رجلا خنزير متلطخ بطين وحمأة خير له من أن يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له »

دفع اعتراضات

يقول حضرة محرر المرأة ان فى كتاب الروض في المذهب الشافعي نظر الوجه والكفين عند أمن الفتنة من الرجل للمرأة وعكسه جائز وهو قول مرجوح كما يظهر مما يأتي ،

جاء فى الزواجر فى مذهب الشافعي : « الوجه والكفان ظهرهما وبطنهما الى الكوعين عورة فى النظر من المرأة ولو أمة على الاصح وان كانا ليسا عورة من الحرة فى الصلاة . »

وذكر فى الزواجر أيضا : « حرمة سائر ما انفصل من المرأة لان رؤية البعض ربما جر الى رؤية الكل فكان اللائق حرمة نظره ايضا بل قال : حرم أئمتنا النظر لقلامة ظفر المرأة المنفصلة ولو من يدها »

وجاء فى تفسير روح المعاني ما يأتي :

« وذهب بعض الشافعية الى حل النظر الى الوجه والكف ان أمنت الفتنة وليس بمعول عليه عندهم . وفسر بعض اجلتهم ،، ماظهر ،، بالوجه والكفين بعد ان ساق الآية دليلا على ان عورة الحرة ماسواهما وعلل حرمة نظرهما بمظنة الفتنة فدل ذلك على انه ليس كل مايحرم نظره عورة وانت تعلم ان اباحة ابداء الوجه والكفين حسبما تقتضيه الآية عندهم مع القول بحرمة النظر اليهما مطلقا فى غاية البعد فتأمل ».

وجاء في المنهج ماملخصه انه يحرم نظر نحو فحل ولو مراهقا شيئا من كبيرة أجنبية ولوامة وأمن الفتنة الا لحاجة مع امن الفتنة

ولسنا ندري لماذا اخذ حضرة صاحب تحرير المرأة بالقول المرجوح من مذهب الشافعي وترك القول الراجح الذي عليه المعول عندهم . بل ولماذا نسب الى ابن عابدين اباحة كشف الوجه والكفين امام الاجنبي مطلقا بلا قيد مع ان ماذكره ابن عابدين يفيد الاباحة عند الضرورات ومع امن الفتنة والكل مسلم بان الضرورات تبيح المحظورات . (١)

وكذلك ماجاء في شرح الدليل لمذهب الحنابلة يفيدان نظر الرجل البالغ ولو مجبوبا لشيء ما من الحرة التي تشتهى لايجوز الا لضرورة . ويدحض ماقاله حضرة محرر المرأة من ان حكم كشف الوجه والكفين معروف كذلك عند المالكية والحنابلة . وكذلك ما نقله حضرته عن الزيلعي فهو في حق الصلاة

---

(١) جاء في كتاب الجليس الانيس في التحذير عما في تحرير المرأة من التلبيس في هذا الخصوص مايأتي ملخصا : هذه (أي العبارة التي جاءت بكتاب تحرير المرأة عن ابن عابدين) ليست عبارة ابن عابدين وانما هي عبارة شرح التنوير فان هذه العبارة التي نقلها لاتعلق لها بما نحن فيه ولامساس لها بالموضوع فانها متعلقة بالصلاة وشروطها والموضوع ستر المرأة عن الاجانب . نعم ماذكره من قوله وتمنع الشابة من كشف الوجه وكتب عليه ابن عابدين أي تنهى عنه له مساس بما نحن فيه لكنه شاهد عليه لاله . لو انصف لنقل من الدر وحاشية ابن عابدين مايناسب الموضوع المذكور في باب الحظر والاباحة . وعبارة الدر هناك : وينظر من الاجنبية ولو كافرة الى وجهها وكفيها فقط للضرورة قيل والقدم والذراع اذا اجرت نفسها للخبز .

وكأني بمن يقول بجواز النظر لوجه المرأة عند امن الفتنة قضى بتحريم ذلك على الاطلاق فى قالب الاباحة لأنه علق ذلك على أمر مستحيل خصوصا فى هذه الايام ـ مهما كابر نصراء الابتذال واحسنوا الظن فى أحوال هذا الزمان ـ وهو امن الفتنة . فليس من ينكر ان الرؤية سبب التعلق وان للانسان النظرة الاولى وليس له الثانية : يدل على ذلك أمر الله سبحانه وتعالى لكل من الرجل والمرأة بغض البصر اجتنابا لما يترتب على النظر من الفتنة فمن حام حول الحمى أو شك ان يقع فيه .

وأما سؤاله : « لماذا اختص النساء بالاحتجاب والتبرقع ولم لم تتبرقع الرجال لان كليهما مأمور بغض الابصار » . فهو قول مردود ايضا لان من تأمل بهذه الآية الشريفة وجدها كما اسلفنا القول تطالب الرجال بامرين : هما غض البصر وحفظ الفرج وتطالب النساء بذلك كله وبامر ثالث هو عدم ابداء الزينة والمحاسن بسترها بالحجاب والبرقع كما قدمنا . وهذا امر انفردن هن به ولم يشترك معهن فيه الرجال ومن ذلك يعلم السر فى أن النساء كلفن بالحجاب والتبرقع دون الرجال ولله في اوامره حكم .

وزيادة على ذلك فانه لما كان لكل من الزوجين وظيفة مخصوصة كما قدمنا وكانت وظيفة الرجل خارج بيته للسعي على معاشه ومعاش أهله ولعمار الدنيا بنحو الفلاحة والتجارة والصناعة الخ ووظيفه المرأة منزلية داخل البيت وخروجها استثناء لضرورة فتكليفها بالتبرقع اقل ضررا ممن الاصل في خلقته بمقتضى الحكمة الإلهية وجوده خارج بيته . فضلا على ان اغلب الفتنة من النساء لانه قد اقتضت حكمة الله تعالى ان خلق النساء والرجال

من نفس واحدة ليسكن بعضهم الى بعض ومع ذلك جعل النساء رأس الشهوات فى قوله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث . » وذلك لتقدم النساء فى قلوب الرجال على جميعها وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: « من شقوتنا ان الله تعالى قدمنا حين ذكر الشهوات: » وروى البخاري عن اسامة بن زيد قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تركت فتنة بعدي اضر على الرجال من النساء»

يقول نصراء الابتذال ان فى الاختلاط فوائد ومزايا وانه بمجرد تعليم البنت ماهي العفة ومزاياها تتعفف ويؤمن عليها من الاختلاط والخروج والدخول فنقول : هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فان النفس ميالة بالطبع الى الشهوات اشد الميل ولا علم ولا تربية تقوى على صد تيار هوى الانسان وشهواته اذا تهيأت أسبابه كما دلت عليه الشواهد العديدة فاحتجاب النساء كما تستدعيه وظيفتهن مما يجعل التربية تؤثر تأثيرها الحسن وهو أحفظ لحرمتهن وأسلم لشرف الرجل لما فى الاطلاق من الذهاب بعفتهن كما دلت عليه المشاهدات وكما يستفاد من أقوال علماء التمدن الحالي .

ولا شك ان السبب في افراط بعض النساء المتمدنات وخروجهن عن حدودهن الطبيعية وسوء نتيجة التربية عندهن هو اختلاطهن بالرجال وعدم احتجابهن . اذ لو كان الحجاب مقررا عندهن قبل هذا الغلو الذي وقعن فيه لأثرت فيهن التربية تأثيرا حسنا كما قلنا ولما انتهت بهن الى هذه الحالة التي لا يستحسنها عاقل : فهذه بعض نساء الشرق الفلاحات اللاتي

يجتمعن بالرجال اجتماعا ما صدفة أو لغرض صحيح لما لم تبح لهم محادثة الشبان ومغازلة الغلمان ومخاصرة الفتيان ندر فيهن ترك العفة لعدم توفر الدواعي . فالعفيفة فى نساء الغرب مع هـذا الاختلاط الـكلي حكيمة قاهرة لفطرتها دائمة الحرب بين لذتها وشرفها .

وزد على ذلك ما يترتب على الاختلاط من المضار التي ربما جرت الى خراب البيت وتشتيت العائلة فان المرأة اذا كانت تنظر لغير زوجها فى جميع الاوقات وتطلع على معائش الناس مع اختلاف الحالات فان ذلك قد يحرك عندها الشهوات ويجدد لها لوازم ربما أوقعت بينها وبين زوجها المنازعات والمخاصمات فيؤول الامر الى الفرقة وخراب البيت . وكذلك لا يعود من الاختلاط سوى تضررها بزوجها أو تضرر زوجها بها لانه لو فرض ان زوجها فقير أو متقدم فى السن واجتمعت بمن هو أغنى منه أو أصغر لبطرت معيشة زوجها وكرهت الاقامة معه وكذلك الزوج ربما عرضت له خواطر نفسية باجتماعها على أغنى منه أو أصغر فيؤول الامر كذلك الى الفرقة وخراب المنزل . وكما ان الرجل لا تسمح نفسه برؤية غيره لحرمه فكذلك المرأة لا تسمح نفسها برؤية غيرها لزوجها اذ النساء أشد غيرة من الرجال كما هو معلوم . كل هذه أمور مؤيدة بالتجاريب الصادقة وبالمشاهدات الحسية وليس بعد الحس دليل . ولسنا نظن ان أحدا ممن يخالطون العائلات غير المحتجبات ينكر ذلك .

يقول حضرة محرر المرأة أن البرقع والنقاب غير معروفين فى الاسلام وهذا قول يدفعه ما جاء فى نفس كتاب تحرير المرأة من أن النبي صلى

الله عليه وسلم نهى المحرمة عن لبس القفازين والنقاب . وهل لذلك معنى سوى ان النقاب كان موجودا ومعروفا وانه كان معمولا به وواجبا وكان النساء يستعملنه حتى في وقت الاحرام فنهاهن النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك في هذه الحالة فقط ؟ يدل على استعمال النساء اياه ما تقدم من الاخبار . والاقوال وقول عمر رضي الله عنه لجارية رآها مقنعة : « القي القناع لاتتشبهي بالحرائر » وقوله لأخرى « يالكعاء أتتشبهين بالحرائر » وقوله «القناع للحرائر كيلا يؤذين» . واذا سلمنا بأن البرقع والنقاب كانا من العوائد القديمة السابقة على الاسلام والباقية بعده كما يقول حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة فكيف أمكنه أن يوفق بين هذا القول وبين ماقاله عند تفسير قوله تعالى: «الا ماظهر منها» أي ما كان النساء متعودات على اظهاره وقت نزول الآية وهو الوجه والكفان ؟ أليس فى ذلك تناقض لا يخفى ؟

يقول حضرة محرر المرأة ان بعض الأئمة قال بجواز كشف الوجه فى أحوال كالتعليم ولاداء الشهادة وللطبيب الخ . أليست هذه هي أحوال الضرورة التي علق عليها الأئمة جواز رفع الحجاب ؟ ألم يجارنا حضرته بهذا القول، ويسلم معنا من حيث لا يقصد بوجوب الحجاب وبأنه الاصل فى الشرع ؟ أليس معنى « الجواز » ان الاصل عدم الجواز ؟

أما ماقيل عن علم عائشة فهو حجة على قائله لانها كانت محتجبة حجابا تاما بالاجماع والحجاب لم يمنعها من أن تكون بالصفة التي قالها حضرته وكذلك كان كل النساء المسلمات اللاتي نبغن وبلغن درجة من العلم والمعارف

والكمال لا ينكرها أحد : فكن يعلمن الرجال ويحادثنهم من وراء حجاب وان افتخر بعض كتاب وعلماء أوروبا بنسائهم وجعلوا لهن نصيبا وافرا من أعمالهم فلكم فاقتهن فى ذلك نساء مسلمات محتجبات .

فالحجاب لم يمنع وان يمنع مطلقا من تحصيل العلم الصحيح النافع ولا تدريسه لمن يردن . قالت عائشة : « رحم الله نساء الانصار لم يكن الحجاب يمنعهن أن يتفقهن فى الدين »

واذا قيل ان الحجاب هو المانع من التعليم ومن الترقي وانه الباعث على الجهالة فكيف يمكننا أن نوفق بين هذا القول وبين ما نرى عليه كثيرا من رجالنا من الجهالة العمياء والانحطاط الادبي الذي ما بعده انحطاط . هل هؤلاء أيضا سبب جهلهم الحجاب ؟ وهل أفنى ثرواتهم وأضاع شرفهم الحجاب ؟

ولو قيل بان بعض سيدات مسلمات فى صدر الاسلام خرجن ليتعلمن أو ليعلمن فليس معنى ذلك انهن تركن الحجاب بمعنييه وخرجن مكشوفات الوجه بل الذي يمكن أن يقال انهن تركن أحد شقيه وحافظن على الآخر .

وأما ماهو منسوب الى عمر من أنه دعى زوجته للأكل مع أجنبي فضلا عن كونه غير ثابت فان لنا من غيرة عمر رضي الله عنه حتى على نساء غيره ومن أدب زوجته ام كلثوم بنت فاطمة بضع الرسول ومن سيره في بيته على ما يوافق الحجاب التام وحرصه عليه مايدفع صحة هذه الرواية

وكذلك ما روي عن عائشة من « أن اسماء بنت أبي بكر دخلت على

النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال : يا اسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لا يصلح أن يرى منها الا هـذا وهذا وأشار الى وجهه وكفيه » فيكفينا لاثبات ضعفه ايراد ماجاء بكتاب حسن الاسوة نفسه عن هذاالقول من أنه رواه أبو داود وقال : « هذا مرسل خالد بن دريك وهو لم يدرك عائشة ! » فكيف اذا نتخذه قضية مسلمة بعدذلك ونستشهد به خصوصا مع ماهو مشهور عن أسماء بنت أبي بكر من شدة التستر وعدم التبرج وستر الوجه حتى فى وقت الاحرام ؟ قالت فاطمة بنت المنذر : « كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات مع أسماء بنت أبي بكر »

أما نساء الارياف عندنا وهن اللاتي اتخذهن حضرة صاحب تحرير المرأة حجة على مخالفة الشرع فى عدم احتجابهن ففيه نظر : لانه ليس من ينكر ان نساء الوجوه والاعيان منهن لا يخرجن من خدورهن واذا خرجن تبرقعن . وأما نساء غيرهم من أهل القرى فعدم احتجاب بعضهن لضرورة مساعدة أزواجهن على اكتساب رزقهم وهذه الضرورة مما تبيح المحظور شرعا وداخلة فى ما يمكن إباحته استثناء بشرط عدم الابتذال ولو أن هذه الاعانة ليست بالواجبة عليهن (١) على ان أهل القرية الواحدة يعتبرون

(١) — ان اشتراك النساء مع الرجال للضرورة لم تحظره الشريعة الغراء وله شواهد كثيرة منها أن زوجة الزبير كانت تنقل النوى لعلف فرسه من مسافة بعيدة ونقد لقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب فاراد ان ينيخ لحملها على ناقه رأفة عليها وهي حاملة النوى فاستحيت من ذلك . وكان من النساء في عهد النبوة وراء الجيش من يداوي الكلمي ويسقي العطاش ويجبر الكسر ويأسو الجرح . ومنهن من كن يشتغلن بالغزل والنسج والخياط وغير ذلك مما يناسبهن اعانة للرجال . غير ان ذلك كله لا يشترط فيه الا بتذال وعدم الحجاب كما أن هذه الاعانة ليست بالواجبة عليهن .

أنفسهم كاهل بيت واحد وعائلة واحدة ولذا ترى الواحدة منهن اذا أقبل أجنبي على القرية احتجبت بطرف من ثيابها أو أدارت وجهها نحو حائط ان كانت غير متبرقعة كما ان الواحدة منهن تجدها فى الغالب ان لم تكن فى مهنة بيتها مرافقة لزوجها أو أحد أقاربها المحارم وليس من يجترىء على التعرض لها للمحافظة الجميع هناك لعهد قريب على الآداب والدين أكثر من حالة المدن . ومع ذلك فعند فلاحي الارياف عادة هي لجام لعدم الابتذال وهي اعلان بكارة البنت ليلة زفافها علي رؤوس الاشهاد فان البنت متى عرفت ان ليلة زفافها سيبقى والدها وأهلها مطرقي رؤوسهم واضعي أيديهم على قلوبهم حتى يتحققوا من شرف عرضهم وينتظرون بفروغ صبر اشهار بكارتها ليفهموا الناس ان عرضهم محفوظ ولم يمسسه أدنى ريب بسبب المخالطة أظنها لا تقدم على أمر مطلقا مما يثلم شرف عائلتها وأهلها ويحط بقدرهم امام الجمهور في تلك الليلة الموعودة بل ربما أدى الى الفتك بها تخلصا من العار .

ومع كل فاذا كان الفلاحات أو كل نساء العالم قد تركن الحجاب وابتذلن هل هذا يحط من أصل الدين ؟ كلا . فالشرع شيء والواقع شيء آخر ويسوءنا ان نذكر هنا ان الفساد الذي سرى بيننا فى المدن ابتدأ ان يدخل ويفشو فى الارياف بفضل الحرية وبسبب الاختلاط وبعدم غيرة الأكابر والحكام على الدين فلا يبعد ان تصبح حالة فساد الاخلاق هناك مماثلة لما نحن فيه ويصبح الادب والكمال فى خبر كان فلا حول ولا قوة الا بالله .

ولو نظرنا الى الفرنج واختلاط النساء عندهم بالرجال لرأينا ان السبب الاعظم فى ذلك فى مبدإ الامر طبيعة أرضهم وما تلزمهم به حالتهم المعاشية من الكد والنصب فلزم ان تساعد النساء الرجال فى تحصيل العيش والاكتساب فبرزن من خدورهن ثم رفعن حجابهن واسترسلن فى الابتذال وتعودن على الاطلاق وذقن لذة الحرية الواسعة فلم يعد يمكن أحدا ان يعيدهن لما كن عليه ولا أن يحجبهن مهما قامت الدلائل الحسية والعقلية والبراهين الساطعة على فساد هذا الحال اللهم الا اذا كان لهن من انفسهن وازع وهذا قليل نادر وصعب على النفوس التي ذاقت طعم الهوى ولذة الاطلاق.

وهذا ما نخافه ونخشى عقباه لو جربنا ما يشير علينا به كتاب تحرير المرأة فنكون كالغراب الذي حاول ان يقلد مشية الطاووس فاختبط فى سيره ونسي مشيته الاصلية .

ولسنا ننكر ان التفريط الذي بدا منا فى أمر الحجاب ومبادئ عدم الغيرة التي سرت فينا ربما ادى بنا الى تمام التكشف والابتذال ان لم نتدارك الامر ونتلافاه بعزيمة لا تكل وهمة لا تعرف الملل.

اما الافتخار بان نساء الافرنج باوروبا يشتغلن فى التجارة والصناعة و .. و.. الخ فلا محل له وليس هو فى الحقيقة ونفس الامر الا مضرة من مضار الاختلاط لانه لما كثر الاختلاط وزاد الابتذال عدل كثير من الرجال عن الزواج اكتفاء بمن يجتمعون عليهن فكثر الزنا واولاد الزنا الذين يسمونهم أولادا طبيعيين (١) يعيشون بلا أب ولا مرب ولا مال

(١) احصي عدد الذين يولدون فى ممالك أوروبا من غير زواج شرعي فوجد

يسد عوزهم فيلتزمون ان يبحثوا على عيشهم بادنى الدنايا وبكل الحيل فكثر المتشردون وبليت البلاد بالاشتراكيين والاعداميين وغيرهم . والنساء منهم اصبحن يفرطن فى كل مرتخص وغال لديهن التماسا للرزق ويستخدمن في أماكن تجارية ويشتغلن فى كل مايرينه جالبا لهن رزقا لينقوتن وليجمعن مهرا ربما يحصلن به على رجل : ولو ان الواحدة منهن وجدت زوجا يكفيها اظنها تلزم بيته وتوفر عليها هذه الاتعاب .

انظر الى بعض الفرنجيات تر الواحدة تزيد في العمر عن الاربعين والخمسين سنة وهي لاتزال بدون زواج لانها لاتقدر على المهر ولان الرجال مشغولون عنها بغيرها فتضطرها الحالة الى ان تشتغل وتكد وتتعب لتأكل ولتجمع المهر . ولست أفهم مطلقا أسباب الانتقاد على قصر المرأة المسلمة فى بيتها ومنعها من الاختلاط بغير محرم لها وهابعض نساء الفرنج العاقلات العظيمات يأتقن من عوائد بلادهن : فهن لا يستقبلن أحدا الا فى أوقات مخصوصة ولايسمحن بمقابلتهن الا لرجال مخصوصين قد لايزيدون عمن يجوز للمرأة المسلمة أن تقابلهم وتجتمع بهم من المحارم . أليس ذلك رجوعا من عقلاء الفرنج واستحسانا لبعض عوائدنا التي يقبحونها لنا ؟ أليس ذلك

عددهم من كل الف مولود كما يأتي : ايرلاندا ٠٢٦ روسيا ٠٢٨ هولاندا ٠٣٢ انكلترا ٠٤٨ ايطاليا ٠٧٤ فرنسا ٠٨٢ اسكتلندا ٠٨٢ اسوج ٠١٠٠ بافاريا ٠١٤٠ النمسا ٠١٤٦ .

(المقتطف)

وهذا العدد لمن تحقق مجيئهم بلا أب شرعي وربما كان فيمن ينسبون الى الآباء بحكم المعاشرة وهم ادعياء في الواقع مايزيد على هذه الاعداد ولكن للتستر بالازواج لم يعدوا .

لكون تلك المادة عندهم ـ عادة الاختلاط والابتذال ـ يئن منها عقلاؤهم؟

هذا ولقد وافق على ذلك كثير من علماء الفرنج واستحسنوا الحجاب ودونوا ذلك فى كتبهم وقالوا : ان المرأة لا يلزمها أن تفارق منزلها ولا ان تجتمع برجل وناهيك بالمثل الالماني الذي سبق ايراده وهو : « يجب ان تحفظ البنت بين الاربعة أناجيل أو بين أربعة جدران » نقول ذلك ولو غضب بعض أنصار التبذل بيننا الذين يريدون أن نتشبه بما يعده المتمدنون أنفسهم فسادا . ولست أقول ان ذلك منهم لسوء قصد بل لعدم التدقيق فى البحث فانهم لو دققوا البحث والتنقيب لقالوا غير ما قالوه ولعدلوا عما اليه هم الآن ذاهبون .

﴿ الحجاب الحالي وما يهددنا به ﴾

علمنا مما تقدم ما نحن عليه من الجهالة وسوء الحال وفساد الاخلاق الذي جر فساد العائلات . وما أسرع سريان الفساد في شرايين العباد . أصبح كتاب الله بين أيدينا وما من عامل به ! أصبح الحق ينادينا بأننا قد خنا أنفسنا وأهلينا وبلادنا وما من سامع ! أصبحنا نفتخر بتعلم اللغات وقشور من بعض العلوم وما علمنا ان تعلم ذلك شيء والتطبع بالمبادىء الشريفة الثابتة شيء آخر لا يوجده فى الأبناء الا حكمة الآباء والتربية الصحيحة التي قد جهلناها جهلنا ما علينا من الواجبات لانفسنا ولاهلينا ! أصبحنا لا هم لنا الآن نفتخر بتقليد الفرنج تقليدا أعمى فى كل مافيه ضررنا ويا ليتنا كنا نقلدهم فى فضيلة تفيد وخصلة حميدة تنفع قصرنا لا نتقدم خطوة الى المدنية الغربية ولا نترقى حاجياتنا الا تأخرنا خطوات عما كنا عليه من الفضائل !

ولقد نال النساء نصيبهن من هـذا التفريط فى أمور الدين فخففن الحجاب وبرزن من خدورهن وصرن ولاّجات طوّافات فى الشوارع والمنتزهات متبرجات متزينات يبدو منهن من الاشارات والحركات فى الطرق ما يأنف منه الذوق السليم . ولعمر الحق ماهذه الامور التي نراها الا مخالفة كلها للدين ولصريح القرآن الكريم القاضي بغض البصر وبعدم التبرج وعدم ابداء الزينة . ولكن ماذا نقول والغيرة على الشرع قد انعدمت أو كادت والفضيلة ذهبت وذهب رجالها والآداب اندرست ومات ذووها؟ والا فما معنى أن يروا أشد المنكرات بأعينهم امام محلات عبادتهـم وفى طريقهم بل وفى بيوتهـم ولا يعملون على محوها كأن غض الابصار الذي أمروا به هو صرف النظر وغض الطرف عما هو جار من تلك البـدع والمنكرات . ولله فى خلقه شؤون .

ولا شك ان الضرر الذي أصبحنا فيه ماهو الا مقدمة اضرار اخرى أشد وأنكى ما دمنا على غفلتنا هذه مسترسلين وعن صوالحنا ساهين .

فياقوم ان كان معتذرا علينا اصلاح ماتم فساده فلنحافظ على الاقل على مابقي ان كان هناك بقية . فقد حصل الآن من النساء تساهل كبير فى أمر الحجاب ولم يحصـل لنا من وراء ذلك الا كثرة الفجور منهن وانتهاكهن حرمة الآداب وكثرة الفسوق والفساد وهذا أمر لا يخفى على أحد ويعترف به حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة نفسه حيث قال:

« ربما يقول قائل ان مانسمعه اليوم عن كثير من النساء أكثر مما »
« كنا نسمعه سابقا وان الاشاعات عن الفساد أشد انتشارا بل ربما كان »

« الفساد فى الواقع أوسع دائرة مما كان عليه قبل ثلاثين سنة مثلا . ولا »
« منشأ لذلك الا رقة الحجاب . فالحالة القديمة على ما فيها كانت أصون »
« للاعراض وأحفظ لشرف المرأة من تلك الحالة التي طرأت على النساء »
« فنجيب عن ذلك بأننا لا ننكر ان بعض الطباع الفاسدة من الرجال »
« والنساء معا وجدت سبيلا من تخفيف الحجاب الى تعارف بعضها »
« ببعض واتيان ما تميل اليه من المنكر بل نزيد عليه انه لو استمر تخفيف »
« الحجاب يتقدم بالسرعة التي سار بها الى الآن ـ والنفوس على ما هي »
« عليه ـ لعمت البلوى وازداد الفساد انتشارا »

« وقال أيضا : « على ان البرقع والنقاب مما يزيد فى خوف الفتنة »
« لان هذا النقاب الابيض الرقيق الذي تبدو من ورائه المحاسن وتختفي »
« من خلفه العيوب ـ والبرقع الذي يختفي تحته طرف الانف والفم »
« والشدقان ويظهر منه الجبين والحواجب والعيون والخدود والاصداغ »
« وصفحات العنق ـ هذان الساتران يعدان فى الحقيقة من الزينة التي »
« تحث رغبة الناظر وتحمله على اكتشاف قليل خفي بعد الافتتان »
« بكثير ظهر . ولو أن المرأة كانت مكشوفة الوجه لكان في مجموع »
« خلقها مايرد فى الغالب البصر عنها »

نعم هذا هو الواقع ولكن هل هو مقتضى الشرع ؟ حاشا لله وكلا . ان الدين والحياء والعقل ومكارم الاخلاق والادب كل ذلك بريء من هذا الحجاب ومن هذا الابتذال ومن هذه الحال . فالشرع كما علمنا يقضي بستر المرأة وجهها وبدنها وملازمتها خدرها الا لضرورة وباذن زوجها .

ولكن قد طرأ علينا بفضل الحرية والاختلاط ورقة الحجاب وعدم الرهبة والخشية التي كنا نحسب حسابها من الله ومن الخلق ماقد يطرأ على غيرنا من الامور المخالفة لطبائعنا المخالفة لديننا وشرائعنا فصار داء فاستحكم فينا ويتهددنا بتمام الوهن والانحلال ان لم يدركنا الله بلطف من عنده ويلهمنا التوفيق والسداد فى قولنا وعملنا . فان من قارن بين بلاد الشرق قبل استيطان الاجانب بها وقبل استيلاء بعض دول أوروبا على بعضها وبين حالتها الراهنة من الآداب العامة رأى فرقا عظيما وتباينا كبيراً عما كانت عليه : كان المسلمون والمسيحيون والاسرائيليون فى الشرق يرون تحريم الزنا من الجهة الشرعية وقبحه من الجهة العقلية ويرون صيانة الاعراض من الواجبات ومع خروج بعض نساء الارياف مكشوفات الوجوه فانه ما كان يجرأ رجل على التعرض لامرأة بشيء يمس الشرف ولو وقع شيء من ذلك لهلك فى الحال بايقاع اهلها به وربما أوقع به أجنبي منها . وكان الناس على اختلاف اديانهم يتحاشون وجود النساء معهم فى المجامع واختلاطهم بهن في الافراح ويمتنع كل الامتناع دخول امرأة فى مجمع لهو . واذا لعب الهوى بعقل امرأة تركت بلدها واقليمها وسكنت في بلد آخر خوفا من فتك اهلها بها ولا يمكنها ان تنتسب الى أهلها أو تخبر باسمها الاصلي بل تغيره وتدعي النسبة لغير اهلها سترا عليهم وخوفا من عثورهم بها . وكان لاتوجد بغي فى بيت متظاهرة بالبغاء بل تتستر بقدر الامكان خوفا من علم الحكومة بها فان الحكومات الشرقية كانت محافظة على الآداب الشرعية والحقوق الشخصية فكانت اذا عثرت ببغي عاقبتها وابعدتها خشية ان تسري

ضررها الى جاراتها . ولذلك كانت الاعراض مصونة والرجال آمنين على بيوتهم غابوا أو حضروا لعدم اشتغال افكارهم بشيء يشوش عليهم من جهة النساء واذا سافر أحدهم سفراً بعيداً أو قريبا أوصى جاره على بيته فيتعهد أهله وأولاده ويقضي حوائجهم ويغار عليهم غيرته على أهله ويحافظ عليهم محافظته على بيته وعرضه . وربما جاور الرجل اخاه من الصغر الى الشيخوخة ولم يتفق له ان رفع بصره لشباك اخيه مرة فضلا عن تعرضه لحرمه . وكان الرجال المسلمون أبعد خلق الله عن الخمر والنساء ما كانت تذوقها ولا كان الرجال يدخلونها عليهن لعلمهم ان ما بعد سكر المرأة الا الافتضاح والميل الى البغاء . فلما حصل الاختلاط بيننا وبين الاجانب بتداخلهم فى بلادنا بالتجارة والتغلب وبأسفارنا فى بلادهم فسدت أخلاق الرجال والنساء بما دخل من مسمى المدنية الغربية حيث دخل الشرق الكثير من نسائهم البغايا وفتحت المحلات جهارا وتعرضن للشبان والكهول فى الطرقات وتزين باحسن مايمكنهن وخرجن يعرضن انفسهن على المارة فى الطرقات فاستلبن عقول الشبان ثم جذبن ضعفاء العقول وما زال الفساد يترقى من صورة الى افظع منها حتى فسدت اخلاق كثير من النساء الشرقيات فأخذ نساء الشرق يتجرأن على الخروج من البيوت سرا ثم تظاهرن فخرجن جهرا ثم تمادين حتى صارت المرأة تترك زوجها وتفتح لها محلا في بلده أو حارته وانتهى الامر بشرب النساء الخمر فزاد التهتك وضاعت اعراض كثيرة وافتضحت مخدرات وذهب مجد بيوت عالية بخروج بعض نسائها لهذا الامر الشنيع . ثم ترقى الفجور الى ان صار

النساء يحضرون مجالس اللهو ويذهبن الى التيارات ويشربن الخمور وهن بحضرة رجالهن . وصار الرجل لا يأمن اخاه على زوجته والجار لا يخاف الا من جاره ووقعت الشبهة على كل مار فى الطريق واصبح أصحاب الاعراض النقية فى حروب شديدة بما يقاسونه من السعي خلف الصيانة والحفظ والخوف من الانحدار فى هذا التيار القبيح الذي جرف البيوت المقفلة على من فيها فهدم اسوار صيانتها وزلزل اركان عفتها وترك من كان فيها كالدرفى الصدف متبذلا بين الناس معرضا للفساد وقد وقف الناس بعضهم على اسرار بعض فحدث كل صاحبه بمن يعرفها من النساء وما فعل بها من القبيح واخذ كل يشيع ماسمعه عن امرأة غيره وهو لا يدري ان غيره يشيع على امرأته ماهو اشنع وافظع .

وقد تهاونت بعض الحكومات الشرقية فى هذا الباب تهاون الراضي بهذا الابتذال ورخص بعضها فيه بأمر رسمي وعالج البغايا للزناة باطباء عن عنده بدعوى المحافظة على الصحة . هذه أمور لم تكن معهودة فى الشرق قبل ثلاثين عاما أي قبل زيادة الاختلاط بيننا وبين الاجانب . ولا يحسب ظان أن مانراه خاص بنا قاصر علينا بل يظهر ان ذلك مقصود كل دولة اوربية حلت بلادا شرقية لحل عروة الدين التي هي العروة الوثقى فى الجامعة العصبية والالتئام الوطني (١) وما على من عنده أقل ارتياب فيما وصلت اليه حالة

(١) — جاء فى جريدة (الزهرة التونسية) من عدة سنين أثناء كلامها على الحكومة الفرنساوية مايأتي: «وليس لها مأثرة حميدة تذكر أوصنع جميل يشكر» «سوى تكاثر الفواحش والفساد والاضرار بالعباد فمنذ تغيرت الهيئة البلدية السابقة»

الآداب عندنا الآن إلا أن يتأمل في حوانيت المبيعات وغيرها وفي الطرق وفي احتفالات الموالد وسواها لينظر ماذا يفعل الرجال خصوصا المتعلمون المهذبون حسب دعواهم ـ ولكن على غير الدين ـ مع النساء والنساء مع الرجال وليحكم بعد ذلك ان كان الرجال يعطون الطريق حقه وهو غض البصر وكف الاذى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أوصاهم بذلك النبي عليه الصلاة والسلام . وان كان النساء يستأخرن ولا يحققن الطريق ويمشين بحافاتها كما أمرهن الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ كلا ثم

« عظم مصاب المومسات الاوروبيات وتفاقم خطب انتشارهن بين الحرائر في معظم »
« الشوارع المعتبرة وفي حارات الاهالي والاجانب وكثرت أسواق الفجور واشتدت »
« وطأة انتصابهن بالشوارع وأبواب دكاكينهن وتجاذبهن أثواب العابرين واتسع خرق »
« اعتدائهن على الجيران والعبث براحتهم بألوان المنكرات آناء الليل وأطراف »
« النهار وما لجيرانهم من ظهير ولا نصير: يقدمون العرضحالات ولا يجاوبون ويشكون »
« ولا يسمعون وكيف يرجى الاصلاح من ادارة مهملة مستبدة معتدية على القوانين »
« لادأب لها الا استخلاص الفرنكين ونصف معلوم الاختبار الطبي من ساكنات »
« حوانيت مصدرة بفرش لاتبعد ذراعين عن أبوابها بدون ان تأخذها في هذا العار »
« لومة لائمة ... » وبعد كلام طويل في الادارة وسوء أعمال الاجانب فيها قالت :.
« وطالما كتبنا المقالات المسهبة والاستلفاتات المطولة وبينا سوء الحالة الراهنة وهتك »
« الادارة البلدية لحرمات النظامات والعوائد بإباحتها للمومسات السكنى حيث يشأن »
« واحداثها أسواقاً للفسوق بأحسن مراكزها وأهم شوارع مدينة توفرت فيها »
« محاسن المدنية وحافظ أهلها على قوانين الحياء والآداب العامة فلم تكترث بشيء من »
« ذلك ولم يزدها الا اعنادا وكان لسان حالها يقول: اني أفعل ما أشاء وأخالف القوانين »
« والعاجز من لا يستبد .. » نقلا عن بعض المجلات ».

كلا . علم الله ما كنا نسمع قبل تخفيف الحجاب فى مصر عن فعل الفواحش الا نادرا وفى محلات مخصوصة والآن نراه قد تفشى كالوباء فى كل شارع وفى كل حارة فى بيوت يسمونها بيوتا سرية تأتي اليها النساء بفضل الحرية ورقة الحجاب !! . ولا يقال ان ذلك من عدم التربيـة والتعليم لانه قد دلت المشاهـدات على ان الرجال المتعلمين قبل الجاهلين لا يقدرون على كبح جماح شهواتهم فيوسوسون لهن ويستميلونهن وهن لا يقوين على حفظ أنفسهن فيملن طوع الهوى رغم التعليم والتربية كما سبق بيانه .

وهذا أمر لاشك فى أن حضرة محرر المرأة يصادقنا عليـه فانه لا يجهل مايجري بكثير من نساء الغربيين من الامور التي لا ترضاها عاطفة الحياء بسبب التكشف لأعين الرجال والاختلاط بهم وكتابه فى الرد على الدوك داركور أعظم شاهد عليه وإننا اذا نظرنا الى حال بعض العائلات التي خففت الحجاب وتعلمت العلوم واللغات وعرفت الموسيقى والبيانو وتربت التربيـة الغربية التي يفخر بها بعضنا واختلطت لوجـدنا العجب العجاب : نرى ابتذالا ما بعـده ابتذال ونرى الغيرة لا مسمى لها ونرى العفة عندهم أصبحت كما قال المقطم الاغر « أمرا حقيراً لا يرعون له حرمة ولا يجلون لصاحبـه قدرا » نرى الرجل لا يبالي بمن يدخل بيته ولا بمن يخرج وهم لا يعدون ذلك الا واجبا من واجبات الصحبة ناسين قوله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا : الديوث والمترجلة من النساء ومدمن الخمر . قيل له ما الديوث فقال : الذي لا يبالي من دخل على أهله .

وقصارى القول أن جهلنا قد أوصلنا لما نحن فيه وفسادنا جر فساد

نسائناوأبنائنا وفجورناأدى الى فجورهم وترتب عليه رقة الحجاب وتبرج النساء والخروج والدخول بدون موجب الا زيادة الفساد وما دمنا على هذه الحال لابد وان نصير الى رفع الحجاب بالمرة لان الزمن فى تقدم وترقي فى صفوف الابتذال باسم الحرية والمدنية والترقي العمراني . والتدرج سنة طبيعية للانسان . ولا بد أن ينعدم ما بقي فى دمنا من الغيرة على العرض والشرف ان لم نعمل على درء هـذه المفاسد بقدر استطاعتنا ونرجع الى أحكام ديننا القويم ونتبع سنة نبيه الهادي الى الصراط المستقيم .

هذه هي حالتنا الحاضرة وهذا هو المستقبل الذي يتهددنا : النساء الآن فى اطلاق ليس بعده اطلاق قد أضر بهن وبأزواجهن وببلادهن اطلاق يئن منه العموم . حرية واسعة تركت بعضهن يستسهلن كل بذاء وفجور . كل ذلك حصل بسبب جهلنا وعدم اهتمامنا بأمورنا واستسلامنا لعوائد غيرنا . ولعمر الحق ما الملوم غيرنا فان الاجانب عند اختلاطهم بنا لم يشترطوا علينا التخلي عن بعض أصول ديننا والتنازل عن عوائدنا وانما كان ذلك بتهاون الرجال في خروج النساء والتوسع لهن فى المجامع وأماكن الملاهي وابتذال الرجال فى السكر والسهر فى البيرات والخمارات وبيوت العاهرات وتركهم نساءهم يتقلبن على جمر الانتظار حتى وقع الملال وجر الى الخبل والخلل ثم الى تكاثر العلل والتعود على الزلل وأصبحت الطرقات ممتلئة بالمومسات فى صور الحرائر وفتحت القهاوي لرقص الشرقيات بين أهلهن والاجانب واسود وجه المجد بما يسفه أحلام الشرقيين ويلحقهم بالقرود فى التقليد الاعمى

وبدلا من أن يقوم من بيننا من يدعو الى الحث على مداواة هذا الداء بالتربية الاسلامية الحقة وتقييد تلك الحرية نرى الامر قد انعكس وقام بعضنا ـ ولسنا نعني بالبعض شخصا معينا أو أشخاصا معلومين . كلا . بل كلامنا عمومي ـ يدعو الى التوسع فيها باسم الشفقة والمرحمة ويطالب بتحرير المرأة من الظلم الذي هي فيه برفع الحجاب وبالاختلاط . على ان الرجل ـ وهو أصل كل هـذا البلاء ـ هو أولى بالتحرير من الجهالة ومن الفساد الذي أصبح فيه . واذا دعى ذلك البعض الى تربية اختار تلك التربية الغربية التي أوردنا حكم بعض الاوربيين أنفسهم عليها فلا لزوم للاعادة .

ولا لوم على الفرنج اذا حاولوا الوصول الى غاية لهم انما اللوم كله على بعض المصريين المفتونين فى تقليد الغربي: فانهم يوسمون تقاليدهم القديمة كلها ذما وتقبيحا بلا حق ولا رغبة فى تحسين حال فى أغلب الاحيان ولكن تزلفا للاجنبي القوي . فهؤلاء دأبهم أن يثيروا خواطر الاجانب على اخوانهم فى الوطنية . والمتمدنون منهم على اصطلاحهم يكرهون من هو من جنسهم ان لم يتبع خطتهم . مع انهم لو تدبروا لوجدوا أن مايعزى الى الافرنج من العوائد المستحسنة والفضائل ليس كله من مبتكراتهم بل أخذوا عن الشرقيين والمسلمين كل فضيلة اتصفوا بها ـ كما هو شأن من يريد الاصلاح الحقيقي وتركوا لهم رذائلهم كالخمرة مثلا كانت كما قال بعضهم نصرانية فاسلمت .

فياللعجب انظر الى الطرقات والشوارع والمنتزهات ومحلات الموبقات تراها ملأى بالنساء والبيوت اصبحت خالية خاوية واشغال المنزل مهملة

وتربية الأولاد انعدمت وفقدت ومع ذلك ندعي ان النساء محبوسات مسجونات مهينات فيجب تحريرهن !!

واذا اعترض معترض على ذلك الكلام فما جزاؤه الا السخرية والاستهزاء ممن تكفلوا بهذه الدعوة يرمونه طورا بالجهالة وعدم الفهم وتارة بحب البقاء على قديم العوائد وعدم تنبهه لترقيات العصر والمدنية الغربية ويقولون دعوه فانه «انتيكة» ولا يفيد معه كلام ولا يفهم فوائد الاختلاط لما يستلزمه من تشارك الجنسين في الرأي وتحاورهما فيما يعود على الهيئة الاجتماعية بالفلاح والنجاح وشغلهما معظم احاديثهما فيما يرفع شأن الوطن والدين !!

هذا قول يجرح كل ذي احساس شريف ويسؤنا ان نراه يصدر من بعض متنوري هذه الامة الذين ربتهم البلاد لينفعوها الا ليسنوا لهاولاهلها سنة سيئة يتبعهم وزرها الذين يوم الدين . ولو سألناهم أين تلك الأمم التي ماتت فيها الشهوات البهيمية فصار النساء فيها لا يثرن فى الرجال غير عواطف الاخلاص واحساسات الشرف ومحبة النوع غضبوا وقالوا ان ذلك موجود ولكنكم لاتفهمون !!

أما نحن فلا نتكلف الرد عليهم بل نثبت عدم وجود هذا الامر حتى فى ارقى البلاد مدنية وادبا بلسان امرأة ليكون الكلام أكثر الخاما : كتبت ,, مدام دوصون بروتون ،، احدى رئيسات جمعية من جمعيات النساء فصلا في مجلة المجلات (مجلد ١٧) قالت فيه مامعناه : « بينما ترى الرجال من أهل العلم والصناعة جالسين على مائدتهم بعد الطعام يتكلمون

فى الشؤون العمومية مما له ارتباط بترقية الصناعات وتنمية المعلومات تراهم عند دخول امرأة عليهم يدعون الاحاديث النافعة وذكر نتائج السياحات العلمية والمكتشفات الطبيعية ويأخذون في غير ذلك . تجد أولئك الرجال الذين كانوا قبل ساعة فى غاية الثبات والرزانة قدصاروا خفاف العقول لا يتمالكون انفسهم من التبسم واخذوا يبحثون فى افكارهم على تلك العبارات التافهة والتحيات ذات المعاني المتنوعة التي كانت تستعمل بعينها في زمن لوزير الخامس عشر » هذه هي مقابلات النساء بالرجال فى العالم المتمدن بشهادة نفس المرأة فلنتلق الله فى أنفسنا ولنعتبر باحوال غيرنا ٠

وانا ليضحكنا ما يقولونه من اننا نريد الاختلاط ولكن مع حظر الخلوة اذ ما فهمنا كيف يمكن التوفيق بين القول والفعل فى ذلك ٠ هذه نظرية دون العمل بها خرط القتاد اذ كيف تقيد حرية بعد اطلاق؟ وكيف تمنع خلوة بعد تصريح باختلاط ؟ ولو كان ذلك ممكنا لوجد بعض الفرنج من الضيق الذي اصبحوا فيه مخرجا وفرجا ٠

اناشدكم الله أيها المطالبون بتحرير المرأة هلا شاهدتم حال النساء التي قدمنا ذكرهن ! ألا تزالون مصرين على رأيكم من ان بقاء المرأة في محل شغلها وهو بيتها الذي تنتهي وظيفتها عند عتبته سجن وحبس لها ؟ إذا اشتغلت المرأة باشغال بيتها ألا يتولد فيها النشاط والحركة فيجري دمها ويتقوى جسمها ؟ ألا تعتقدون ان ستر المرأة جميع بدنها اذا برزت من خدرها احكم للرجال من مخالفة غض النظر واصون للنساء مما يترتب على هذه المخالفة من المفاسد ؟ أما ترون عدم الفائدة من خروجها وبيتها أولى

بها ومحتاج لها وزوجها متكفل بمصروفها ونفقتها وبالسعي على عياله ؟ وأي ضرر على الهيئة الاجتماعية اذا خرجت غير متبرجة بدون ابتذال مستورة الوجه ولضرورة ؟ ألم يكن الأليق طلب تشديد الحجاب والحث على زيادة الاعتكاف فى البيوت والرجوع الى الحجاب الشرعي مادمنا جميعا مسلمين بان الحجاب الحالي بدعة مضرة مفسدة ومادمنا كلنا متفقين على ان حالتنا الادبية وصلت لدرجة لاتطاق ؟ أما تقرون معنا بان الرجل هو سبب كل هذه البلايا والمصائب ؟ أما هو المسؤل عن كل هذه المفاسد ؟ هل العلم والتربية كافيان لمقاومة الميل النفساني اذا تحكم الدافع الشهواني متى تهيأت اسبابه ؟ اظن لا . ومن يكابر فما عليه الا ان يسال ليسمع واذا لم يصدق فليجرب . ولكن هل اذا تربت البنت تلك التربية الاسلامية الصحيحة التي اشرنا اليها وتهذبت اخلاقها ولزمت الحجاب الذي به تمام تربيتها ألا تنظم بيتها تنظيم غريبة ؟ ألا تأنف من مخالطة من هي احط منها فى الدرجة وابعد عن التصون والعفة وألا تكون أهلا لأن تعرف حقوقها وواجباتها ؟ انا نرى أغلب انواع التبذير والاسراف والتفريط فى العرض وعدم الغيرة تصدر من الطبقة المقال بأنها تعلمت وتهذبت رجالا ونساء . فما لهذه التربية وهذا التعليم لم يدرآ هذه المفاسد ؟ أليس لكونهما جاريين على النمط الغربي الذي يئن منه نفس الغربيين كما دلت عليه أقوال أعاظم علمائهم ولان الحجاب قد خفف عند هذه الطبقة حتى كاد أن ينعدم بالمرة ويرتفع تماما ولانهن لم يعدن يسمعن « هذا حرام وهذا حلال » ؟ بل وماذا أفاد الابتذال والاختلاط بالبلاد الاخرى سوى عدول

الكثيرين عن الزواج وتناقص عدد المواليد فيها وعدم الاهتمام بالشؤن المنزلية وكثرة المتشردين وزيادة النفقة على التزين والتحلي لما تستلزمه من النفقات دواعي الاختلاط والحضور في الاحتفالات والجميات حيث كل امرأة تريد أن تتأنق لتحوز الاسبقية فى أعين الحاضرين : ويالهامن جناية عظمى على البلاد والعباد ؟

كيف بعد ذلك يقال ان الحجاب غير لازم وانه لم يجعل لا للتعبد ولا للادب مع ان حضرة محرر المرأة نفسه قال فى مبدإ كلامه على الحجاب ما يأتي بالحرف الواحد : « ربما يتوهم ناظر انني أرى الآن رفع الحجاب بالمرة . لكن الحقيقة غير ذلك . فانني لا أزال أدافع عن الحجاب وأعتبره أصلا من أصول الادب التي يلزم التمسك بها . غير انني أطلب أن يكون منطبقا على ماجاء فى الشريعة الاسلامية . »

واذا كان حضرته يعتبر الحجاب أصلا من أصول الادب فكيف لا يكون الشرع أمر به . هل ترك الدين شيئا من أصول الادب لم يأمر به ويحث عليه ؟ واذا كان الشرع لم ينص عليه أليست حالتنا الحاضرة تستدعي التمسك به بل وايجاده ان لم يكن موجودا اللهم الا اذا كان مانراه لا يعد عند ذلك البعض فسادا ولا فجورا ؟ وان صح ان بعض الائمة قال بجواز التكشف مطلقا كما يقولون ـ على ان الامر بالعكس ـ فلماذا نأخذ بقوله ونترك رأي الاغلبية الموافقة لمصلحة الامة ولاصول الادب وهانحن نرى بعض علمائنا يطلبون عدم التقيد بمذهب دون مذهب في باقي المسائل الشرعية ؟

ولسنا هنا نطلب الا تنفيذ ما جاء في هـذه العبارة : « الحجاب أصل من أصول الادب فيلزم التمسك به . الا أن المطلوب أن يكون منطبقاً على ماجاء في الشرع » والشـرع قضى كما علمنا بأن الحجاب بمعنييه واجب ويأمر به الدين وحسبه فخرا ان جعـله الله تعالى من أحسن ما توصف به امرأة فقال : « حور مقصورات فى الخيام » . ووردت به السـنة وحث عليـه النبي صلى الله عليه وسلم فلا يسوغ لمتولي الاحكام ولا لاحد غـيره من باب أولى ان يحكم فى التحليل والتحريم بما يلائم مزاجـه مما يخالف الاوضاع الشرعية ولا عـبرة بالاستكراه النفساني والاستحسان الطبيعي والاخذ بالرأي من غير دليل شرعي . قال أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه « ايا كم والاخذ فى دين الله بالرأي وعليكم باتباع السنة فمن خرج عنها ضـل وغوى »

نتيجة ماتقدم

ثبت مما قدمنا ان الحجاب الحالي غير شرعي . وان النساء لسن الآن محتجبات بل هن فى الحقيقة متبرجات مفسدات . وان النقاب الشرعي يشترط فيه أن لاتبدو منه الا العين الواحدة أو العينان كما قرره المفسرون وكما كان الصحابة سائرين عليه . وأن الاصل في المرأة احتجابها وعـدم إبتذالها فاللازم الرجوع الى الشرع اذا أمكن أو عند عدم امكان الوصول الى ذلك يلزم على الاقل عدم المغالطة والتمحك فى الشرع والدين لاعلاء فكر يخالفهما أو اظهار رأي يناقض ماأمر الله والله الهادي لسواء السبيل.

وانه ليسرنا أن نرى معظم الرأي العام مستهجنا مطالب نصراء الابتذال

فقد قرأنا فى جريدة مصر الفراء انه قد ورد الى حضرة محرر المرأة خمسة وسبعون كتابا يهنئه فيها أصحابها على طرق هذا الباب وعلى ذهابه هذا المذهب ولكن ليس من بين هؤلاء المهنئين سوى ثلاثة مسلمين !! والباقي ممن يفضلون طبعا مساواتنا لهم فى هذا الامر مادام الابتذال مقدورا عليه واحتجاب المبتذلات ضربا من المحال .

وهذا الذي نراه من اخواننا المسلمين يقوي فينا الامل فى تحسين الحال اذا وطدنا النفس على العمل والسعي فى اصلاح نفوسنا وتقويم ما أعوج منا

فعلى من يهمهم حفظ الاعراض وصون الشرف مما يخدشه أن يقدموا للحكومة الجليلة بطلب السعي فى منع هذا الابتذال وفى اعمال حاجز بين المومسات والاحرار وتنقية الشوارع والدروب من تلك البيوت التي جلبت الضرر على كثير من الناس وبزيادة الاهتمام بامر الآداب العامة. ولئن قيل إن الحرية تقضي بعدم تعرض أحد لاحد فى أموره الخاصة قلنا: ان الحرية عبارة عن المطالبة بالحقوق والوقوف عند الحدود وهذا الذي نسمع به ونراه رجوع الى البهيمية وخروج عن حد الانسانية واثن كان ذلك سائغا فى بعض بلاد أوروبا فان لكل أمة عادات وروابط دينية أو بيتية وهذه الاباحة لاتناسب أخلاق المسلمين ولا قواعدهم الدينية ولا عاداتهم والقانون الحق هو الحافظ لحقوق الامة من غير ان يجني أو يغري بالجناية عليها بما يبيحه من الاحوال المحظورة . وانا نسمع انهم لا يريدون منا الا ان نطرق باب المدنية وهذا الذي نراه هو الهمجية بل الحيوانية الصرفة . لانه إما ان نقول عن زوجة الرجل شرعية لا يجوز تعدي الغير عليها أو قانونية عند من

يعتبر الزواج قانونا نظاميا وعلى كلا الامرين يلزم أخذ الطرق اللازمة لحفظها وعدم ابتذالها واتهامها حضر الزوج أو غاب. وهو بمفرده لا يمكنه ذلك فانه فرد في مجتمع امة عظيمة فيبقى الأمر منوطا بالقائمين برعاية الامم وصيانة اعراضهم. ثم اننا نقول ان واضعي القوانين غير معصومين من الخطأ فانما هي افكار فرد أو افراد دونت بحسب استحسانهم فهي قابلة للنقض والابرام اذا رفعت الشكوى منها للقابضين على ازمة الامم ونبهوا الى اوجه النقص فيهـا وهانحن نرى كل يوم ولاة الامور يدخلون التعديلات في اللوايح والقوانين حسب مايرونه أزيد ملاءمة وأوفق لمصلحة البلاد. نرجو ان يحال بيننا وبين تلك الامور التي نراها بين ظهرانينا منعا للعيث في الاعراض النقية وحرصا على العوائد الاسلامية وسدا لهذا الباب الذي مافتح بين قوم الا تركهم فوضى لايحفظ لهم نسب ولا يعرف لهم حسب. فليعقد أهل الشرف عزائمهم على انهم لايغمض لهم جفن حتى تطهر المدن من هذه النجاسات التي لوثت كثيرا من طاهرات الذيل عفيفات الطباع والا فما ناب اليوم هـذا سينوب ذاك غدا والآن يتكلم فلان في بيت اخيـه وسيتكلم الغير في بيته فالبدار البدار ياذوي الغيرة وجدوا في هذا الطلب العـدل الحق قبل تفاقم الخطب وفرقوا بين بيوتكم الطاهرة وبين تلك البيوت الخبيثة بحدي ،، هذا حرام وهذا حلال ،، وامنعوا هذا الابتذال وقيدوا هذه الحرية واطلبو الرجوع الى آداب دينكم القويم

واعظـم قانون يضمه الازواج لحفظ اعراضهـم اذا عز اقفال تلك البيوت ومنع هذا الحال الى ان يشددوا في منع خروج النساء من البيوت

ويقفلوا ابوابهم في وجه كل داخلة من غير اقاربهم واصهارهم ومن يثقون بصيانتهن والآن بقيت الحال على ماهي عليه انجر أمر التهمة شيئا فشيئا حتى لا يبقى بيت الا وللفسقة كلام في شأنه وافتراء على أهله . نجانا الله مما نخاف. ويجمل بنا ان نختم هذا الباب بما قاله حضرة فريد افندي وجدي فى مقالته « نظرة فى تحرير المرأة » بعنوان :

ماهو الاصلح في حالة النساء التحجب ام الابتذال ؟

قال : اذا لم تثبت فرضية التحجب فبالاولى لم تثبت فرضية الابتذال وعلى هذا يجب علينا ان نعمل بهذه القاعدة الاساسية العامة وهي : كل مازاد نفعه عن ضرره وجب أخذه وكل مازاد ضرره عن نفعه وجب تركه وكل ماتساوى فيه الطرفان كان لنا الخيرة فيه . اذا تقرر هذا نقول : ماهي فوائد التبذل وماهي مضاره حتى نحكم بالاخذ به أو تركه على حسب هذه القاعدة المتقدمة ؟ نقول : لا نرى فى التبذل الا فائدة واحدة . وهي سهولة تعامل النساء مع الرجال وهذا التعامل لا تظهر فائدته الا باشتغال الاوليات بأشغال الآخرين . وقد سبق لنا ان برهنا على ان هذا ضد طبيعة المرأة ويجب ان يعد من الامراض الاجتماعية اللازم استئصالها بالطرق الحكمية كما أثبتنا ذلك علميا . ولو اعترض علينا بأنه قد يستحيل محو تعامل النساء مع الرجال مهما بذلنا من الوسائل . نقول : لو سلمنا بهذا الامر فلن يبلغ عدد المتعاملات للضرورة جزأ من عشرة من مجموع نساء الجمعية المتمدنة وعلى هذا فلا يجوز لنا أن نراعي الاقلية فى اباحة شيء فوائده موهومة ومضاره محققة منظورة . أما مضاره هذه فكثيرة جدا ولو لم يكن منها

الاسوق نسائنا الى الدخول في جميع الادوار التي دخلتها المرأة الغربية من جراء اختلاطها بالرجل لكفى بها وازعا قويا لرجل المشرق عن ورود هذا المورد الخطر .

ومن الأسف أنا معشر الشرقيين الجاهلين والمتجاهلين عظمة مدنيتنا الاسلامية القديمة التي هي نموذج الكمال البشري قد اعتدنا أن نضرب بالاورباوي المثل في كل شيء . فان دعونا الى الاتحاد قلنا احتذوا مثال الاوروبي فيه . وإن نادينا بلزوم التعاضد اشرنا الى اقتفاء أثر الاوربي فيه وان سعينا في تحسين حالة النساء استلفتنا الانظار الى المرأة الاوربية وضربنا بها الامثال . وهذا الامر منا نعده من الغلطات الكبرى فان مدنية اوروبا مهما بلغ شأنها في الصناعة ناقصة من أوجه كثيرة نقصانا يؤذن باستحالة ثباتها على تلك الحالة . ولسنا نقول ذلك من باب الحسد ولكن هي الحقيقة الناطقة لمن ألم باصولها وعرف اتجاه مجراها . وقد كتب الكاتب الروسي الشهير (تولستوي) مقالات ضافية الذيول مثبتا فيها أن كل أنواع الوحشية الاوربية القديمة موجودة للآن في ارجاء البلاد المتمدنة تحت حماية العلم ولكنها تطورت في أطوار أخر وتشكلت بأشكال تغر البسطاء ولا تخفى على الالباء . وقد قرأنا مرة مقالة لكاتب في احدى جرائدهم يقول فيها ما معناه : « انا معشر الاوربيين قد رتعنا في حياض المدنية ولكنا بغاية الاسف لم نكتف باقتطاف زهورها النضرة وثمارها الجنية ولكنا خلطنا ذلك بما فيها من حسك وحنظل وغرتنا الاماني حتى بتنا وقد أصبحت مدنيتنا مشوبة بما كان يجب أن تتبرأ منه

ولهذا هي قد آلت الى الانهيار على نفسها والسقوط بنا الى أسوأ مما كنا فيه . » ولا نشك ان من ضمن مساوي تلك المدنية هي حالة النساء فيها وقد أثبتنا ذلك من أقوال فطاحل كتابهم وعقلاء نسائهم مما لا سبيل للمكابرة فيه . ولو كان المجال أوسع من هذا لاتينا على الاحصائيات التي تشير الى المفاسد العامة والخاصة التي سببتها المرأة الغربية بغلوائها في الحرية .

يقول قائل : « نحن لم نشر بالابتذال المطلق ولكننا أشرنا بوجوب كشف الوجه واليدين فقط . » نقول : « قد ثبت أن التدرج سنة عامة في كل شيء فان كشفت المرأة وجهها اليوم فمن المؤكد انها تتدرج منه الى خلع العذار للنهاية غدا كما فعلت المرأة الاوربية وربما سبقتها في التبرج بعد حين قصير . » يقولون : « وما العمل اذا كانت المدنية الحالية تقتضي ذلك فهل يجوز لنا أن نحافظ على تقاليدنا القديمة المضرة رغما عن مطالب الحياة العصرية ؟ » نقول : « ليس للمدنية مجرى واحد لا تتعداه : فمن يكلف بدرس أشكال المدنيات القديمة يجد من التخالف في أصولها ما يجعله يجزم بأن طرقها كثيرة جدا وأحسنها ما كان سهل السلوك غير وعر الخطط مأمون العاقبة حاصلا على سائر مميزات الانسانية . ونحن لو قارنا بين المدنية الاسلامية الأولى (التي كان من اصولها احتجاب النساء) وبين المدنية الاوربية الحالية لوجدنا ان الأولى تفضل الثانية من حيثيات كثيرة : أولها انها كانت حائزة كل الكمالات الاخلاقية الصحيحة وفي التاريخ مقنع ممن كان له قلب ثانيها انها كانت أكثر تأثيرا على العقول فانها صبغت بصبغتها في مدة قصيرة امما ظلت آلافا من الاعوام حافظة لما هي

فيه بدون ادنى تدرج ولا اقل ترق . ثالثها انها كانت أسرع سيرا من مدنية أوربافانها ابلغت ذويها في مدة عشرات من السنين أوجا من العظمة لم تزل أوروبا مقصرة عن نوالها فيه من غالب الحيثيات ولا محل لتفصيل ذلك هنا لما يستلزمه من مقالات ضافية الذيول .

بناء على كل ذلك يلزمنا أن نمير مدنيتنا القديمة نظرة لنرى ماهي تلك الاسس التي قامت عليها وماهى تلك القواعد التي ثبتت أركانها حتى يتحقق اكثرنا طموحا الى المعالي ان السلم اليها قد تركناه وراء ظهورنا وهمنا في تيه البحث عن غيره على غير جدوى . فهل من نفوس كريمة يهزها ذكرى مجدها القديم فتلتفت الى أصوله لفتة علمية ترى انه هو المجد الصحيح الذي يجب ان تشد له رواحل العزائم والذي سيتضح للعالم اجمع يوما ما أنه هو نفس الكمال الذي ينشده الانسان ويتلمسه الوجدان . نعم (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) » اه .

هذا وبعد ان تهيأ الكتاب للطبع وطبع معظمه قرأت في المؤيد الاغر (١) مقالة رائقة المعنى شائقة المبني لحضرة صاحب الحجج الدامغة والفصاحة البالغة فريد افندي وجدي المت بجميع اطراف هذا الموضوع بعبارة سلسة معقولة فاتماما للفائدة وحفظا لهذه الدرر والفرائد رأيت ان أختم بها كتابي ليكون ختامه مسكا ان شاء الله تعالى قال :

(١) انظر اعداد المؤيد نمرة ٢٩٠٦ و ٢٩١٣ و ٢٩١٤ بتواريخ ٢ و ١١ و ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٩ م .

رأى الطبيعة فى مسألة المرأة

« نشرنا بالمؤيد ثلاث مقالات فى تهذيب المرأة ووعدنا فى الاخيرة »
« منها ببذل الوسع فى تمحيص حقائق هـذه المسألة المهمة قياما ببعض »
« الواجب علينا اذ انها من أكثر المسائل ارتباطا بحياتنا الاجتماعية »
« ولا تكفي فيها جولة قلم أو لفتة نظر . وتاريخ المرأة فى البلاد المتمدنة »
« من الادلة الواضحة على صدق ماتقول فان من يعاني درس الاحوال »
« الاجتماعية للامم الغربية ولا سيما من حيث علاقتها بالمرأة لا يسعه الا »
« التسليم بأن هذه المسئلة ان لم تكن أكثر الاشياء ارتباطا بحياة الامم »
« فهي من اكثرها ارتباطا بها . »

« ان مسألة هذا شأنها من الاهمية تعوز كثيرا من الدرس والتأني »
وتستلزم اهتماما كليا من سائر أصحاب الافكار فى الامة حتى يكون لنا »
« من تزاحم الظنون عليها مجاز ممهد الى سرها الحقيقي . وقد أوردنا فى »
« مقالاتنا السابقة أقوال علماء العمران من القارتين فى هذا الموضوع مما »
« يكفي لأن يعرفنا ان الضالة التي ننشدها لا يتوصل اليها من الطريق »
« التي اتبعتها المرأة الاوروبية ولا الاميريكية وان هناك طريقا آخر أسلم »
« خطة وآمن عاقبة . ولكن ماهو هذا الطريق وكيف يمكن الوصول اليه ؟ »
« أنعتمد على العرف والعادة فى بحثنا عنه مع علمنا بأن عرف اليوم قد »
« ينقلب نكر الغد والعادة المستحسنة فى هذه السنة قد تكون فى تاليتها »
« الرذيلة المستهجنة ؟ أم نقلد فيه سوانا على غير هدى وقد أذاقتنا الحوادث »
« علاقم تقليداتنا الاولى ؟ نعم لو كان أمامنا أمة تدعي أنها بلغت قمة الكمال »

« في هذه المسألة أو هي على وشك بلوغه لوجب علينا الاقتداء بها عملا »
« بقول سيد الوجود صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها »
«حيث وجدها » ولكن الامر بالعكس فلا نرى أينما وجهنا النظر في »
« الامم الا تشكيا من الحال وخوفا من المآل . اذن لم يبق أمامنا الا »
« طريق واحد يؤدي بنا الى ضالتنا المنشودة من أسلم السبل وأقومها »
« وليس ذلك الا باستفتاء نفس الطبيعة في هذه المسألة (قل انظروا »
« ماذا في السموات والارض) فانها لا تضن علينا بالجواب الشافي ما دمنا »
« نجاهد في هذا السبيل باخلاص وصدق عزيمة (والذين جاهدوا فينا »
« لنهدينهم سبلنا) ويكون حكمها في هذا الشأن غير قابل للنقض ولا التحوير »
« كما هو شأن العرف والعادة لان الناس فيهما لا (يتبعون الا الظن »
« وما تهوى الانفس) بخلاف نواميس الكون وقوانينه فانها ثابتة لا تتغير »
« ولا تتبدل (ولن تجد لسنة الله تبديلا) وعليه فنحن سنسلك في بحثنا »
« هذا عين الخطة التي يشير بها القرآن الشريف من درس نواميس »
« الكون والاعتبار بحوادثها . لاجرم أن هذه هي الخطة المثلي ومن »
« الغريب انها مطابقة لما اصطلح عليه البشر بالقرون الاخيرة في الوصول »
« الى الحقائق الصحيحة وقد سموا هذا النوع من البحث باسم(پوزيتيفزم) »
« أي المذهب التجربي . وقد رأينا ان نقدم بحثنا بايراد مقدمات محسوسة»
« لا مجال للجدال فيها حتى نصل الى النتيجة التي نتلمسها بكل اطمئنان »
« فيرى كل قارىء ويتثبت بطريقة محسوسة أن ماقررته الشريعة الاسلامية »
« هو عين ما تصرح به النواميس الطبيعية وتقتضيه الحالة البشرية »

« وسنفتتح كل مقدمة بالآية التي تناسبها فنقول :

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾

«نحن لما كنا نعلم ان سعي المرأة في الغرب وراء نوال استقلالها المطلق »
« من سلطة الرجل هو سبب كل ذلك الافراط الذي درسنا بعض »
« آثاره المحزنة في مقالاتنا السابقة وان هذه النزعة ربما انتقلت الى »
« الشرق بطريق العدوى تحت تأثير التعاليم المضرة رأينا ان نقيم الحجة في »
« مقدمتنا الاولى على ان ذلك الاستقلال المزعوم ضرب من ضروب »
« المستحيلات الطبيعية وان الساعي في تحقيقه كالساعي في تغيير أوضاع »
« نواميس الكون وهو مسعى يساوره الاخفاق من كل جانب . فنقول : »

« اثبت علم التشريح ان الرجل أرقى من المرأة جسما من سائر »
« الحيثيات وبدرجة محسوسة جدا حتى ذهب بعضهم الى ان المرأة الحالية »
« ليست انثى الرجل الحالي بل هي انثى كائن آخر يشبهها في تركيبها »
« وضعفها وان ذلك الكائن قد انقرض بمزاحمة الانسان له في الحياة »
« فتغلب على أنثاه التي من نسلها المرأة الحالية . هذا الفرض وان كان »
« تطرفا من بعض العلماء الا أنه يدلنا على عظم الفرق بين هذين »
« الكائنين كما نبينه تفصيلا فنقول : أثبت العلم بالتجربة أن متوسط »
« طول الرجل يزيد عن متوسط طول المرأة باثنى عشر سنتيمترا . هذه »
« الزيادة تشاهد عند المتوحشين كما هي عند المتمدنين وعند الاطفال من »
« كلا النوعين أيضا . وأما من جهة ثقل الجسم فان متوسطه عند الرجال »
« ٤٧ كيلو وأما عند المرأة فلا يزيد عن ٤٢ ونصف . وأما من حيث »

« المجموع العضلي فانه عند المرأة أقل منه كما لا عنـد الرجل بكثير . قال »
« الدكتور (دوفاريني) في دائرة المعارف الكبـيرة عند ذكره هـذا »
« المجموع : «انه أقل حجماً وأضعف منه عند الرجل بقدر الثلث وحركاته »
« أقل سرعة وأقـل ضبطا » أما القلب وهو مركز القوة الحيوية فانه »
« عنـد المرأة أصغر وأخف بمقدار ٦٠ جراما فى المتوسـط . أما الجهاز »
« التنفسي فانه لدى الرجل أقوى منه لدى المرأة فقد ثبت ان الرجـل »
« يحرق فى الساعة ١١ جراما تقريبا من الكربون وأما المرأة فلا تحرق »
« منه الا ستة وكسرا ولذلك فحرارة المرأة أقل من حرارة الرجل . أما »
« الحواس الخمس فقد أثبت الاستاذان (نيكولس وبيليه) انها أضعف »
« عند المرأة منها عند الرجل . فهي لا تستطيع أن تدرك رائحة عطر »
الليمون على بعد مخصوص الا اذا كان ضعف المقدار الذي يدركه الرجل »
« فيه . وشوهد بالامتحان ان المرأة لا تدرك رائحة حمض البروسيك »
« المخفف الا على نسبة $\frac{1}{2000}$ أما الرجل فيدركها على نسـبة $\frac{1}{10000}$. »
« أما حاسة الذوق والسمع فان الرجل أدق من المرأة فيها بكثير ويكفيك »
« دليلا على ذلك ان أهل الخبرة فى تمييز الطعوم ونقد الاصوات وتوفيق »
« نغمات البيانو كلهم من الرجال كما جاء فى دائرة المعارف الكبيرة . أما »
« حاسة اللمس فقد شوهد أن الرجل أدق من المرأة فيها . وقد برهن »
« الاستاذان (لومبروزو وسيرجي) وغيرهما بان المرأة تحتمل الالم أكثر »
« من الرجل مما يدل على قلة احساسها به قال لومبروزو : وهذا من حسن »
« حظ النوع الانساني فان المرأة معرضة لكثير من الآلام كالحمل »

« والوضع وغيرهما ولو كانت حساسة كالرجل لما استطاعت تحمل ذلك كله »
« يرى مما مر كله ان المرأة بضعفها أكثر تعرضا لمصائب الحياة من »
« الرجل وأشد استهدافا لانواع الامراض منه . قال العلامة (تروسيه) »
« في دائرة معارفه : « انه بالنسبة لضعف دم المرأة ونمو مجموعها العصبي »
« نرى مزاجها أكثر تهيجا من مزاج الرجل وتركيبها أقل مقاومة من »
« تركيبه فان تأديتها لوظائفها من الحمل والامومة والارضاع يسبب »
« لديها أحوالا مرضية قليلة أو كثيرة الخطر : فان الهستريا من أمراضها »
« الخاصة وهي عرضة للخوروز والحمى النفاسية والسل والسرطان وجملة »
« عوارض محزنة هي من لوازم جنسها .

« هنا يمكن أن يقول قائل : ان ذلك الضعف التشريحي الذي أثبته »
« نتيجة ضغط الرجل على حريتها واجبارها على ملازمة ما يفسد صحتها . »
« نقول : هب ان ذلك صحيح فما سبب رخامة صوتها ؟ على ان من الثابت »
« علميا ان سكان البلاد الحارة من المتوحشين يكلفون نساءهم بأعمال »
« الحراثة والزراعة وغيرهما من أول الخليقة الى الآن ومع ذلك فان تلك »
« الفروق تشاهد بعينها بين رجالهم ونسائهم . قال الاستاذ (دوفاريني) »
« في دائرة المعارف الكبيرة ان هذا الفرق يشاهد عند البتاجونيين (بعض »
« متوحشي امريكا) كما يشاهد عند البارزيين » وعليه فلا سبيل للجدل »
« فى هذه القضية »

« أما من جهة أفضلية الرجل على المرأة فى الادراك فما لا مشاحة »
« فيه حيث اثبتتها البسيكولوجيا (علم النفس) بالتجربة : فقد شوهد »

« أنه يوجد فارق جسيم بين مخي الرجل والمرأة مادة وشكلا . وكل من »
« يعرف ان المخ هو مركز الادراك يعرف تبعا لذلك ان من كان مخه أرقى »
« كان ادراكه أفضل . اثبت العلم ان مخ الرجل يزيد عن مخ المرأة بمقدار »
« ١٠٠ جرام في المتوسط ولا يعترض علينا بان ذلك الفرق منشؤه حجم »
« الاختلاف بين حجمي الجسمين لانه شوهد أن نسبة مخ الرجل »
« الى جسمه هي كنسبة $\frac{١}{٤٠}$ أما نسبة مخ المرأة الى جسمها فكنسبة $\frac{١}{٤٤}$. »
« وفرق بين النسبتين . وغير هذا فان مخ المرأة أقل ثنيات وتلافيفه أقل »
« نظاما . وهذه المشاهدة يعدها العلماء من أكبر مميزات الجنسين . »
« وكذلك يوجد اختلاف بين المخين في المادة السنجابية التي هي النقطة »
« المذكورة من المخ : فهي عند النساء أقل منها عند الرجال بدرجة »
« محسوسة جدا . ولكن في مقابلة ذلك نجد مراكز الاحساس والتهيج »
« عند المرأة أحسن تركيبا منها عند الرجل . قال الاستاذ (دوفاريني) : »
« وهذا مطابق لمميزات الجنسين من الحيثية النفسية فان الرجل أكثر »
« ذكاء وادراكا وأما المرأة فاكثر انفعالا وتهيجا . »

« لاشك ان كل هذه الاختلافات المخية تدلنا بأوضح برهان على »
« ان مركز الادراك في الرجل أرقى منه في المرأة فيكون هو أفضل منها »
« عقلا . ولا يمكن أن يعترض علينا بان ذلك نتيجة حرمان المرأة من »
« التهذيب طول تلك القرون الخالية وان بمرور الزمن قد ينمو مخها حتى »
« يساوي مخ الرجل لان تلك الفروق تشاهد بعينها في الشعوب العريقة »
« في الوحشية التي لاحظ لكلا الجنسين فيهما من التعلم فلو كان السبب الذي »

« رقى مخ الرجل عن المرأة هو التعلم فلماذا نشاهد تلك الفروق بنفسها »
« عندهما وهما فى حالة السذاجة الطبيعية الاولى التي لا يفضل أحدهما »
« الآخر فى مزية عقلية ما . ولكن ليهدأ أنصار المدنية الغربية فقد أثبت »
« القوم انهم كلما ازدادوا تمدنا كلما ازداد الاختلاف بين الرجل والمرأة »
« فقد جاء فى دائرة المعارف الكبيرة مانصه : « الاختلاف الطبيعي يزداد »
« وضوحا بازدياد التمدن بحيث فقد أصبح الفرق بين الابيض والبيضاء »
« أكبر بكثير من الفرق بين الاسود والسوداء الخ . »

« اذا تقرر هذا كله وثبت لنا بالبراهين المحسوسة ان الرجل أفضل »
« من المرأة جسما وعقلا نقول : ان طلب مساواة الجنسين فى سائر الحقوق »
« هو عبث محض والساعي في تأسيسها كالساعي في جعل الارض تجذب »
« الجسمين المختلفين فى الوزن بدرجة واحدة وهو مما لا يتصور حصوله »
« ولو حصل لاختل الكون ولاصبح أثرا بعد عين . فلتسامحني حضرات »
« السيدات فى خشونة مقدمتي هذه فان الابحاث العلمية لا محاباة فيها »
« ولتسمحن لي باختتام ماقدمته بانهن سيبقين دائما تحت سلطة الرجال »
« وسيطرتهم ولا عار عليهن من تحمل تلك السلطة الطبيعية بل يعار عليهن »
« بما أتوا من الذكاء أن يسعين فى نبذها : فذلك جهد يذهب ادراج الرياح »
« ونحن بعد ان ازلنا هذه العقبة الكؤود من طريق بحثنا ندخل فى »
« الموضوع على النسق الذي توخيناه هنا من استجواب الطبيعة واستفتائها »
« جريا على أمر القرآن الكريم والله المستعان . »

﴿ انا كل شيء خلقناه بقدر ﴾

« لكل كائن فى هـذا الوجود (كمال) مسير اليه بقوة الارادة »
« الإلهية ليتم الإبداع الذي قدره الصانع جل وعلا لمجموع هذا الكون »
« البديع . فلكل شخص من أشخاص المواليد الثلاثة من جماد ونبات »
« وحيوان (كمال) خاص به قد تكلفت العناية الإلهية بسوقه اليه رغم »
« انفه إما بواسطة النواميس الطبيعية كما في الجماد والنبات وإما بواسطة »
« الالهام الفطري كما فى الحيوان . أما الانسان وهو ذلك الكائن السامي »
« فقد اقتضت حكمة البارىء عز وجل لغرض قد لا يدركه الا الراسخون »
« فى العلم ان لا يخلقه مطبوعا على عمل خاص وانما يهبه مقابل ذلك قوة »
« ادراكية تصلح لان يتناول سائر ما يتصور من المعلومات الغير متناهية »
« من طرق غير متناهية وبوسائل لا يحصرها حد . »

« ومن يدقق النظر فى أجزاء هذا الكون البديع يرى ان الخالق »
« تقدست أسماؤه قد وهب كلا منها خصائص يباين بها سواه لتسوقه »
« بقواها الكامنة الى اداء عمل خاص يخالف سائر أعمال الاجزاء الاخرى »
« ليتكون من مجموع تلك المتباينات الكونية هذا الوجود الذي تحار »
« العقول والابصار فى جماله وكماله . على اننا لا نستطيع أن ندرك كمال »
« جزء من أجزائه الا اذا علمنا (ماهيـة الوظيفة) التي خلق لاجلها »
« فيكون كماله على قدر احسانه القيام بتلك الوظيفة »

« سبحان الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى » . قضت حكمته »
« تعالى أن يكون شأن الانسان فى كل شيء مباينا لشؤون سائر الانواع »

« الحية لحكمة لا يفقه كنهها الا هو . فبينما ترى كلا من الكائنات قد »
« سيق رغم أنفه الى أداء وظيفته وطبع على التزام حدودها ترى هذا »
« الانسان لم يزل يتساءل (الا من أحياه الله بالعلم اليقين) لماذا خلقت »
« ومن أين أتيت والى أين أذهب ؟ ولكن لا نظن ان الخالق العظيم »
« قضى على الانسان بالبقاء أبديا فى هذه الحيرة فلا بد أن يكون قد »
« أحاط وجوده بعوالم تتقاسم أحواله وأطواره حتى تؤديه ولكن بعد »
« هنا وهنات الى الطريق الاقوم والصراط المستقيم (سأريهم آياتي فلا »
« يستعجلون) ونحن لو أردنا أن ندرج سر تدرك الانسان من البهيمية »
« الى الانسانية الكاملة نجده في اكتشافاته المتوالية لنواميس الطبيعة »
« وعدم معارضته لسيرها واستخدامه قواها لمنافعه الخاصة حتى يمكننا »
« أن نقول ان نهاية الكمال المدني الذي سيدركه الانسان يوما ما (وان »
« يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) هو اكتشافه لسائر نواميس »
« الكون السائدة على وجوده »

« ولكن يجب علينا هنا أن ننبه بأن الانسان ليس بمفطور على ان »
« يعمل بما يعلم فهو كثير المحاولة شديد المراوغة والتلاعب يلوح له الخيال »
« والحقيقة فى أمر فيغره الاول بظاهره المموه ورواثه المزخرف فيميل »
« اليه وهو عالم بما يسوقه من النتائج الوخيمة عليه على أمل أن يقضي »
« منه وطرا ثم يعود الى الحق عود التائب المنيب وقد يشكل عليه كلا »
« الامرين أحيانا فيختار أكثرهما تأثيرا على هواه ظانا ان فيه دواه . »
« وهو مثار جواه . ومنبعث بلواه . ولكن الطبيعة واقفة بالمرصاد تنزل »

« على العابث بنظام مبدعها عقاب ما اجترحت يداه مصداقا لقول الله »
« (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ليفيء الناس الى رشادهم وليتبينوا »
« بتأثير المصائب طريق اسمادهم (لنذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم »
« يرجعون) »

« كل هذه المقدمة لاتعد شرودا منا عن موضوع البحث فقد »
« اقتضاها المقام كما يلوح لكل متأمل فلندخل الآن الى سر مسئلتنا »
« ولكن بعد أن نرجو القارىء أن يستحضر فى فكره كل خرافات »
« المتغاليات من النساء في المطالبة بالمراكز السياسية ومشاركة الرجال »
« فى ادارة الشؤون العمومية وفى الاشتغال بسائر الاعمال الصناعية »
« ليطبقه على ما سنتلوه عليه من وظيفتها الطبيعية ليرى ان تلك المطالب »
« يستحيل تحققها اللهم الا اذا تغير شكل جسمهن وزايلتهن لوازم »
« جنسهن فنقول : »

ماهي وظيفة المرأة الطبيعية

« للمرأة فى الحياة الانسانية وظيفة سامية للغاية وهي حفظ النوع »
« البشري واستدامته مما لا يتأتى للرجل ان يشاركها فيه لانه يتعلق بشكل »
« التركيب الجسمي الامر الذي لايمكن الحصول عليه بالتصنع ولا التقليد . »
« فمن يكون على بينة من علم التشريح يرى أن هذين الكائنين اللذين »
« لا يفترقان في ظاهرهما الا بفروق صغيرة مختلفان فى تركيبها الداخلي »
« اختلافا كليا مما لا سبيل للمقارنة بينهما . هذه الوظيفة الخاصة بالمرأة »
« لها جملة أدوار تتعاقب عليها ولكل دور منها لوازم لا تزايلها يجب الالمام »

«بها لندرك أهمية هذه الوظيفة وخطرها . فهي تستلزم الحمل والوضع»
«والارضاع والتربية . ومن يتأمل فى مقدمة مقالتنا هذه ويتحقق ان»
«لكل كائن وظيفة يتوقف (كماله الشخصي) على حسن أدائها وجب»
«أن يتساءل معنا عن ماهيـة حدود وظيفةالمرأة وعن كيفيـة حسن»
«أدائها لها لنعلم تبعا لهذه البـديهة العلمية على أي شيء تتوقف سـعادة»
«الجنس اللطيف فنقول» :

ماهي حدودوظيفة المرأة واختصاصاتها ؟

«قلنا ان وظيفة المرأة تستلزم أربعة أدوار حمل ووضع وارضاع»
«وتربية . ولكن ماذا يفيد هذا الاجمال بالنسبة لهذه الاحوال الاربع»
«التي وضع العلماء في شرحها قديما وحديثا مالا تكفي عدة صحف لسرد»
«أساميها فضـلا عن التعمق فيها ؟ فمن يبلغ عني تلك المرأة الحامل التي»
«تحشر نفسـها فى زمرة المضربين عن العمل بأنها انما تعرض نفسـها»
«باستهدافها للوكز والدفع الى أشد الاخطار على حياتها وحياة جنينها !!»
«ومن يبلغ عني تلك المرضع التي تصيح وتنفعل انتصارا لرأيها السياسي»
«انها بذلك الانفعال النفسي تفسد لبنها فتسقي ولدها منه سما زعافا ربما»
«قضى على حياته القضاء المبرم !! ومن يبلغ عني تلك الام المحامية التي»
«تقضي طول نهارها فى المدافعة عن مجرم تخفف ويلات العقاب عنه»
«ومعظم ليلها فى جمع المستندات وتنقيب شروح الشريعـة انها باهمالها»
«التعمق فى علم التربية تسيء آداب ولدها من حيث تظن انها تحسنهـا»
«فينشب شريرا عتلا زنيما ثم لا تستطيع أن تبرئه عنـد المحاكمة بفنونها»

«الجدلية !! أليست هذه الاشياء كلها تمردا على نواميس الطبيعة وعصيانا»
«لاحكام مكونها» ؟

«اليست اهمالا من المرأة لشؤون وظيفتها الطبيعية التي يتوقف»
«عليها كمالها وسعادتها واشتغالا بما يضرها هي ومجتمعها لابعاده إياها»
«عن كمالها الذي لايتم كمال المجتمع الا به ؟»

«يقول قائل : وماذا يضرنا لو أحسنت المرأة عملها الخاص بها ثم»
«التفتت الى عمل غيرها فساعدته فيه ؟ نقول لهذا المعترض لا يفصل»
«هذه القضية بيننا بحكم لا يقبل استئنافا الا الطبيعة البشرية نفسها فلنوجه»
«اليها هذا السؤال : »

«هل تستطيع المرأة أن تبلغ الكمال في وظيفتها الخاصة بها مع»
«مشاركتها للرجل فى وظيفته الخارجة ؟ انا لنسمع الطبيعة تصيح بيننا»
«بلسان فصيح قائلة كلا ثم كلا واليك التفصيل : أما فى مدة التسعة»
«أشهر للحمل فلا تستطيع المرأة احسان عمل من الاعمال مطلقا لان»
«جنينها فى تلك المدة يدخل فى أدوار مختلفة ولكل دور منها آثار تبدو»
«عليها وأعراض لاتفترق عن أعراض الامراض فى شيء لانها نتيجة»
«تفاعلات باطنية تؤثر على مجموع البنية تأثيرا يختلف باختلاف طبيعة»
«الجسم نفسه من قوة وضعف . ولهذا الدور من أدوار حياة المرأة»
«شرائط صحية كثيرة اكتشفها الاطباء من تجاربهم العديدة ويجب على»
«الحامل ملاحظتها بالدقة وتطبيقها على سائر أطوار الحمل المختلفة لتخرج»
«منه هي وولدها سليمين والا فتكون قد عرضت نفسها لاخطار قد»

«تذهب بحياتها هي وفلذة كبدها دفعة واحدة»

«يقول الاطباء : ولما كانت مدة الحمل فى الحقيقة حالة مرضية»
«وجب على أهل الحامل أن يعاملوها بمزيد الرعاية مع ابعادهم عنها كل»
«ما يكدر أفكارها أو يعارض مزاجها لتأثير كل ذلك على صحتها وصحة»
«جنينها وان يحتملوا ما يبدو منها من حدة الخلق وشدة الانفعال لانها»
«تكون مكرهـة على ذلك من جراء الاضطراب العصبي الذي يلازم»
«تلك الحالة»

«أما دور الوضع فهو دور شديد الهول كثير المخاوف تتعرض»
«الحامل فيه لآلام حادة وتقع بعده فى مرض حقيقي وضعف شديد»
«وقد أفرد الاطباء لهـذا الدور كتبا ضخمة ملآى بما يجب مراعاته»
«نحو الوالدة من القواعد الصحية التي تكفل نجاتها من الحميات الكثيرة»
«الانواع التي تتهددها فى ذلك الحين»

«أما دور الارضاع فهو وان كان أقل خطرا من الدورين السابقين»
«بالنسبة للام الا أنه أشد خطراً بالنسبة للطفل فان له قواعد مخصوصة»
«وقانونا يجب مراعاته تمام المراعاة لان اسراف الام فى أكلة متبلة»
«ربما جرت على طفلها نزلة معدية أوردته حتفه أو ربما أكثرت من»
« ارضاعه بغير تدبير فسببت لديه تخمة تنكد عليها حياتها وحياة أهل »
« بيتها أجمعين . وليس الامر قاصرا على هذا فان الطفل يحتاج من يوم »
« ولادته الى يوم فطامه لملاحظة شروط جمة بالنسبة لتغذيته وكسوته »
« وتنظيفه لو أهمل منها واحد أثر على المولود تأثيرا سيئا ولو كان فى »

« بلادنا أحصائيات كاملة لعلمنا منها ان أكثر الاطفال يموتون من جهل »
« الامهات بشروط التربية الطفلية . »

« أما وظيفة التربيــة فهي من أقدس الوظائف وأدعاها للعناية »
« والاهتمام فان الطفل عند مايخرج من ذلك العالم الغيبي تكون مرآة »
« نفسه خالية من جميع الصور مبرأة من جميع النوائب الاخلاقية والمعائب »
« النفسية وقابـلة لأن ترتسم فيها كل صورة عرضت اليها على علاتها »
« ولكل من هـذه الصور لوازم وآثار تؤثر على وجدان الطفل عنـد »
« مايشب وتسوقه رغم أنفه الى الوجهة التي تهيئها له . فما الجبن والشجاعة »
« وما المكرم والبخل وما البشاشة والعبوس الى غير ذلك من الرذائل »
« والفضائل فى الانسان الا آثار تلك الصور التي ارتسمت فى مخه وهو »
« خالي الذهن من كل شيء . فاذا كان الناس قد اعتادوا أن ينظروا الى »
« من ورث مالا فأساء التصرف فيه بعين الآسف المتلهب فبالأولى »
« يجب عليهم ان ينظروا بتلك العين الى الام الجاهلة بشرائط تلك التربية »
« بل شتان بين كنز يبـذر وبين نفس كريمة تقتل قتـلا أدبيا فيشب »
« صاحبهـا رغم أنفه جائحة على بني جلدته ومصيبة على اخوان ملتـه »
« أوبالاقل غير نافع لقومه مع انه لوكان ممن أسعده حظه فأحسنت امه »
« تربية ملكاته وتنمية مواهبه لشب وهو واحد من أولئك الافراد الذين »
« تسعد بهم الامم وترقى بهممهم الى أوج الجلالة والعظم . فهل يأتي على »
« الناس زمان يدركون فيه هـذه الحقيقة الجليلة فيلقون على الأمهات »
« هذه المسؤولية العظمى ؟ وهـل يأتي عليهم حين يعلمون فيه ان فن »

« تربية الاطفال ليس من الفنون البسيطة التي تتعلم فى شهر أو شهرين »
« بل تقتضي سنين طويلة لانها تتناول معظم العلوم النفسية وكيفية »
« تربية الملكات ومعالجتها بالطرق الحلمية ؟ وهل يأتي عليهم وقت »
« يعرفون فيه ان هذه العلوم لاتساع موادها وتشعب أصولها لا تدع محلا »
« لسواها من العلوم الاخرى الا بما يقيم أود الفكر ويصقل مرآة البصيرة ؟»
«اذا أتى علينا الزمان المنتظر فهل نقول وقتها بلزوم اشتغال النساء»
«باشغال الرجال وقد أثبتنا من قول علماء العمران فى مقالاتنا السابقة»
«انها تسلخهن من عائلاتهن سلخا وتقوض دعائم أسرهن تقويضا ؟ ثم»
«هل نذهب الى ضرورة نبذ الحجاب واختلاط النساء بالرجال وقد»
«برهنا من أقوال العلماء من العالمين الاوروبي والامريكي على ان لا نتيجة»
«لذلك الا التهالك على التزين والتبرج واقمنا الادلة من قول نفس المرأة»
«ان ذلك الاختلاط الذي يدعون ان فيه فوائد للنوعين لا أثر له فى ترقية»
«شأن المرأة لانهم يقصرون المقابلات على تبادل التحايا ذوات المعاني»
«المتنوعة التي كانت تستعمل بعينها في مدة لويز الخامس عشر ؟ بأي صفة«
«يلزمنا ان نصف المرأة التي تترك فلذة كبدها فى حجر مرضعه أو مربيته»
«الجاهلة لتذهب هي الى اندية السياسة لتلقي الخطب فى تأييد وزاوة»
«أو فى تفنيد مطالب حزب من الاحزاب ؟ لاشك يجب علينا ان»
«نصفها بالمجرمة الجانية المتعدية لحدودها ويلزم منعها واستلفاتها بما يمكن»
«من الوسائل الى ذلك المولود الذي ألقته القدرة الإلهية الى عهدتها»
«لتقيم أود جسمه وعقله عوضا عن اشتغالها بما لا يتمطل بدونها لانها»

«بخطبها إنما تؤدي وظيفة خطيب وكثير ماهـم ولكنها باهمالها شأن»
«مولودها تدعه لتربية الصدف وهي لاتكفي مهما كانت حسنة لان تبرز»
«مكنونات الفطرة أو تستخرج عجائب القوى النفسية فيشب كما يجيء»
«لا كما يجب مع انه كان فى مكنة امه ان تبث فى روحه روح الكمالات»
«والفضائل وتحيط نفسه بسياج من الحكمة تمنعه من مقارفة الرذائل»
«ومداناة المقاذر فيكبر رجلا صالحا يخدم امته خدما ترفع مجدها الى»
«عنان السماء ويخلد لوالدته الفاضلة اسما بين فواضل هذا النوع الانساني»
«فيرحمها من فى الارض ويصلي عليها من فى السماء هذه هي (المرأة الكاملة)»
«المربية المحتجبة بحجاب العفاف والصيانة . حجاب الكمال والرزانة التي»
«هي فى لزوم بيتها وعدم تبرجها كالقلب من الجسد محتجب بين الاضلاع»
«لعدم استعداده مثلها لمقاومة المؤثرات الخارجية ولكنه احتجاب لم يمنعه»
«من تأدية وظيفته السامية للبدن كله كما لم يمنع الناس من تقديره حق»
«قدره فهو مستودع الحياة ومنظم حركات سائر الأعضاء . وهو»
«المخصوص بالرعاية والملحوظ بكل العناية»

«يقول: قائل ان كلامك هذا يقرب ان يكون خياليا شعريا بالبعد»
«تحققه لاسيما ونحن فى زمن لعبت فيه الاهواء بألباب الرجال وصار»
«من الصعب فيه تمييز النقص من الكمال حتى لانجد فيه الا غاراأوتي»
«حيل الشياطين أو مغرورا دفعه وهمه الى أسفل سافلين . زمن لا يطبق»
«فيه العلم على العمل الا فى الصناعة فقط وأما ما يختص بتهذيب النفس»
«وكبح الاهواء فيقتصر علي تدوينه فى الاسفار الضخمة ليتلوه من أراد»

«أن يفهم معنى علم الاخلاق فلبست الوحشية والعياذ بالله لباسا من»
«استبرق الصناعة وتحلت من حلي الفنون الجميلة بما يغر البسيط حتى اذا»
«قرب منها أبرزت له أنياب الافاعي ومخالب الاسود الضواري فمزقته»
«أو يهجر ضرتها الانسانية هجرا كليا ويظل أمام هيكلها راكعا ساجدا»
«يعبد هواه حتى يقضي الله أمرا»

«نقول لهذا القائل : نحن لم نرد أن نبحث في عجالتنا هذه عما اذا»
«كان من الممكن أن أهل المدنية المادية العصرية يوفقون بينها وبين»
«مطالب الانسانية ولكنا أردنا فقط أن نعرف ما هية (المرأة الكاملة)»
«وقد استجوبنا الطبيعة في ذلك الشأن فأجابتنا بلسان نواميسها الناطقة»
«بأن كمالها لا يتأتى الا اذا عرفت كنه وظيفتها ومبلغ اختصاصاتها وقد أريناك»
«أنها اختصاصات خطيرة على ملاحظتها سعادة البشر كما ان على اهمالها»
«شقاءه ولا نظن ان ما أوردناه هنا يقبل جدلا لانا انما استفتينا نواميس»
«الحكمة الإلهية فافتتنا ومن أراد جدالها فقد جادلها كثيرون فكبتتهم»
«بعد ما بكتتهم ولم يزل يجادلها الناس في كل مكان وهي تقيم عليهم الحجة»
«بعد الحجة قولا وفعلا . أما قولا فبلسان علمائها ممن ذكرنا بعضهم»
«سابقا ولو شئت لاتيناك بهم قبيلا . وأما فعلا فبالفساد الذي ينتشر»
«فيهم كلما لجوا في جدلها وتمادوا في محاولتها»

«نحن لا نقول ان المرأة حاصلة على حريتها في أي أمة من الامم»
«بل هي لم تزل مستعبدة أسيرة بجهلها في كل بقعة . ولكنا نقول»
«والبراهين بين أيدينا انها أشد عبودية في البلاد الغربية منها في البلاد»

«الشرقيـة لان حريتها ليست في رفع الحجاب والاذن لها بالخوض في»
«معترك الحياة وهو ذلك المعترك الهائل الذي لا ينال الفوز فيه الا باقتحام»
«المخاطر . وتكبد مشاق تشق المرائر . معترك يأ كل القوي فيه الضعيف»
«وليست القوة والضعف فيه تتعلق بصلابة العضل أو بلينه فقط بل بأمور»
«أخرى أيضا مركزها العقل وحسن التصرف بقوى الفكر . ولو قارنت»
«الرجل والمرأة من هاتين الحيثيتين لحكمت لاول وهلة ان الغالب ان»
«يكون على أي حال الا الرجل دون سواه كما أثبتنا ذلك علميا . فأي»
«خديعة تخدع بها هذه المرأة الضعيفة أشد من جعلها ترمي (سلاحها»
«الطبيعي) الذي يمكنها أن تنال به مركزها السامي في هذه الحياة وتتناول»
«سلاحا آخر لا تحسن استعماله امام مغالبيها مهما استبسلت واستماتت؟»
«اذا علمت ان الحياة حرب عوان وتنازع في البقاء فقل لي أي سلاح»
«يليق أن تخترق به المرأة المسكينة صفوف هذه الهيجاء المستمرة ؟ أتجعل»
«سلاحها العلم ؟ السياسة التجارة ؟ الصناعة ؟ الزراعة ؟ كل هذه أسلحة»
«يستطيع الرجل أن يغلبها بها ولا سبيل للمكابرة . اذاً هل خلقت المرأة»
«ليطحنها الرجل بكلا كل الغلبة والقهر كما يرى ذلك في بلاد المدنيـة»
«حيث تجد أسرابا من ذلك الجنس اللطيف يقضـين الليل والنهار في»
«العمل الشاق بالمعامل لسد رمقهن وكسوة أبدانهن حتى لم يسمح لهن»
«الشغل أن يتزوجن فصرن كما يقول الاستاذ (فريرو) وغيره لا رجالا»
«ولا نساء بل جنسا ثالثا من مميزات شحوب الوجه وعبوسه ودوام»
«الاكتئاب والماليخوليا ؟ وهـل من آثار حرية المرأة هجرة الشابات»

«والعجائز منهن الى البلاد الشرقية بعشرات الالوف ليؤدين وظيفة»
«خادمات عند الشرقيين أو حاملات لاطفالهم ؟ اللهم ان كان ذلك»
«التحرير يؤدي المرأة الى هذه الحال التعيسة فما أجدر نساءنا بأن يرفعن»
«ايديهن الى السماء داعين الله أن يسبغ عليهن نعم الاستعباد باكثر»
«مما هن فيه !! »

«كلا لم تخلق المرأة لتستعبد فيجب عليها أن تجاهد لنوال حريتها .»
«ولكن بأي سلاح ؟ بسلاح وهبه الله لها وليس من جنس سلاحنا وليس»
«في مكنتنا أن نقابلها بمثله ولكنها بغاية الاسف غافلة عنه ولا تفكر فيه»
«وليس ذلك السلاح الا معرفتها خطارة وظيفتها وسمو مقام الهبة التي»
« منحتها والعمل على حسن التصرف بها . هذا السلاح يجعلها موضوع »
« التجلة والاحترام ومحل الاجلال والاعظام لانها تعتبر عندئذ مليكة»
« لأزمة الاحساسات وسلطانة على منازع الطباع فهي ان شاءت جعلت »
« الحكومة ملوكية وان شاءت قلبتها جمهورية وان شاءت عملتها اشتراكية»
« وما ذلك الا بتربية الاطفال على حسب أميالها وسوقها الى الغاية التي »
«تتمناها فتهابها الحكومات ويخشى سطوتها الملوك في عروشهم السامقات»
«ويعدونها مزعزة ان لم ترض عنهم الامهات . وتستطيع وقتها ان »
«تقتاد الرجل بزمام من حديد لتنتقم منه على مااجترحت يداه في حقها»
«حيث كان يتركها تعمل بجسمها لتنال بلغة تتلمظ بها هربا من انياب»
«الموت لولا ان الخالق تقدست صفاته قد احتاط لهذا الامر فوهبها»
«من رقة الاحساس والشفقة المتناهية والعواطف الرقيقة مايؤهلها»

«لمنزلتها هذه من السيطرة وقيادة الاميال فهي لاتأمر الا بالخير ولا تبعث»
«الا لمرحمة »

«هذاهو سلاح المرأة الذي لوعلمته لسمت اليه سميا حثيثا ولومت»
«بقول كل من يريد ان يلفتها عنه عرض الحائط ولا تهمته بأنه يحسد»
«مستقبلها فيريد ان يوجهها الى مايزيدها أسرا ويجعل عيشها مرا . هل»
«ترضى المرأة عند ماتعرف كنه مستقبلها هذا أن ترفع الحجاب ؟ كلا»
«لانها تعلم ان ذلك يسوقها الى محجة التزين والتبرج ويبعثها الى البذخ»
«ومتابعة الاهواء كما اثبتنا لها ذلك مما لاسبيل معه للمكابرة وهو أمر»
«يعطلها بل يصدها عن بلوغ شأوها المنتظر . ثم هل تميل لان تجاري»
«الرجال في الاشغال ؟ كلا . لان ذلك يسلخها عن عرش ملكها (اسرتها)»
«سلخا فلا تتوصل الى مركزها المستقبل الذي فيه سعادتها وحريتها . اذا»
«ماذا تعمل ؟ تتعلم كيف تكون اما وتدرس قوانين وظائفها وتدأب على»
«مطالعة أسرار التربية وعجائبها التي بها يصير الجبان شجاعا والبخيل»
«كريما والامبراطوري جمهوريا والاشتراكي ملكيا الخ وتترك التبرج»
«والتباهي بتعلم اللغات الاجنبية ولا تسرف في الزخارف فان الانهماك»
«على كل ذلك يبعدها عن كمالها الذي فيه سر مجدها ويجرها تدريجا»
«الى مافيه عبوديتها ورقها . ولا يغرها لاتراه من انطلاق النساء في غير»
«قومها ولا تستنتج من تطوافهن مع أزواجهن في الشوارع انهن أقرب»
«منها الى ذلك المستقبل السامي . كلا فقد جرهن ذلك الانطلاق»
«الى طريق غير طريق سعادتهن وقد أخذ قومهن في التشكي من»

«حالتهن وقد نقلنا عنهم كل ذلك تفصيلا ومن استزادنا زدناه تطويلا.»
«تلك هي المرأة الكاملة وتلك هي حريتها الحقيقة وذلك هو سلاحها»
«في معترك هذه الحياة فليتخذ الشرقيات هذا المثال نصب أعينهن»
«وليعملن على التقرب منه شيئا فشيئا حتى ينلن سعادتهن وينلننا سعادتنا»
«المرتبطة بهن والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل . اهـ»

ذيل

كتب بعضهم ـ الموسيو ا . م . دي افيرينو ـ في جريدة الفارد الكسندري في عددها الصادر في ١٥ دسمبر سنة ١٨٩٩ مقالة عنوانها « تحرير المرأة » يقول فيها ان نساء المسيحيين في البلاد الاسلامية كن يحتجبن احتجاب نساء المسلمين لعهد غير بعيد ثم نبذن ذلك الحجاب وبرزن من خدورهن واختلطن بالرجال وقلدن الفرنجيات فتقدمن تقدما عظيما وأفادهن الاختلاط فوائد جمة ما كن يحصلن عليها وهن محتجبات. وانه يصعب عليه أن يرى نساء المسلمين محرومات من هذه المزايا والفوائد ولذلك يدعو الى الحث على رفع حجابهن واختلاطهن بالرجال وتخليصهن من هذا السجن الذي هن فيه وهذه الحياة المرة التي تقاسينها: ويقول انه ليس بعد ما أصبح عليه النساء المسيحيات دليل على نعم الاختلاط وعلى ضرورة الاقتداء بهن وان من يرميهن بغير صفات العفاف والصون والكمال فقد افترى عليهن وكذب والا فلو كان ما يرموهن به صحيحا ما كنا نشاهد هذا التقدم السريع والعظيم في البلاد المسيحية وهي أعظم البلاد منعة وقوة واقتدارا في هذه العصور باعتراف الجميع . كما أنه لا يعتقد بقول من يقول ان لكل دين خلقا ولكل قوم آدابا وطبائع وان هذه العوائد لا تلائم أخلاق المسلمين ولا طباعهم اذ ماذا يضر المسلمين لو قلدوا الفرنج في هذا الامر أيضا بعد ان قلدوهم في كل شيء : فقد قلدوهم في المأكل والملبس وتعلموا لغاتهم وبنوا بيوتهم على طرازهم وسبقوهم حتى

في شرب الخمور الذي تحرمه ديانتهم !!

واختتم الكاتب مقالته بقوله انه مهما كانت مزايا الاختلاط ورفع الحجاب عظيمة ويجب تحقيقها للمسلمات فان يشك فى أن النتيجة تكون حسنة بالنسبة لهن حتى لو اتبع فى ذلك التدرج ما دام الطلاق وتعدد الزوجات على ماهما عليه ولم تضيق دائرتهما ولم يجعلا على طريقة تضمن للمرأة بقاء الزوجية فان المرأة المسيحية يمنعها من الابتذال ارتباطها بزوجها أما المرأة المسلمة فاذا أبيح لها الاختلاط ورفع الحجاب مع بقاء الطلاق وحق التزوج بغيرها فى يد الرجل كما هو الآن لكانت النتيجة أوخم والعاقبة اسوأ والضرر أعظم ولاصبحت المرأة كمتاع تصبح فى يد زيد وتمسى فى حوزة عمرو بدون أن يكون لها بيت حقيقي تنتسب اليه ولا وطن اليه تعزى ويكون مثل من دعى الى تحريرها كمثل من يملك منزلا آيلا للسقوط فلما حاول ترميمه تهدم وبقي صاحبه بلا مأوى ولا ملجأ ولذلك يجب على كل من يريد تحسين حالة المرأة المسلمة وتحريرها أن يسعى أولا فى تضييق دائرة الطلاق لدرجة أن يكون كممنوع ثم تحرير الرجال من نير الجهالة الذي أثقل كاهلهم ورفع الغشاوة التي أعمت أبصارهم وبصائرهم . اه

هذا ما جاء فى جريدة الفار . واننا لا نتكلف الرد عليه بغير ما ذكرناه فى هذا الكتاب ولا نقول ان عدم الطلاق من مسببات الابتذال ولا أن المرأة لو وجدت نفسها مهددة بالطلاق تعمل جهدها في ارضاء زوجها فقط نستلفت الانظار الى كتاب حديث وضعه الموسيو «البيرسيم» أحد علماء

فرنسا باسم « النساء المحررات » ليعلم نصراء تحرير المرأة ماذا انتج هـذا التحرير بالبـلاد الاوروبية وماذا ينتظرها من الاخطار من جراء فوشوّ هذا المـذهب بل هذا الداء العضال . وهذا الكتاب وحـده كاف للرد على جميع مدعيات نصراء الابتذال ومدحض لكل الحسنات الموهومة التي يتوهمونها أو يتخيلونها فى تحرير المرأة . ومظهر ماهي أماني المرأة الوهمية ومطالبها الخيالية التي تحاول الوصول اليها باسم التحرير

فلنعتبر ولنتعظ ولا نغتر بما نراه ونسمعه من زخرف القول والكلام اللين ومحاولة الاقتناع والتأثير فللقوم غاية لم يبق مجال فى اخفائها أو فى تجاهلها بعد ان تردد صداها فى الخافقين : فقد نقلت مجـلة الموسوعات الغراء فى عددها الصادر فى أول شعبان سنة ١٣١٧ ضمن مقالة غراء عنوانها « نفثة مصدور » بقلم حضرة مديرها محمود بك أبو النصر كلاما نشر بمجلة العالمين الشهيرة ليس لنا بعد ان نقرأه ادنى عذر فى الاغترار بما يقولونه :

قال حضرته بعد كلام طويل:

« ومن قبيل هـذه النفثات نفثات أخرى صادفتها فى عـدد ١٥ سبتمبر الماضي من مجـلة العالمين منشورة فى خلال مقالة ضافية للكاتب الفرنساوي الشهير مسيو إتين لامي عنوانها « فرانسا فى الشرق » وهي احدى رسائله الطنانة فى هذا الموضوع وقد شرح تاريخ نفوذ فرانسا فى البلاد المشرقية وما اعتوره من قوة وضعف وبين مقدار ما يبذله قومه من المساعي المديدة والاموال الباهظة فى سبيل تعليم مسيحي الشرق وغرس محبة فرنسا فى أفئدتهم ليكونوا لها مصانع واحزابا ثم قال : « ومع ذلك

فهذه المساعي لم تنتج تمام الغاية المقصودة منها لتباين الطوائف المسيحية فمن الضروري اذن جمع شتات هذه الفرق حتى لا يعاكس بعضها بعضا : ومتى صاروا فرقة واحدة تمكنوا من مقاومة المسلمين والاعتلاء عليهم »

« وفى كلامه على المدارس المسيحية التي اتخذوها سبيلا الى غاياتهم المنكرة شط به القلم فاظهر ماتكنه صدور القوم من العداوة والبغضاء لدين الله تعالى ولم يخش هذا الكاتب الفيلسوف الذي طالما تشدق بكلمة الانسانية والتمدن وحرية الاعتقاد واحترام الأديان ان يجاهر فى أشهر المجلات : مجلة العالمين بأن من الواجب على الامم المسيحية ان تعاكس الاسلام فى كل طريق وتحارب أهله بكل سلاح ثم اخذ يقدح فكره فى البحث عن اقرب الطرق وانجح الوسائط لنوال بغيتهم السافلة من ديننا ودنيانا جزاء وفاقا على ماوقعنا فيه من الجهل والغفلة والاغترار حتى اهتدى الى ان مقاومة الاسلام بالقوة لايزيده ان انتشارا فالواسطة الفعالة لهدم أركان الاسلام وتقويض بنيانه على ماقال هي تربية بنيه فى المدارس المسيحية والقاء بذور الشك فى نفوسهم من عهد النشأة فتفسد عقائدهم الاسلامية من حيث لايشعرون وان لم يتنصر منهم أحد فانهم يصيرون لامسلمين ولامسيحيين مذبذبين بين ذلك . قال : « وأمثال هؤلاء يكونون بلا »
« ارتياب أضر على الاسلام وبلاده مما اذا اعتنقوا الديانة المسيحية »
« وتظاهروا بها . »

« ولما انتقل الى تربية بنات المسلمين نفض كل ما في جرابه فانكشف الستر عن مكنون سره وتصعدت زفراته عن نار تتأجج فى كبده الحرى

وتضطرم فى فؤاده العليل فقال :

« ان طريقة تربية أولاد المسلمين فى المدارس المسيحية وان كان »
« لها من التأثير ما بيناه فان تربيـة البنات فى مدارس الراهبات ادعى »
« لحصولنا على حقيقة القصد ووصولنا الى نفس الغاية التي وراءها نسعى »
« بل أقول : ان تربية البنات بهذه الكيفية هي التربية الوحيدة للقضاء على »
« الاسلام من يد أهله » وهاك طرفا من عباراته عسى أن تكون عبرة وذكرى للمسلمين عموما والقائلين برفع الحجاب واختلاط النساء بالرجل خصوصا . قال ما ترجمته بالحرف الواحد (صحيفة ٣٢٨)

« ان التربية المسيحية أو تربيـة الراهبات لبنات المسلمين توجد »
« الاسلام فى داخل حصنه المنيع عدوة لدداء لا يمكن الرجل قهرها فإن »
« الاسلام أسس على اهانة المرأة واذلالها فيكون خروجها من الاستعباد »
« سبب دماره والتربية المسيحية أقوى باعث على خروجها لان المسلمة »
« التي تربيها يد مسيحية تعرف ولا شـك درجة اعتبار المرأة فى المجتمع »
« الانساني وتكتسب من المعـارف ما يبرر اطماعها في الاسـتقلال »
« ويقوي آمالها فى الارتقاء فتعرف كيف تتغلب على الرجل حيث تقوى »
« رغبتها فى الاستزادة من المعارف وتطلب عـلم ما لم تكن تعلم فتكثر »
« من مطالعة الكتب جدها وهزلها حتى تظهر لها وظيفة المرأة متمثلة »
« في مرآة التصور فلا تكتفي بأن تكون هي الزوجة المفضلة بل تحتم أن »
« تكون الزوجة الوحيدة وتصبح وحدة الزوجة بتأثير المرأة من الامور »
« الاعتبارية فى الطبقات العالية كما هي الآن لدى أغلب الاتراك بتأثير الفقر »

« ومتى تغلبت المرأة هكذا تغير نظام العائلة بالمرة وأصبح في قبضة»
«تصرفها وهنا له تظهر تربية الراهبات لانه سهل على المرأة والحالة هذه »
« أن تؤثر على احساس زوجها وعقيدته فتبعده عن الاسلام وتربي أولادها»
« على غير دين أبيهم وكلما قويت مداركها وعرفت بمقدار حقوقها »
« وواجباتها كلما زاد بغضها الدين بين الام باهانة الزوجة وفي اليوم الذي»
« تغذي الأم فيه أولادها بلبان هذه التربيه وتطلعهم على هذه الافكار »
« تكون المرأة قد تغلبت على الاسلام نفسه »

« تلك هي أقرب الطرق وأنجح الوسائط لمحاربة الاسلام بأهله »
« دون جلبة ولا ضوضاء وهي ولا شك أدعى لنوال المآرب وبلوغ »
« المرام فليس لنا الا اتباعها . أما السعي جهارا في محاجة المسلم واقناعه بما»
« هو عليه من الضلال فانه يوقظ عوامل التعصب الكامنة في نفسه »
« الساكنة بين جوانحه فلا يمكن تذليله وهذا ليس من الحزم في شيء اه »

هذه نفثات مصدور أكتفي بالاشارة اليها دون تعليق عليها وأرجو أن تكون عبرة للآباء وذكرى للامهات والابناء اه

علاوة

قرأنا في مجلة «المنار» الاسلامية ، مقالات في الحياة الزوجية ، من إنشاء صاحبها ومحررها السيد محمد رشيد رضا المشهور باستخراج قواعد المدنية الصحيحة من الكتاب والسنة فآثرنا إلحاق مانشر منها بهذا الكتاب ، لما اشتملت عليه من الحكمة وفصل الخطاب ، وهذه هي بنصها

﴿ الحياة الزوجية ﴾

١

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ* (سورة الروم ٣٠)
« وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (سورة النساء ٤)

الازواج تلد الافراد ومن الافراد والازواج تتألف الامم والشعوب. يجتمع فردان فيكونان زوجا ولفظ الزوج يطلق على كل واحد منهما لان الزوجية تحققت به للآخر كما تحققت بالآخر له فالزوجان كونا حقيقة الزوجية فهما حقيقة واحدة ظهرت فى صورتين ، وروح واحدة انبثت فى جسدين ، وبناء واحد أقيم بركنين ، بل هما حقيقة الانسانية الكاملة وكل واحد منهما جزء لها لو وجد وحده لما وجدت الانسانية ، ولو هدم بناء وحدتهما بعد وجوده لما بقيت لها بقية ، « خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »

هؤلاء الرجال والنساء الكثيرون هم الامة فالأمة أثر الزوجية

وحياتها العزيزة تابعة للحياة الزوجية فاذا كانت البيوت التي يعمرها الازواج ويبثون منها الافراد فى عيشة راضية وحياة طيبة خرج منها أولئك الافراد أحياء وكونوا بيوتا يكون مجموعها بلادا ومدائن وقرى ومزارع يطلق على عمارها لفظ الامة . والمكوّن من الاجزاء الحية يكون حيا بحياتها ، فالحياة الزوجية الطيبة هي الاصل فى حياة الامة والنظر فى الاصل مقدم على النظر في الفرع

الفطرة البشرية هادية الى الزوجية بكمال معناها والى أثرها في نفس الزوجين وفى آلهما وفيما يرزقان من الولد فهي تسوق كل رجل إلى طلب الازدواج بامرأة وكل امرأة الى قبول الاتحاد مع رجل وهي التي تربط قلبيهما وتمزج نفسيهما وتوحد مصلحتيهما وتجعل الصلة بينهما أقوى من كل صلة بين اثنين فى هذا العالم حتى يسكن كل منهما الى الآخر عند كل اضطراب ، ويأنس به مالا يأنس بالاهل والاصحاب ، وهي التي تنقل المودة منهما الي أهل كل منهما حتى تكون كل عشيرة عونا للاخرى على دفع مضار الحياة وجلب منافعها ، وهي التي تربي عاطفة الرحمة فيهما بالتعاون على تربية الولد فتنمو هذه الرحمة فيهما حتى ينتفع بها من يعجز منهما عن مساعدة الآخر فى الشؤون المشتركة لضعف أوعجز فيرى عاطفة الرحمة قد نابت عن عاطفة سكون النفس الى الانتاج وعن الاحساس بالحاجة الى التعاون

لكن الانسان قد أعطي من القوى ما يمكنه من التصرف فى الميل الفطري فيحوله عن جادته ويسلك به المجاهل والشعاب فيضل ويردى ،

لذلك بغى الرجال على النساء فى عصور لا يعرف التاريخ أولها واعتزوا عليهن بالقوة حتى ألزموهن بالكيد والمكر والكذب والخلابة والتصنع والدهان فأشقوهن وشقوا معهن فى أنفسهم وفي أولادهم فساءت حالة البيوت، وساءت بها حالة الامم والشعوب، فجاء الدين مرشدا الى الرجوع بالفطرة الى جادتها، بل العناية بتكميلها وترقيتها، ثم بغى الناس فى الدين كما بغوا فى الفطرة حتى عميت علينا تعاليم اكثر الاديان، وحسبنا ما حفظناه من هداية القرآن

يندفع الرجل لهضم حقوق المرأة بدافع الاحساس والشعور بقوته عليها وحاجتها اليه ودافع الاعتقاد بأنه سيدها وهي خادمته المسخرة أو متاعه المملوك . فأما الشعور بالقوة فهو آلة البغي فى البشر ولولا أن للرجل شعورا آخر بحاجته الى المرأة وميله اليها يعارض ذلك الشعور الدافع إلى البغي عليها فيكسر من سورته لكان البلاء أعظم والشقاء أشد . وكان يجب عليه أن يجعل عقله مؤدبا للشعور الدافع الى الشر ومؤيدا للشعور السائق الى الحسنى لولا ما يعرض للعقل من الخطأ فى الاعتقاد فيخرج به عن الصواب اذ يعتقد أن له الحق فى أن يعامل المرأة بما يسوقه اليه طبعه الفاسد ورأيه الباطل . ولا سعادة فى الزوجية ولا للامة الا اذا صح اعتقاد الرجال فعلموا أن المرأة هي شطر الحقيقة الانسانية والرجل هو الشطر الآخر وأنه يجب أن يكون كلٌّ منهما متمما لعمل الآخر في الوجود فيما يشتركان فيه وعونا له على ما تختلف فيه وظيفتهما مع ملاحظة جهة الوحدة كما تساعد احدى اليدين أختها وتتم كل من الرجلين سعي

صاحبتها وكما يؤدي العقل وظيفة الفكر والقلب وظيفة الشعور والوجدان وكما تسمع الاذن وتبصر العين والغرض من عمل كل عضو واحد وهو مصلحة الشخص . فاذا قام بناء الزوجية على هذا الاساس كان بناء الامة ـ الذي يتألف من الازواج والافراد التي ينسلها الازواج لتكون أزواجا في البيوت متفرقة وأمة في البيوت مجتمعة ـ بناء محكما رصينا

اذا فسد الشعور القلبي والاعتقاد العقلي في الامة فنقضت ما أبرمته الفطرة من ميثاق الزوجية حتى صارت المعاملة بين الازواج كالمعاملة بين التجار والصناع والاجراء يؤدي كل واحد من حقوق الآخر ما يمكنه من استخدامه مع ظلم القوي للضعيف ومكر الضعيف وخداعه للقوي فالواجب المبادرة الى معالجة هذا المرض فإن انتشاره في الامة وباء مجتاح ، وخسران لا يرجى معه نجاح ، لان من يضيع حقوق أشد الناس صلة به بل من كان متمما لمعناه وحقيقته ، ومسوقا هو الى حبه بمقتضى غريزته ، فكيف يرجى ان يقوم بحقوق من لا يتصل به الا بصلة بعيدة هي فرع تلك الصلة القريبة ؟ واذا لم يقم كل فرد من الافراد بما عليه من الحقوق الخاصة والعامة فكيف تتكون الامة وتتحد على دفع الاذى ؟ وتتعاون على المصالح حتى تبلغ المدى ؟

معالجة النفوس أعسر من معالجة الابدان ومعرفتها أغمض وأدق ، والاحساس بالامراض الروحية أخفى من الاحساس بالامراض الجسدية لذلك كانت الامراض الروحية في الافراد والجمعيات أكثر من الامراض البدنية

لايتم عـلاج النفس المريضة الا باصلاح العقل والقلب معا وذلك باقناع العقل بما تقدم الالماع اليه من معنى الزوجية ومكانة كل واحدمن الزوجين من الآخر وبتربيـة شعور القلب ووجدانه تربية صحيحة مبنية على احترام ذلك المعنى وإكباره ليكون الوجدان مؤيدا للفكر والاعتقاد بأن تحقق معنى الزوجية وقيام كل من الزوجين بحقوقها من أركان السعادة التي لاتبنى الا عليها . فأما تربية الكبير على ذلك فهي متعذرة أومتعسرة وأما اقناعه بذلك فهو سهل على العارف به ولكن فائدة العلم بغير اذعان النفس وشعور القلب قليلة الجدوى

اذا كان الناشيء على فساد الاخلاق وسوء الفعال لايستطيع أن يقوّم من نفسه عوجها فيعامل زوجه بالحسنى التي هي أثر سكون النفس وحب القلب فهذا لايدل على ان العلم بمعنى الزوجية والاقتناع بحقوقها لا يكون نافعا بدون التربية على هذا العلم حتى يصير وجدانا وشعورا فان العلم الصحيح ينازل الوجدان الفاسد ويبعث صاحبه على مقاومته بالتكلف حتى يزول اذا لم يكن راسخا وإلا ضعف أثره وحسنت الحال فى الجملة ولذلك ترى حياة الزوجين العالمين الفاسدي الأخـلاق أهنأ من حياة الجاهلين الفاسدين أوأقل شقاء ونغصا. ذلك بأن العالمين يتحبب كل منها الى الآخر حتى يصير التكلف حباً أو تكون له أكثر ثمرات الحب وكذلك يتقي كل منهما مايسيء قرينه بمقاومة طبعه ومغالبة ميله فتكون لهما صورة الحياة الطيبة وكثيرمن معناها. ثم ان الزوجين العارفين بمكان الزوجية ووجوب مساواة الزوجين فيما عدا رياسة المنزل وزعامة العشيرة يربيان من يرزقان

من الولد على ذلك عسى أن يتم لهما فى ولدهما ما فاتهما من السعادة فى نفسهما . ولولا ان العلم يكون وسيلة للتربية النفسية التي يتحد بها القلب مع العقل لما رأيت مصلحا يظهر فى الأمة الفاسدة الاخلاق يدعوها الى التربية كما ترى فى امتنا الآن اذن نحن فى حاجة الى العلم بمعنى الزوجية وحقوقها والشروط التي تتم بها حقيقتها

حسبنا فى بيان معنى الزوجية وسرها تلك الآية التي صدرنا بها هذا المقال وفى حقوقها بعض الآية الذي يليها . تفيد الآية ان أركان هذه الحياة ثلاثة أولها سكون كل من الزوجين الى الآخر فان المراد بالانفس فى الآية الجنس والمراد بالزواج مايعم الرجال والنساء . فالحكمة الاولى للزوجية ان يكون لكل من الزوجين وجود آخر من جنسه يسكن اليه من اضطرابه ومثارات الاضطراب فى هذه الحياة كثيرة وأنواع المتاعب فيها غير محدودة وما اخترع الناس انواع الملاهي واللعب الا ليقاوموها على ان اللعب شأن الاطفال لا شأن الرجال وان سكون الزوج الى زوجه وأنس الانسان بشقيق نفسه وروحه وشريكه فى جميع شؤون حياته لما يذهب بكل اضطراب ويزيل كل وحشة اذا تحققت الزوجية بكمال معناها .

يقول المفسرون ان العلة فى أنس كل من الزوجين بالآخر الجنسية كما يعطيه ظاهر اللفظ فى قوله «وخلق منها زوجها ليسكن اليها» وهو صحيح عقلا وطبعا فقد خلق الله فى كل من الزوجين الذكر والانثى جاذبا يجذبه إلى الآخر لأجل ان يتحد به وقد يكون هذا الجذب والانجذاب فى بعض أطوار العمر مبهما لا يتصور صاحبه الغاية الفطرية من ذلك الاتحاد وهو ان

ينشأ عنه وحدة أو وحدات أخرى من الجنس بل ولا مقدمة هذه الغاية أيضا. ولكن هـذا التعليل لا يصدق على اطلاقـه في الوجود الخارجي كما يعقل فى الوجود الذهني لامع كل زوجين ولا مع أكثر الأزواج كما قيل فان الباحثين في حياة البيوت يقولون إنه قلما يوجد زوجان سعيدان كل واحد منهما مغبوط بالآخر راض به يسكن اليه من اضطرابه ويصفيه حبه ووده ظاهرا وباطنا . على ان هذا هو غاية الكمال فى سعادة الحياة الزوجية وأنى للاكثرين أو الأقلين بالكمال فى هذا الحياة؟.

والصواب ان أكثر الازواج فى البشر يسكن بعضهم الى بعض ويوده مهما كانت حالهم من فساد الفطرة وسوء الاخلاق والجهل بقيمة الطمأنينة والسكينة فى الحياة ولكن لهؤلاء الاكثرين منغصات فى حياتهم هـذه لها أسباب تختلف باختلاف البلاد والامم وباختلاف الافراد فى التربية والعلم والاخلاق والافكار واستقصاء هـذا لا يكون الا في كتاب مستقل يكون فيه باب للازواج فى القبائل البدوية وفى البلاد التي تقرب حال أهلها من حال البدو فى السـذاجة وتقارب النساء والرجال فى الأدب والمعرفـة . وباب لاهل الحضارة العالية التي عم التعليم والتربية جميع افرادها أو أكثرهم . وباب أوسع للبلاد المذبذبة التي بعدت عن سذاجة الفطرة، ولم تصل الى شيء من كمال العلم والصنعة، كالبلاد الشرقية التي طاف بها طائف المدنية الغربية فزلزل أخلاقها وعاداتها وعقائدها وأفكارها الأولى ولم يبد لها بذلك الاخلاق الغربية وما يتبعها . فهذه البلاد أشقى بلاد الله تعالى وأبعدها عن سعادة الحياة الزوجية وما يتبعها فانك تجد أكثر الذين أصابهم هـذا

الزلزال في حيرة من أمر الزواج قبل الاقدام عليه وبعد الوقوع فيه ، ونحن الى الدخول فى هذا الباب أحوج لاننا في بلاد الزلزال عائشون ، ولاهله فى الاكثر مخاطبون وكاتبون ، ونكتفي منه فى هذا المقال ببيان طرق اختيار الزوج وما يكون من ورائه

اختيار الزوج : جرى العرف بأن يكون الرجل هو الذي يتخير المرأة ويطلبها والاصل فى الاختيار ان يكون للمصلحة وهي لاتتحقق الا بصحة الجسم والتناسب مع الرجل فى الاخلاق والعادات والميل والرغبة والاتحاد أو التقارب فى الصنف والطبقة لأن النفس لاتسكن وترتاح لمن يباينها فى صفاتها ويخالفها فى عاداتها . ولكن الناس قلما يجرون على المصلحة الحقيقية فى أعمالهم الاختياريه لأن اللذة عندهم ليس لها حدود طبيعيه يقفون عندها وانما تعرف الحدود بالشرع والعقل والشرع يؤخذ بالتعلم والاقتداء والعقل ينمو بالتجارب والاختبار لذلك تختلف الحدود فى نظر الافراد وترى بعض الناس يبني اختياره على الهوى والميل الى الجمال ، وبعضهم يحكم المصلحه ويجعل مناطها الجاه والمال ، فالاصل فى اختيار المرأة عند الامم الجاهلة الفاسدة الاخلاق هو الحسن والجمال اتباعا لهوى النفس المستلذ ، أو الثروة والجاه ايثاراً للمصلحه الموهومة

أكثر ما يقع التخير بالحسن أو الاستحسان من طائفتين (أولاهما) الشبان الاغرار الذين يتوهمون ان عاطفه الهوى لمن رأى أحدهم فاستحسن وأحب تدوم فاذا هو اقترن بمن أحب كان له نشوة سرور دائمة فيعيش مغبوطا ناعم البال قرير العين يرى الملك ملكه والزمان غلامه وهيهات

مايتوهم ولكن انى له ان يفهم ذلك وهو محكوم بشعوره ووجدانه تعبث به الخواطر وتقوده الأماني التي يواليها عليه ذلك الشعور . ثم انىّ له أن يعرف سيرة الناس الذين سبقوه في تحكيم الهوى واتباع لمحات العيون، وطاعة هواجس النفوس، فتزوجوا بمن استحسنوا وأحبوا ولم يلبث ان تحول الاستحسان استقباحا ، والحب العارض مقتا وبغضا ،

الحسن والجمال من الاعراض التي يسرع اليها الزوال . ثم ان سلطانهما على القلب الواحد لايدوم أولاً يطول الا إذا صار عشقا خياليا يخطف القلب من عالم الحس ويزج به في عالم الخيال . وهذا الضرب من العشق لايكون مع ملك الاستمتاع بالمحبوب . على ان هوى الأغرار لايتقيد بالحسن الرائع ، والجمال البارع ، قل لهؤلاء الاغرار ليست تلك العاطفة الرقيقة التي وجدتم ، عند ارسال الطرف الى الوجه الذي استملحتم ، هي أثراً طبيعيا لشيء ثابت فى ذلك الوجه فتقولوا ان العلة تلازم المعلول بل هي شيء كامن فى النفس تحركه وتهزه فى أحد الصنفين رؤية الآخر في صورة تعجب وقد يضعف ذلك الشيء فى وقت ماوقد تمل الصورة المحركة له أو تعرض للعين صورة أخرى فتبطل حركتها، وتنسخ آيتها، فالاعتماد فى هناء العيش وسعادة الزوجية على الاستملاح والاستحسان الذي تحدثه النظرة العجلى اعتماد على ركن غير شديد .

والطائفة الثانية هي طائفة المترفين الذين لاهم لهم الا الاستمتاع والتنقل فى الشهوات واللذات وهم أعرق فى البهيمية من الطائفة الاولى لأن الشاب الغر الذي يكتفي فى اختيار الزوج بلمحة طرفه وخفقة قلبه

دون الوقوف على أخلاق من أعجب بصورتها وخفق قلبه عند رؤيتها ولا على سيرتها وسيرة أهلها وعشيرتها ليعرف المنبت والنبات - قد يتفق ان تكون الفتاة التي اختارها مشاكلة له في طبعه قريبة منه في أخلاقه وعاده فيعيش معها عيشة راضية وتسكن نفس كل منهما الى الآخر ويقيمان باقامة هذا الركن الأول ركني الزوجية الآخرين - المودة والرحمة - بحسب حالهما وطبقتهما في الأمة . وأما المترفون الذوّاقون من الامراء وأهل الثراء ومن تسري اليهم سمومهم ممن دونهم فهم أشقى الناس في بيوتهم وما أشقى نساءهم بهم . ذلك ان أحدهم لا يلبث ان يملّ من تزوج بها لحسنها أو يستهويه حسن آخر فيهوي اليه وهكذا يتبع مواقع الحسن الجديد ويوغل في المحرمات فلا يكون زوجا حقيقيا للأولى ولا لغيرها وانما هو شقي بشهوته، ومشق لمن يتصل به، فان المرأة عنده إما ان تفسد بفساده فتكون من الذواقات وما أسهل من ذلك على ذات الجمال البارع التي قلما يسلم مثلها مع تطلع الفساق المترفين اليها وافتتانها هي بنفسها ، وإما ان تعيش في نكد ، وتظل في كبد ، وكلا الامرين شقاء للبيوت وشقاء للامة - فهذا اجمال يكشف للمتفكر عن وجه الخطإ في جعل استحسان الصورة والاعجاب بالجسم أصلا لتخير المرأة زوجا . وأما جعله أصلا لتخير المرأة للرجل فذاك مما لا حاجة الى بيان فساده وخطإ الذاهب اليه

يقول قائلون ان النظر رسول القلب، وان الاستحسان علة الحب ، والحب هو علة ذلك السكون الذي هو ركن السعادة وسر حقيقة الزوجية فان لم يكن عينه فهو علة له أو أثر من آثاره فما بالك تطلق القول في تخطئة

من يحكم استحسان الصورة وميل القلب في الاختيار كأنك تؤيد عادة مسلمي المدن الذين يتزوجون غالبا على السماع ، غافلا عما يتبع هذه المادة من التنافر بين الزوجين لأول وهلة ، وما يرزآن به من الخصام والجفوة ،: ونقول انا قد بينا ان استحسان الصورة وميل القلب إلى ما يرضي العين مما لا بقاء له ولا ثبات لما يبنى عليه وانما البقاء والثبات للحب الذي علته تعارف الارواح ومشاكلة الطباع ولا ننكر مع هذا ان حسن الصورة وجمال الخلقة له أثر عظيم فى نفوس عشاق المعاني ربما يفوق أثره فى نفوس عشاق الصور ولكنه عندهم فى الدرجة الثانية بل يقرب فى ذوقهم من المحسنات العارضة كالثياب والحلي . فان سليم الطبع لا تسكن نفسه إلى دوام معاشرة رث الثياب وسخها ويأنف طبعه من الطعام الطيب فى الاناء الخبيث . وان من الناس من تشمئز نفسه وتنفر من بعض العيوب الخلقية فاذا هي فاجأته فى وجه من اختيرله زوجا يلابسه ويمازجه حتى يتحد معه أتم اتحاد يوشك ان تنكمش نفسه انكماشا يتعذر معه الالتحام والالتئام لذلك كان من السنة في الاسلام ان لا يتزوج المرء الا بعد الرؤية وما جرى عليه المسلمون فى أكثر المدن أو جميعها مخالف للفطرة والشريعة جميعا ولكن حكم العادات أقوى سلطانا على نفوس الجماهير من كل حكم يخالفه ،

على ان من يطلب الازدواج لاقامة سنة الفطرة ، لا لمجرد ارضاء الشهوة ، ولا لأجل التنقل فى معاهد اللذة ، فقلما يخون الوصف رغبته فيما يحب من حسن الصورة وجمال الخلقة ، . ولعلنا لو أحصينا عدد الازواج الذين مقتوا أزواجهم استقباحا لصورهن لما وجدنا فرقا كبيرا بين من

تزوج منهم عن رؤية ومن تزوج عن سماع فان للرؤية نظرا خادعا ليس معه للروية مجال ، والسماع يتثبت فيه ويتروى حتى يغني عن النظر فى كثير من الاحوال ،

ويقولون في انتقاد ماعليه أكثر مسلمي المدن من التشدد فى الحجاب ان الحاجة الى رؤية الرجل من يريد الاقتران بها للوقوف على طباعها وأخلاقها وعادها ، أشد منها لمعرفة حسنها وجمالها ، بل لا بد لمعرفة الاخلاق والطباع من المعاشرة زمنا طويلا : ونقول ان هذا هو الذي يظهر بادي الرأي وأما ما يظهر بعد التدقيق والتمحيص فهو أنه يتعسر أو يتعذر على الشاب ان يعرف حقيقة أخلاق الشابة وطباعها ورغائبها من المعاشرة بقصد الخطبة فان ما يتنازع الفتاة من ضروب الشعور والوجدان اذا كانت بمرأى من الفتى ومسمع يخرج بها عن حال الاعتدال الطبيعي الذي طبعت عليه فلا يكون الحكم عليها صحيحا لان حجابا طبيعيا اسدل على أخلاقها وسجاياها . ثم ان من وراء هذا الحجاب أو من امامه حجابا آخر صناعيا وهو مايكون من التكلف والتصنع لتكون أمام الفتى بالمظهر الذي تظن انه يرضيه ويجذب قلبه ، فالعمدة اذن فى معرفة الآداب والاخلاق هي الوقوف على حال المنبت والعشيرة وخبر الصادق الذي يحسن النقد ويميز بين مايرغب فيه وما يرغب عنه . وقد يسهل على الخلطاء والجيران من العشائر أن يعرف فتيانهم أخلاق فتياتهم بالاختبار الصحيح اذا لم يكن هناك مقدمات ولا وسائل تشعر برغبة المختبر فى تزوج من يلاحظ أحوالها وينتقد أعمالها وقلما يكون هذا فى المدن الا بين الاقربين

وحدثني السيد عبد الرحمن الكواكبي (رحمه الله) ان أهل الاستانة اذا رضوا بالخاطب دعوه الى دراهم وجمعوا بينه وبين بنتهم في مجلسهم فيراها وتراه ويسمع كل حديث الآخر وتسأل عن آثاره الأدبية والعلمية ثم يكون العقد بعد ذلك

وجملة القول ان الذين يعتمدون على مجرد استحسان الصور في تخير الازواج ضالون لا يرجى لهم ان يكوّنوا بيوتا (عائلات) تكون أعضاء حية عاملة لأمة عزيزة . وسيأتي بيان حال من يبني اختياره على طلب المال والثروة ثم من يبني اختياره على ما يجب ان يبنى عليه الاختيار وقد ذكر بعضه في هذه المقالة تمهيدا واستطرادا

٢

اختيار المرأة لمالها:

ان من يختار المرأة زوجا له لحسنها وجمالها يختارها لصفات فيها وانما كان مخطئا لانه عني بصفات الجسد التي يسرع اليها التغيير ولا تكفي للقيام بحقوق الزوجية وما تراد له الزوجة ولم يحفل بصفات النفس الثابتة التي هي مناط السعادة والهناء ، أومجلبة التعاسة والشقاء ، وأما من يختار المرأة لانها ذات مال وثروة فهو انما يختارها لأمر خارج عن ذاتها فهي غير مطلوبة له ولا مرغوب فيها وانما مطلوبه المال يتمتع به وهي عنده وسيلة له فاذا نزلت بالمال جائحة أو اغتالته غائلة صارت المرأة عنده كالشيء اللقا لا قيمة لها ولا حاجة اليها . وماعساها تصادفه مع وجود المال من الحظوة والكرامة فأجدر به ان يكون مصانعة ورياء وحسب الزوجين شقاء ان

يرائي بعضهما بعضا ويدهن أحدهما للآخر . وهذا شأن من يطلب المال عفوا بغير عمل لا يكون الا مرائيا مداهنا

يعيش المنافق مع الناس الذين يدهن لهم فى اضطراب دائم لأنه يشعر فى نفسه بأنه يعيش مع خصماء وأعداء فاذا لم يكن له من يخلص هو لهم ويخلصون له كان شقاؤه دائما واضطرابه مستمرا . ومن أحق بهذا الاخلاص من الزوجين اللذين خلقا ليسكن كل منهما الى الآخر ويلابسه فى جميع شؤونه لباسا يتحد به معه حتى يكونا كشخص واحد !! أرأيت إذا انعكس الأمر فكانت الزوجية التي هي علة السكون والارتياح ، ومبعث الحب والاخلاص ، وسبب المودة والرحمة ، علة للاضطراب والانكماش ، ومثارا للرياء والدهان ، - أرأيت اذا صارت الغاية التي يقصد لاجلها الكسب ، وسيلة للرزق وطريقة للربح ، يلجأ اليها الكسالى المترفون ، ويرغب فيها أهل الشره الطامعون ، - أرأيت اذا وصل الناس الى هذا الحد فى فساد الفطرة ، والخروج عن محيط الشرعة ، أيكون المال الذي يعبدون كافيا لتحقيق سعادتهم ، وحفظ شرف بيوتهم وأمتهم ، ؟ كلا ان هؤلاء لاحظ لهم فى الحياة الا التوغل فى اللذات الجسدية والزينة الظاهرة فلا يبالي واحدهم بشرف البيت ولا بعزة الامة ، يخربون بيوتهم بأيديهم . ويبسلون أمتهم بسوء مساعيهم ، بل هم آلات التفريق والتحليل لان كل واحد منهم يهتم بلذة نفسه ، ويجتهد فى أن لا يتصل بغيره ، وكيف يمكن ان يتحد بمجموع قومه ، من انكمشت نفسه دون الاتحاد بزوجه ، على ما للاتحاد الزوجين من العلل والجواذب النفسية والطبيعية والشرعية والاجتماعية

يكثر طلاب المرأة الغنية لهـذا العهد فى الطبقة المتعلمة على الطريقة المصرية فلا تكاد ترى بين شبان هـذه الطبقة الا الباحثين عن البنات الوارثات أو اللواتي ينتظر أن يرثن مالا كثيرا وأرضا واسعة ودورا عامرة. ولا تكاد تسمع منهم عند ذكر الزواج الا قولهم انني أطلب فتاة تملك دارا وكذا فدانا من الطين . وهذا دليل على ان التعليم الذي تعلموه ما كان الا ضارا بهـم بما أفسد من فطرتهم ، ويا شقاء من تتزوج بواحد منهم ، فانما يكون حظها منه أن يستعين بمالها ، على التمتع بشهواته الفاسدة خارج بيتها، وويل لها ان سكتت موافقة ، وألف ويل لها ان نطقت مخالفة ،

لو ذهبنا نعد مفاسـد هؤلاء المخذولين فى اختيارهم هـذا وآثاره خرج بنا القول عن حد المقالة المنبهة ، ودخل فى أبواب الكتب المطولة، وكفى بما ذكرناه منبها للغافـل وسائقا للنظر العقلي فى ذلك وللبحث فى حال هؤلاء الناس وفيها عبر وآيات للمتفكرين

وقد يشتبه على بعض الباحثين ما يراه من الحب وسـكون النفس والوفاق وحسن المعيشة بين زوجين اختار الرجل منهما المرأة لغناها أو استحسان صورتها فيظن أن ما قلناه غـير صحيح. ونحن لا نجهـل ان مثل هـذا قد يقع فيكون على حد المثـل « رمية من غير رام » والسبب فى مثله أن يكون بين هـذين الزوجين مشاكلة في الطباع وتناسب فى الاخلاق وتقارب فى العادات من حيث لا يدري بذلك أحد منهما قبل الاقتران . ولكن هذا قليل لاسيما فى طلاب المال وعباده الذين يرضون أن تكون الزوجيـة وسيلة له لان من بلغ منه فساد الفطرة هـذا المبلغ

قلما يهنأ لاحد معه عيش كما قلنا آنفا

الطريقة المثلى في الاختيار

يجب ان يلاحظ فى المرأة الصفات التي يرجى أن يتحقق بها مضمون قوله تعالى « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » وقوله عز وجل « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين » وقوله جل ثناؤه « محصنين غير مسافحين » وهذه الصفات بعضها بدنية وبعضها نفسية وبعضها قومية ومنها مالا بد منه فى كل امرأة ومنها ما يختلف باختلاف أحوال الناس فيشترط عند بعض دون بعض .

أما الصفات الجسدية فما لاخلاف فى اشتراطه منها الصحة وسلامة البدن من التشويه والعاهات المنفرة ولا حاجة لتعليل هذا الشرط ولا لبيان سوء حال الحياة الزوجية عند عدمه فانه من المعلوم بالبداهة ان النفس لاتسكن الا ذوي العاهات والادواء بل تضطرب وتنزعج منهم . وأن المرأة المريضة لاتحصن الرجل ولا تكون قرة عين له بل تكون بلاء عليه . وأما ماتختلف فيه الاذواق فهو ماوراء ذلك مما يسمون الكمال فيه حسنا بارعا وجمالا رائعا . والميل الى الحسن والجمال غريزي في البشر وهو مماتختلف فيه الاذواق والمشارب، «وللناس فيما يعشقون مذاهب،» ولا نعرف شعبا من الناس يشترط رجاله الجمال البارع فى الزوج وانما يعدونه من الأوصاف الكمالية الا من ذكرنا فى النبذة الاولى من هذا المقال وهم الذواقون الذين يتزوجون ميلا مع الهوى لا اتباعا للمصلحة ،

ولا اقامة لسنة الفطرة ،

قد يكون من المصلحة للاكثرين تجنب الجمال البارع لمن يتزوج لما ذكرنا من منافع الزواج وحكمه ولكن يعذر من يمقت في المرأة صفة من الصفات إذا لم يرض الاقتران بالمتصفة به كمن يمقت البحترة أو البهصلة أو الرسحاء أو النقواء . وقد تكون هذه الأوصاف من المنفرات لبعض الناس . على ان لكل ساقطة لاقطة وانما يتخير الجمال البارع أو مادون البارع من يكون موضعا لتسابق رغبات النساء وأهليهن اليه لمكانته وجاهه أو لثروته وماله . فان من طبيعة التفاضل أن يكون فيما تصل اليد اليه ويسهل الاستيلاء عليه

وأما الصفات النفسية فهي الأخلاق والملكات والعلم أو العلوم فأما الاخلاق فانها علة لسعادة الحياة أو شقائها فى جميع طبقات الناس على الجملة . وأفضل أخلاق النساء العفة والصيانة لان معنى الزوجية لا يتحقق بالاختصاص وانما تكون المرأة مختصة ببعلها اذا كانت عفيفة . ثم إن الحكمة فى الزوجية هي الانتاج والنسل الذي يحفظ به النوع ويكثر به سواد الامة وتعظم قوتها واختلاف الرجال على امرأة واحدة من أسباب قلة النسل فما هتك النساء حجاب العفة فى أمة الا وقل نسلها بمقدار شيوع الفاحشة فيها وناهيك بما في اختلاط الانساب من المفاسد . لا يوجد عيب من العيوب فى الخلقة أو فى الاخلاق يذهب بهناء الزوجية وغبطتها ويمحو آيات منافعها وحكمتها ، كخيانة المرأة للرجل فى نفسها . ويغنينا عن الاسهاب فى بيان ذلك ماهو ثابت فى الغرائز ومعروف بالاختبار . وقدمنا

الشاعر العربي على أولاده بتخير والدتهم من ذوات العفة قال

فأول احساني اليكم تخيري لماجدة الاعراق باد عفافها

ومن غريب اكبار الرجال لعفة نسائهم أنك تجد الفاسقين من أشد الناس غيرة لان علمهم بفساد النساء يزيد فى حذرهم على نسائهم أن يكن كمن يعرفون من غيرهن وهذا من أسباب قلة الزواج فى البلاد التي يكثر فيها الزنا لان أكثر الرجال يخافون أن يبتلوا بمن لاعفة لهن. وأغرب منه مااشتهر عن الفساق من محاولة بعضهم الاختصاص ببعض البغايا. يحب الرجل بغيا توهمه ان له عندها من الحظوة ماليس لغيره فيبذل لها المال الجم الكثير ليغنيها به عما تكسب من سواه، وتكون خاصة به دون من عداه، ومتى كانت البغي ترعى العهد، وتصفي الود، ؟؟ ولكنه جنون الرجال بالاختصاص والغيرة يخرج بهم عن محيط العقل والتجارب، وكم أدى ذلك الى دماء تسفك، وأرواح تزهق،

ومن الاخلاق التي لايتم لاحد هناء العيش مع فقدها الامانة والحرص والاقتصاد فاذا لم تكن المرأة أمينة على ما يعهد اليها حفظه حريصة على ما بين يديها من مال الرجل وكسبه مقتصدة فيما تنفق تسوء حال البيت ويقع فيه الشقاق ويحيط به الشقاء

وأما الصفات والملكات، التي تختلف الرغبة فيها باختلاف الاشخاص الطبقات، فأهمها عند الطبقات المرتقية بالعلم والتربية النظام وتدبير شؤون البيت. واذا كانت بيوت الشعر فى الصحاري وشعاف الجبال، وأكواخ الفقراء وبيوت الفلاحين فى المزارع والقرى، ليس فيها من

الاثاث والرياش والماعون ولا من المرافق والاعمال ما تعوز في ادارته وتدبيره ملكة النظام المكتسبة بالعلم والعادة والقدوة فان فى دور الطبقات العالية والمتوسطة من المتعلمين و كذا غير المتعلمين مالا يتم نظامه الا اذا كانت ربة الدار مدربة على النظام والتدبير . نعم ان غير المتعلمين لا يؤلمهم من فقد النظام في بيوتهم ما يؤلم الذين عرفوا قيمة النظام وفوائده وتربوا عليه أو حملهم العلم بفائدته على طلبه والاستقامة على طريقته . يبلغ حب النظام ببعض العارفين مبلغا لا يهنأ له عيش ما دام يرى فى داره شيئا من الخلل الذي لا يشعر غير العارفين معرفته بكونه خللا يُطلب اصلاحه ككون حجرة النوم قليلة الاثاث تعرض فرشها وحشايا سريرها للشمس والهواء كل يوم ، وككون كل من حجرة الجلوس وحجرة الطعام وحجرة المكتب وغيرهن على طريقة كذا وكذا . ومن المتعلمين من يرى من ضروريات الحياة أن تكون نفقات البيت كلها فى يد ربته وأن يكون العمل فيها بمقتضى ميزانية سنوية فاذا لم تكن امرأته قادرة على ذلك فان نفسه لا تسكن اليها ولا تكون هي قرة عين له . ولا تقل ان هذا يدخل فى صفة العلم الذي ينبغي أن تكون عليه المرأة فان العلم لا يكفي فيه ولكنه شرط له فما كل من يتعلم علما يقدر على العمل به وانما يقدر عليه من يقرن العلم بالعمل والمزاولة .

كثر فى الترك عدد الرجال الذين يريدون أن تكون المرأة قهرمانة وريحانة معا وفى نسائهم (لاسيما فى الاستانة) عدد غير قليل قدربين على مايحب الرجال . وجميع المتعلمين من النصارى وكثير من المسلمين فى

سوريا ومصر على هذا الرأي أيضا ولكن عدد المسلمات المتعلمات المتربيات على هذه الطريقة قليل جدا فى القطرين ولذلك صار الزواج يقل فى المتعلمين رويدا واذا ارتقى التعليم والتهذيب عما هو عليه الآن فى الرجال فان هذه القلة تزيد زيادة فاحشة ولكن أكثر المتعلمين لم ترتق نفوسهم عن اتخاذ المرأة ريحانة يتمتع بها ما صلحت للتمتع كالزهرة تشم ويعتني بها مادامت غضة ذكية فاذا ذبلت ألقيت . ولا رغبة لهم فيما وراء هذا إلا بأن تكون ذات مال يتمتع به الزوج كما يتمتع بصاحبته فهي عندهم من جملة المتاع لافرق بينها وبين ما يحصل معها الى دار الزوج من الاثاث والماعون الا كما يفضل إناء اناء آخر من جنسه أو نوعه ولو كثر عدد الفتيان المهذبين لتبعه كثرة الفتيات المهذبات لانه متى عرف واشتهر ان جماهير الشبان المحترمين لا يرغبون فى غير المهذبة القادرة على ادارة المنزل واقامة النظام فيه بادر الناس الى تربية بناتهم على الطريقة المرغوب فيها لان الفتيات يطلبن الفتيان دائما بلسان الحال والاستعداد ـ فكل ما يشكو منه بعض الشبان المهذبين من سوء تربية البنات سببه سوء تربية البنين فى الجمهور

وان لي كلمة قلتها ثم علمت أن للاوربيين كلمة تخالفها فاذكرهما هنا أما كلمتهم فهي « كما يريد النساء يكون الرجال » وأما كلمتي فهي « كما يريد الرجال يكون النساء » والدليل على هذا ان النساء لا استقلال لهن فى أنفسهن وانما هن تبع للرجال عند جميع الامم يولد للزوجين غلام وجارية فيربيان الغلام على أن يكون رجلا مستقلا ببيت كبيتهما وعلى أن ينهض بكفالتهما عند الكبر أو العجز اذا كانا فقيرين ، ويربيان الجارية

على أن تكون تابعة لرجل يتزوج بها فيعولها ويكفلها فيكتفيان أمرها . ينشأ فى الغلام من أول سن الادراك شعور الاستقلال بنفسه وحاجة غيره اليه وينشأ فى الجارية شعور القصور والحاجة الى كفالة رجل غريب مجهول ستكون تابعة له ، ومن التقاليد العامة فى أمتنا وفى غيرها ان هم النساء الاكبر هو أن يكن بحيث يحبهن الرجال ويرغبون فيهن لانهن فى حاجة الى كفالتهم ولا يسهل عليهن طلبهم الا بلسان الاستمداد وكونهن كما يحبون ويرغبون كما قلنا آنفا . ثم ان الوالدين اللذين يربيان الغلام والجارية يعلمان ان تزويج الجارية أعسر عليهما من تزويج الغلام من حيث انه لا عار عليهما ولا عليه في التماس امرأة بالطلب والبحث ولو ممن هم دونه وأنه من العار العظيم أن يبحثا على زوج لبنتهما ويعرضاها على الرجال وان كانوا من الأكفاء وأشد من ذلك عارا أن تبحث هي عن الزوج وتعرض نفسها على من تظن انه يرضاها ، وان الشرف والمصلحة محصوران فى تمريضها للخاطبين بتربيتها على ما يحب الاكفاء ويرضون . نعم ان الاوربيين قد حاولوا تربية النساء على الاستقلال وتعليمهن طرق الكسب وجعلوا للبنات رأيا فى اختيار الازواج ولكنهم لم يخرجوا عن جعل المرأة تابعة للرجل ولم يقدروا على جعل أكثر النساء مستقلات فى معيشتهن غنيات عن الرجال بل هم الذين يربون بناتهم على مايرغب فيه جمهور فتيانهم ويخطبون الزوج بالحال وبالمال جميعا ويشعرون من سعادة الحياة الزوجية بما لا يشعر بمثله من لم يبلغوا شأوهم في الحياة الاجتماعية وللجارية المخطوبة عندهم مقام رفيع ولربة البيت مكانة عالية ولأم الاولاد المقام الأعلى وانما قالوا كلمتهم

تلك للترغيب في تعليم المرأة اذ لا يقدر الرجال على إتقان التربية الا باسعاد النساء لهم عليها . ثم ان هذه التربية الاستقلالية قد أضرت بالنساء أنفسهن حتى علت أصوات الكاتبات منهن بالشكوى منها ونقلنا بعض ما كتب في المجلد الرابع فليراجع

الدين والاخلاق

ملاك تهذيب الاخلاق وقوام الملكات الدين فلو ربي البنات تربية دينية صحيحة لتم لهن تهذيب الاخلاق ، وكن مصدرا لمحاسن الأعمال ، وقرة أعين للرجال ، وقد عرفت الأمم الحية ذلك فعنيت بتربية البنات على آداب الدين وأخلاقه وأعماله على فساد عقائد الكثيرين من علمائها وحكمائها . ذلك بأن هؤلاء الذين رأوا في دينهم مالا ينطبق على علمهم القطعي فتركوا الدين للعلم يعتقدون ان الدين هو روح التهذيب والاداب في البشر وأن هذا الروح هو الاصل في الحياة الزوجية والحياة القومية لاسيما في النساء والناشئين فاذا هو زال تعذر الاستغناء عنه أو استبدال غيره به كالشرف والعلم بالمصلحة . والذين جروا على هذه الطريقة من نصارى الشرق يتحامون الانتقاد على الدين في حضرة النساء وان كانوا لا يعتقدون ولا يؤمنون لئلا يتسرب الشك والارتياب إلى نفوس النساء . بل أخبرني بعض علمائهم وأدبائهم المشهورين انهم يكونون في النادي أو السامر ينتقدون بعض رجال الدين منهم فتدخل إحدى النساء فيحولون الحديث لكيلا تسمع انتقادهم فيقل احترام الدين من نفسها ويضعف الشعور به في قلبها . ولا تجد جزءا من هذه العناية عند المسلمين الذين

جهلوا الدين فأهملوه، بل ولا عند الذين سلم اعتقادهم وحسن عملهم . وكل ماعند النساء المسلمات من الدين فهو من تقليد الذين نشأن فيهم وتربين بينهم ليس للرجال فيه عناية ولا عمل ويا ليت فساق قومنا وزنادقتهم يكتفون باهمال تربية النساء على آداب الدين وتعليمهن أحكامه ولا يظهرون لهن ماهم عليه من الفساد والالحاد فقد حدثني كثيرون من الثقات المختبرين أن كثيرا من المسلمين (الجغرافيين) (*) يجتمعون مع عيالهم لطعام الغداء بعد الظهر فى شهر رمضان وان منهم من يتزوج بالمرأة فيكرهها على شرب الخمر معه وأخبرني شيخ من أهل القاهرة ان رجلا تزوج بينت من أقاربه (أي أقارب الشيخ) فدعاها الى شرب الخمر معه فأبت ولما أعياه إلزامها طلقها. وأغرب من هذا مايتحدثون به عن بعض أصحاب البيوت أو البيوتات من إشراك البنات مع الرجال فى معاقرة الخمر ومن إحضار أهل الرقص والعزف من الرجال والنساء الى البيوت واجتماعهم فى بعض الحجرات على المعاقرة والمخاصرة والنساء يسمعن وينظرن من وراء السجوف والاستار

يظن الكثيرون من فساق البلاد المشرقية أن الدين فى أوربا قد صار نسيا منسيا وأن ذلك لم يزد أممها الا ارتقاء لانه أثر الارتقاء وذلك ان هؤلاء لاتتوجه نفوسهم ولا يهديهم استعدادهم الا لمعرفة أمثالهم والصواب ان أكثر أهل أوربا متدينون وإنما أبطلوا التقاليد النصرانية التي تنافي العمران والارتقاء لأنها ليست الا من وضع الرؤساء وهم مع ذلك أشد الناس تعصبا

(*) نعبر عن المسلمين الذين ليسوا على شيء من الاسلام بالمسلمين الجغرافيين لان الاحصاء الذي يذكر في كتب الجغرافية يعدهم منهم . وقد نبهنا على هذا من قبل

لدينهم وعلى من يخالف دينهم ولا ينافي ذلك كثرة الفسق فى بلادهم لا سيما التي تغلب فيها الكاثوليكية كفرنسا وإيطاليا فان من الأسباب فى ذلك المذهب الذي يعد من أصوله أن القسوس والرؤساء يغفرون الذنوب كما أن من أسبابه الحرية الشخصية وعدم النكير وإباحة الخمر أم الخبائث . ولقد يسهل على الفاسق ان يجد كثيرا من الفاسقين والفاسقات فى كل المدن العظيمة فى الارض حتى ما كان فيها الفسق منكرا وممنوعا اظهاره لا يراه الا الباحثون عنه ومن بحث عن شيء مما لا يخلو العمران منه وجده فاذا هو قصر همه عليه ، ظن أن كل الناس أو جلهم على مذهبه فيه .

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه　　　وصدق مايعتاده من توهم

أهل فرنسا أقل الاوربيين تمسكا بالدين لتطرفهم فى الحرية والجمهورية التي يرون سلطة الكنيسة الكاثوليكية خطرا عليها ولذلك قاوموا جمعيات القسيسين ومدارسهم وقد سألت فرنسيا عن تدين قومه فقال أكثرنا متدين يحب الله ولكن لا نحب الكنيسة

اذا فرضنا ان تعميم التعليم والتربية على حب الوطن والآداب القومية قد يغني عن الدين في اصلاح حال البيوت والجمعيات فأوربا هي التى يمكنها ان تستغني عنه بذلك ولكنها لم تقل بذلك ولم تعمل به ولا أدري بماذا يستغني المسلمون عن آدابهم الدينية التي أمسوا لا يبالون بها . هل الرابطة الوطنية التي يلفظ بها مصطفى كامل واضرابه من الأحداث المتفرنجين كافية فى هذه الامة التي غلب عليها الجهل والامية ، ووقع معظم أوطانها فى قبضة الدولة الأجنبية ، لأن تصلح ما أفسد الزمان فيها من الآداب

الشخصية والروابط الزوجية . ليتكون منها أمة عزيزة قوية ، ؟ وهل يكفي في نفخ روح هـذه الحياة الوطنية أن ينعق ناعق في الامة بمدحها وان لم يسمع نعاقه الا قليل ولم يفهم مراده منهم الا أقل القليل وأكثر من فهم ومن لم يفهم ، يرى ان النفاق وسيلة للدرهم ، ؟؟

ومن العجائب أن هؤلاء الاحداث المتفرنجين يهذون أحيانا أو كثيرا بالكلام في الامة والملة ويشكون بالقول من سوء الحال وخطر الاستقبال ثم لا ينتبهون لوجوب بث روح الدين في البيوت وتربية النساء على أعماله وآدابه ليربوا الاطفال عليها بل تراهم بسيرتهم عونا للجهل على افساد بقايا الدين التقليدية اذ لا يتعلمون شيئا من أحكام الدين ولا يعلمون بما هو معلوم منه بالضرورة ولا يسألون عن دين من يخطبونها وانما يسألون هل تعلمت لغة أجنبية هل تعلمت العزف على البيانو والعود هل عندها مال كثير يساعدنا على المصيف في أوربا والتمتع بلذاتها؟ وأعجب من هـذا انهم يدعون أحيانا الانتصار للدين بذم أوربا وذكر طمعها في بلاد المسلمين واعتدائها على استقلالهم او على دينهم بما تبعثه من الكتب والدعاة الى النصرانية • ويزول هـذا العجب اذا عرف سببه وهو مخادعة المسلمين بإيهامهم خدمة الملة لينفحوهم بالدرهم والدينار وأنى يخدم الملة من لا يفهم كتابها ولا يعرف سنتها ولا يتحقق بعقائدها ولا يقيم عباداتها ولا يتخلق بأخلاقها بل أخذ عن أوربا من الاخلاق والعادات السيئة ما يفرق به كلمتها ، ويبطل به وحدتها ، وينسخ به شرعتها ، ثم هو يشكو منها ومن آثارها في إفساد النابتة ومجموع الامة!!

وجملة القول ان الحياة الزوجية في المسلمين لا يمكن ان تكون سعيدة في نفسها ووسيلة لارتقاء الامة وتعزيزها الا اذا كان الزوجان معتصمين بحبل الدين مستمسكين بعروته في الاخلاق والآداب والاعمال ليكونا قدوة لاولادهما في ذلك . وان الخطر الذي يهدد المسلمين؟ ينذرهم بزوال سلطتهم من الارض لا يزول الا باصلاح حال البيوت الادبية على هذا الوجه . ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن ماعدا الترمذي عن أبي هريرة ولكن من لنا من يصلح لنا أخلاقنا وآدابنا الدينية وليس لنا زعماء ولا سراة من أهل الدين والحكمة. واذا ظهر فينا زعيم فاننا لضعف استعدادنا لا ننتفع به بل يحكم فيه جمورنا كلام الاحداث المغرورين ، الذين يضرهم ويفضحهم مايدعو من إحياء روح الدين ، !!

﴿المقالة الثالثة منقولة عن ص ١٨٢ من مجلد المنار الثامن﴾

وأما العلم فلا يشترطه في المرأة أحد في بلادنا الاقلة من المتعلمين والمتأدبين على الطريقة الافرنجية وقليل من العارفين بكنه مدنية الافرنج الذين يقدرون محاسنها قدرها وان لم يتعلموا على طريقتهم. ولا يزال أكثر المسلمين لا يعقلون لتعليم المرأة فائدة بل يرونه ضارا من جهة واحدة هي عندهم لاتوازن ولا تقابل بشيء الا وتكون أربى منه وأكبر وهي أن البنت المتعلمة تجرأ على الرجال وتقدم على مكاتبة من تميل اليه من الشبان وإنه ليوجد في المتعلمات لهذا العهد من يحكى عنهن ذلك ومثل هذه الحكايات

تسري وتذيع بسرعة البرق وتؤخذ بالتسليم ويجري فيها القياس للقطع بأن علتها التعلم وأنه حيث وجدت العلة لزمها المعلول لامحالة . ولا يمكن إقناع العامة بأن العلم ليس علة لمكاتبة البنات للشبان يلزم من وجودها الوجود وانما هو شرط يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم ، لان العامة لاتفهم مثل هذه الحجج وخاصة النساء فالعمدة فى إقناعهم بمزايا تعليم البنات هو ظهور أثره الحسن فى المتعلمات بمصر وتونس وسوريا وغيرها من الاقطار ولم يظهر . على ان التقليد يفعل فى الامم مالا يفعل الاقناع وأشد الناس استعدادا وقبولا له الشعب المصري واذا وجد فى امرائه وكبرائه عناية بتعليم البنات تقليدا للأفرنج الذين يماشرون ويمازجون فلابد ان يعم جميع الطبقات وقد ظهرت بوادر ذلك منذ أعوام، وهي تنمو مع السنين والايام ، فالآباء والامهات صاروا ينبذون بناتهم الى المدارس وهم لايدرون ماذا يتعلمن ولا يعرفون من المصلحة فى ذلك الا أن البنت المتعلمة يرغب فيها الخاطبون الاغنياء مالا يرغبون فى غيرها ثم انهم بهذا الاندفاع لايميزون بين مدرسة اسلامية أو غيرها ولا يفكرون فى خطر افساد عقيدة البنت وتحويلها عن دينها أو عادات قومها وخلائقهم المميزة لهم ولا فى كونها تطرح الحياء وتجرأ على مكاتبة الرجال كما يعتقدون لان تيار التقليد الجارف لاتقف فى طريقه هذه الخواطر ان هي طافت بهذه العقول الضعيفة والقلوب الميتة التي أعوزتها البصيرة والعزيمة ، فلم تجدها فى وارثة ولا تربية ، وفى هذا الاندفاع خطر عظيم على الأمة كنا ولا نزال نحدث الناس به فيقبله المعتدلون وينبذه الغلاة في التفرنج

وقد أتيح لنا فى هذه الأيام مايقنعهم وهو ماقاله اللورد كرومر فى تقريره عن مصر لسنة ١٩٠٤ واننا نذكره هنا لان بحثنا فى الحياة الزوجية انما هو من حيث هي ركن لحياة الامة وسعادتها أوعكس ذلك قال

﴿تعليم البنات﴾

«كثيرا ما أسمع الناس يقيمون الحجج والأقيسة على حل بعض المسائل السياسية والادارية فى بر مصر ويبنونها على فرض أن المصريين لايزالون متصفين اليوم بصفات أجدادهم وخصائصهم . وعندي أن هذه الحجج والاقيسة لاتخلو من سفسطة . فالتغير حاصل واست أقصد أن أعظمه أو أبالغ فيه وانما أقول انه لايمكن ان كل خلق وصفة من الاخلاق والصفات القومية يتغير تغيرا تاماً فى ربع قرن ولو أمكن ذلك لما كان مستحسنا لانه يخشى فى مثل هذا التغير السريع أن يذهب الحسن من الامة بجريرة الرديء. ولكن ليكن معلوما عند الحكام المصريين وعند كل من له اتصال بأمور مصر ان هناك قوات عاملة قد أثرت فى أخلاق المصريين القومية فغيرتها بعض التغيير وستغيرها أكثر من ذلك على مر الايام . وهذه القوات العاملة معظمها يعمل تدريجا ويغير رويدا رويدا حتى لقد يخفى عمله عن عيون المراقبين في بعض الاحوال ولكن بعضها يعمل سريعا حتى لقد غير تغييرا ظاهرا محسوسا

« ومن الشواهد على ذلك تعليم البنات فان الرأي العام المصري تغير فى هذه الاعوام الاخيرة تغيرا كليا فى هذه المسألة الجوهرية العظيمة الشأن . ومما يزيدنا استعظاما لهذا التغير فى الرأي العام انه آخر ما كان الناس حتى

الذين يراقبون منهم أخلاق أهـل الشرق أدق مراقبة يتوقعون حدوثه بمثل ماحدث من السرعة نظرا الى الآراء المعهودة عن مقام المرأة فى بلاد مصر. ولكن مصر بلاد العجائب والغرائب فلا عجب اذا كذب أهلها نبوءات المصلحين الاجتماعيين بتحولهم عن حال الى حال تحولا لم يكن يخطر على بال فقد كانوا منذ عشر سنوات لا يبالون بتعليم البنات بل ربما استخفوا به واستنكفوا منه ولذلك كانت كتاتيبهم خالية من بناتهم سنة ١٩٠٠ ماعدا ٢٧١ كتابا من جملتها الكتاتيب التي تحت مراقبة الحكومة. وكان عدد كل البنات اللواتي يتعلمن فيها ٢٠٥٠ بنتا أما فى سنة ١٩٠٤ فبلغ عدد الكتاتيب التي يتعلمن فيها ١٧٤٨ كتابا وبلغ عـددهن فيها ١٠٤٦٢ بنتا. وأبلغ من ذلك ان ١٠٠ بنت طلبن دخول المدارس الابتدائية العالية ومدارس تعليم المعلمات بالقاهرة فى السنة الماضية فلم يجبن الى طلبهن لعدم وجود محل لهن فيها. فأحسن خدمة يخدم بها المصريون المعارف والتعليم فى بلادهم تقوم بانشاء مدارس ابتدائية منظمة للبنات فى بنادر القطر

« هذا وان قلة المعلمات المدربات على التعليم أفضت الى تأخير تعليم البنات فى جميع فروعه ولكن العقبات فى هذا السبيل أسهل من العقبات التي فى سبيل وجود المعلمين المدربين على التعليم. فان عند نظارة المعارف فى المدارس الابتدائية العالية والكتاتيب عددا قليلا من البنات المسلمات الممرنات على التعليم. وعليـه يتسع نطاق تعليم البنات شيئا فشيئا. وفي مدرسة المعلمات الآن ١٥ تلميذة ينتهي معظمهن منها فى الثلاث سنوات القادمة وينتظمن فى سلك المعلمات. وقـد أخبرت انهن متى انتهين من

المدرسة لم يعسر وجود غيرهن من اللواتي يدرسن مكانهن

«أما مقدار ماتؤثره هذه النهضة لتعليم البنات فى أفكار الجيل المقبل من بنات مصر وفي أخلاقهن ومقامهن فستظهره لنا الايام على مر الاعوام. على أنه اذا تأتى عنها تغيير فى مقامهن فالمأمول ان هذا التغيير يكون تدريجا وعسى ان المصلحين الاجتماعيين من أبناء مصر يحفظون فى أذهانهم قول مثلهم العربي « العجلة من الشيطان والتأني من الله » وعلى الاخص فى هذه المسألة أكثر مما فى غيرها لأن العجلة فيها يمكن أن تؤدي الى طامة أدبية عظيمة. على أنه اذا لم يتغير مقام المرأة المصرية تغيرا تدريجيا فهيا قلد المصريون أهل التمدن الأوربي ظاهرا فهيهات ان يتشربوا روح التمدن الاوربي الصحيح بأحسن مظاهره حقيقة » اه كلام اللورد

فلينظر وليتأمل القارىء البصير كيف عد هذا السياسي الحكيم تحول هل مصر بسرعة من حال فى هذه المسألة من العجائب والغرائب التي لم تكن تخطر فى بال أحد من علماء الاجتماع وكيف أشار الى أن هـذه العجلة شيطانية، ونقول ان نصيحته هذه للمصلحين من أبناء مصر سيحفظها له التاريخ ويذكرها له في المستقبل مقرونة باجلال الفضيلة والاخلاص لاسيما اذا كان إثم الانقلاب المنتظر أكبر من نفعه كما يتوقع ،

كانت حال النساء في أوربا على اسوأ مايخطر فى بال البشر من المهانة والاحتقار ولذلك كان مايسمونه « رد الفعل » فى التحول والانقلاب عظيما فبعد ان كانوا يعتقدون ان المرأة ليست من البشر وانما هي حيوان دون الانسان وفوق سائر الحيوانات وبعد ان كانوا يسومونها الخسف حتى حرموا عليها

أكل اللحم ومنعوها الكلام والضحك فى حضرة الرجال وأوجبوا عليها السمع والطاعة لزوجها فى كل شيء ولو كان ضارا أوخسيسا أوشاقا لا يطاق أطلقوا لها العنان تتعلم ماتشاء وتعمل ماتشاء وتتهتك كما تشاء وتتحكم كما تشاء حتى صارت تشارك الرجال فى أعمالهم الخاصة خارج البيوت فأهمل من أمر نظام البيوت بقدر ذلك ولا غنى للبيوت عن النساء وكل عمل خارجها فهو مستغن بالرجال عنهن . وانتهى الأمر بكثيرات منهن الى اختيار التبتل فرارا من أثقال الزوجية وناهيك بانتشار البغاء وشيوع الفاحشة ومافى ذلك من المفاسد والمضرات . وقد أنشأ العلماء والحكماء يشعرون بخطر هذا الاطلاق لصنف لاهمّ لافراده غير الزينة والراحة واتباع هوى النفس لان وجدانهن أقوى من عقلهن ولكن كل مايتعلق بصفات الامم وشؤونها لايظهر نفعه أوضرره ولا يمكن إيجاده أو منعه الا في زمن طويل .

ليس من غرضنا في هذا المقال أن نبحث عن أحوال الامم فى انتقالها وتحول أحوالها ولا عن حال النساء فى أوربا ومنافع تعليمهن ومضاره وانما غرضنا ان نبين ان العلم الذي ينبغي أن تعرفه المرأة هو مالايخرج بها عن كونها امرأة وهو ماتكون به قرة عين وخير سكن للرجل المتعلم يحسن معها به عيشه ويكون عونا لها على تهذيب ولده وإدارة شؤون بيته لا ما تكون به فيلسوفة أو سياسية او صانعة ، وهذا ما اختارته أرقى دول أوربا فى العلوم والمعارف وهي دولة ألمانيا التي ينسب اليها بعض دول أوربا التقصير فى تعليم النساء وستضطر كل الدول الى سلوك سبيلها في يوم من الايام

ليس البيت مملكة فيتوقف عمرانه على العلوم العالية والفنون الصناعية والزراعية والتجارية وتتوقف إدارته على معرفة الشرائع والقوانين ، وليست العلاقة بين البيوت كالعلاقة بين الدول فتضطر ربة البيت في حفظ حقوقه الى التوغل في السياسة والفنون العسكرية . حسب المرأة أن تتقن لغة أمتها وتعرف آدابها وان تعرف الحساب وعلم تدبير المنزل وعلم حفظ الصحة وعلم الأخلاق وعلم التربية وان يكون هذان العلمان قائمين على أساس الدين مقرونين بمعرفة عقائده وآدابه وأحكامه والتاريخ العام بالاجمال وتاريخ أمتها وبلادها بالتفصيل وعلم تقويم البلدان وعلم الاقتصاد ثم مبادىء وموضوعات سائر العلوم وفوائدها بوجه الاجمال ، وان تعرف الطبخ والخياطة والتطريز وما يتصل بذلك ، ولا يصدنها عن هذا أنها من بيوت الاغنياء الذين لا يطبخون طعامهم ولا يخيطون ثيابهم بأيديهم فان علمها بذلك وتمرنها عليه نافع بل ضروري وقد بلغنا ان قيصرة روسيا تحسن الطبخ والخياطة وكانت فيكتوريا ملكة انكلترا وامبراطورة الهند تنسج وتخيط وتطرز فهذا كمال للنساء وان لم يعملن به فعليهن ان يعلمن كيف يعمل في بيوتهن ويعرفن نفقته ودرجة جودته ويحسن المراقبة والرياسة على الخدم التي تقوم به

أما معرفة موضوعات وغايات العلوم والفنون المتداولة في الامم الحية فلها فوائد منها أن لا تكون عدوة أو كارهة لشيء نافع لقومها فان من جهل شيئا عاداه وكرهه وان الانسان يكون ناقصا بمقدار ما يجهل من المضار والمنافع . ومنها أن تعرف قيمة زوجها اذا هي تزوجت بمن يشتغل

بتجارب زراعية أو كيماوية مثلا عرفت فضله في ذلك ورجت له من الفائدة ماتكون عونا له على عمله. فان المرأة التي تجهل قيمة زوجها المعنوية ومعارفه التي يمتاز بها لا يهنأ لها معه عيش لانها لا ترى عمله الا شاغلا له عنها كأنه ضرة لها وهو لا يهنأ له معها عيش لانه يراها جاهلة بقدره، بعيدة عنه في نفسه وعقله . وان شئت قلت انهما يكونان شخصين متباعدين بالروح والعقل لا يمكن ان تكون منهما حقيقة الزوجية التي بينا معناها في النبذة الاولى . ومن تلك الفوائد أن يكون لها رأي فيما تصرف وجهة أولادها لاتقانه من العلوم والفنون بعد التعليم الابتدائي والثاني . وكثيرا ما يموت الوالد وتكون المرأة هي القيمة على أولادها منه فينبغي ان تعرف وجهتهم في المدرسة وغايتهم في التعلم لتحسن القيام عليهم،

وأما فائدة اللغة وآدابها فهي بديهية لمن يقول بالتعليم فالمرأة التي لا تفهم لغة أمتها العلمية الأدبية تكون بمنزلة البهائم لا تشعر إلا بالحاجات الجزئية التي أودع الشعور بها في فطرة كل حيوان ويكون سكون الرجل العالم الاريب اليها بمقدار الداعية الحيوانية إلى ملامستها وفي وقت هذه الداعية وتكون في سائر الاوقات كلا عليه وبلاء ومصابا اذ يراها مباينة له في إنسانيته لا تشاركه في حسن تصوره ودقة مداركه ورقة شعوره بالمعاني الادبية والافكار الاجتماعية، ويرى اقناعها بالمسائل المعقولة والمصلحة القطعية متعذرا أو متعسرا عليه لانها ليس لها لغة تعبر عما وراء الضروريات التي يدور عليها كلام العامة. ثم انه إذا سافر تنقطع الصلة بينه وبينها لا يكتب اليها ولا تكتب اليه فيما يتعلق بشؤون البيت ومصلحة

العشيرة الا إعلاما بالصحة واستعلاما عنها ونحو ذلك ويتعذر عليه ان يشعرها بما يشعر به فى سفره من لذة وألم وسرور وكآبة كما يتعذر عليها ذلك

وأما فائدة الحساب فلا يجهلها أحد فى البشر الا أن يكون بعض أهل الازهر ، فالمرأة التي تعرفه يمكنها أن تضبط نفقات البيت على القاعدة التي يسمونها الميزانية فتجعل الخرج على نسبة الى الدخل معروفة فهو عون على الاقتصاد . وقلما توجد امرأة فى الارض لا تشتري ولا تبيع شيئا ولا تعامل أحدا بالمال والنساء اللواتي يملكن المال والعقار والارض والعروض كثيرات والاسلام جعل لهن حق التصرف في أموالهن فالمرأة التي لا تعرف الحساب تكون عرضة للخطأ فى كل معاملة مالية فيغشها البائع والمشتري والوكيل والاجير ويطمع فى اغتيال مالها زوجها السفيه ويعبث به ولدها الصغير ،

وأما الاقتصاد الذي يعد الحساب من وسائله فهو روح المعاملة وأس النظام وملاك المعيشة ودعامة السعادة . فاذا لم تكن ربة البيت عارفة بهذا الفن عاملة به فلا يستقيم للمعيشة حال بل تكون مضطربة بين أمواج الحوادث يتقاذفها اليسر والعسر، ويتناوبها الغنى والفقر ، وليس الرجل بغنى فى اقتصاده عن اقتصاد المرأة عن رضى، واقتناع ولا رضى ولا اقتناع إلا بالعلم والمعرفة بأن مصلحتها ومصلحة بيتها فى الاقتصاد . ألم تر أن معظم المال يذهب فى سرف النساء وخيلائهن ، ألم تسمع أنين الرجال وأطيطهم من ثقل النفقة على ما يبتدع النساء كل حين من الازياء والتنقل فى ضروب الحلي والحلل ، ألم تعلم بأنهن لا يعذرن الرجل إذا قال لا استطيع

لا أقدر لا أملاك بل ينغص عيشه ويسلبن راحته أو يبذل لهن ما يطلبن ولو استدانه بالربا الفاحش أو باع لاجله الغالي النفيس بالثمن البخس ، ؟

هذا مما تعرف فهل لك أن تضم الى معرفة الداء معرفة العلاج وهو ان تتزوج بامرأة كاتبة حاسبة مقتصدة وتجعل للبيت بالاتفاق معها ميزانية يكون الخرج فيها جزءا من الدخل وتكون هي المنفقة والقيمة كما تجعل لارضك وعقارك ميزانية تكون أنت المنفذ لها وبذلك تكون امرأتك مقتنعة بأن ما توفر من الدخل فى الحال ، هو عدة لها ولأولادها فى الاستقبال ، .

جرب كثير من الرجال هذا العلاج فوجدوه نافعا مفيدا ومنهم من أسعده الحظ به على غير علم بفائدته فأصاب السعادة عفوا . أعرف رجلا مسرفا كان يضيع كسبه الكثير بغير عقل ولا حساب ويضطر الى الدين حتى أخذ الدين بتلابيبه لانه كان جاهلا سكورا فتزوج بفتاة كانت يهودية وأسلمت إسلاما صحيحا فما عتم أن حسنت حاله فقل سرفه وحسن عمله وقضى دينه ثم صارت له ثروة مدخرة . وحدثت عن رجل في مصر له راتب من الحكومة لم يكن كافيا لسعته فى نفقاته الشخصية فتزوج بفتاة متعلمة مهذبة فهو يعيش معها فى هناء ونعيم ويقتصد من راتبه شيئا يدخره للمستقبل المجهول . أعرف غير واحد من الفقراء جعلوا كسبهم في أيدي نسائهم فكانوا معهن في عيشة راضية يزيد فيها دخلهم على نفقتهم زيادة لها شأن عندهم . وإني أظن أنه يصعب على أكثر النساء أن يبذلن جميع ما فى أيديهن من المال فى الامور الزائدة على الضروريات أو الحاجيات

ولكن يسهل عليهن أن يبذلن أكثر مما في أيدي أزواجهن اذا كانت النفقة في أيديهم. فالمرأة الجاهلة تقدر على الحياة الاقتصادية في بيت فقير ولا تقدر على ذلك في بيت غني ولا متوسط الا بالعلم وحسن التربية

وأما علم حفظ الصحة فهو ضروري لكل إنسان سواء كان يعيش منفردا أو زوجا أو صاحب عيال ورئيس عشيرة فمن عرف هذا العلم سهل عليه التوقي من أكثر الامراض والاوبئة ووقاية من يعوله منها واذا هو أصيب بمرض فانه يحسن وصفه وبيان اسبابه وكيفية سيره للطبيب فيكون أكبر عون له على تشخيصه ومعرفة حقيقته ثم انه يحسن العمل بما يأمره به الطبيب من المعالجة. فربة البيت الجاهلة بهذا العلم تكون بلاء على نفسها وعلى زوجها وأولادها ولا يمكن أن تقل الامراض والادواء في أمة الا اذا تعلم نساؤها هذا العلم فكم من طفل فتك به المرض لجهل أمه بمداراة صحته وكم من امرأة قتلت ولدها أو زوجها بنفس الأدوية التي وصفها الطبيب لشفائه لجهلها بأسمائها وبمقادير ما يعطى المريض منها. ولقد يتعسر على المريض العالم أن يحسن معالجة نفسه في بيت قيمته جاهلة لان أي عمل في البيت لا يتم الا بها

وأما علم الاخلاق فهو عون للانسان على نفسه في الكبر وعلم التربية يتوقف عليه لان من لا يعرف قوى النفس وكيفية تكوين ملكاتها وانطباع أخلاقها وطريقة تأدبها وآثار صفاتها ووجدانها فهو لا يعرف معنى الانسان أو هو ليس بانسان كامل فيتعذر عليه تكميل غيره بحسن التربية التي هي أهم ما يجب على المرأة وأعلى ما يطلب منها

ويدخل كل ماتقدم في علم تدبير المنزل ماعدا مبادي الفنون وعلم اللغة التي هي وسيلة كل علم لان المراد بتدبير المنزل سياسة أهله وموضوعه حقوق كل من الزوجين على الآخر وحقوقهما على الاولاد والخدم وحقوق هؤلاء عليهم وطريق قيام كل بما يطلب منه . والمرأة هي ربة البيت ومديرة نظامه فينبغي أن تكون عارفة بما عليها ومرشدة للاولاد والخدم الى مايجب عليهم تحت رعايتها لينتظم شأن البيت فتكون العيشة راضية وليتربى الاولاد بالقدوة الصالحة فيكونوا أعضاء صحيحة عاملة في الامة

ومعرفة التاريخ وتقويم البلدان هي التي تودع حب الامة في القلب وتبعث فيه روح الغيرة فاذا كانت المرأة جاهلة بتاريخ أمتها ومكانتها من غيرها فهي لاتشعر بأنها عضو من جسد أمة كبيرة لها حقوق يجب على الافراد القيام بها وعلى الوالدين تربية أولادهم على احترامها والتنافس في المسابقة اليها واعتقاد أنها دعامة الشرف وركن العزة والسيادة . يكون الانسان كبير النفس وعظيم الهمة اذا كان يشعر بأن وجوده غير محصور في مساحة جسمه الصغير وانما هو واسع بروحه المنبثة في عالم كبير يسمى الامة تعمل له كما يعمل كل عضو في جسده لمصلحة الجسد كله . ويكون أكبر وأعظم اذا كان يشعر بأن وجوده أوسع وأرقى لانه خلق ليعمل مايفيد البشر كلهم بالتقريب والجمع بين المختلفين والتأليف بين المتنافرين وغير ذلك من الاعمال أو بيث العلوم التي ينتفع منها الجميع . ويكون الانسان حيوانا حقيرا ضيق الوجود اذا كان علمه وعمله موجهين لخدمة شخصه ومن

عساه يتصل به اتصالا محسوسا كأهله وعشيرته . ومن كانت هذه حاله فانه لا يرجى منه ان يربي أولادا ينفعون أمتهم ووطنهم أو ينفعون الناس أجمعين . لذلك كان لا بد لكل إنسان من ذكر أو أنثى ان يعرف التاريخ ليتسع وجوده بقدر استعداده لعله يربي من ينفع الامة والناس . وعلم تقويم البلدان في معنى التاريخ بل هو منه في الاصل ثم صار أصلا مستقلا. تلك إشارة الى ما يطلب من كمال المرأة وتختار لأجله . وسنكتب كلمة في اختيار المرأة للرجل. اه

﴿ المقالة الرابعة منقولة عن ص (٢٠٨) من المجلد الثامن من المنار ﴾

﴿ اختيار المرأة للزوج ﴾

ان الشروط التي تعتبر ضرورية فى اختيار المرأة زوجا يجب أن تعتبر ضرورية أيضا فى اختيار الرجل زوجا وهي صحة الجسم وصحة النفس أعني حسن الخلق والاستقامة وصحة العقل وهذه لازمة لما قبلها . ويزاد عليها القدرة على النفقة اللائقة كما يقول الفقهاء أو القدرة على الاستقلال بإنشاء عشيرة او أسرة كما يقول الحكماء وهو ما يريده العوام بقولهم : فلان قادر على فتح بيت : والقدرة على النفقة اللائقة بحال المرأة تختلف بحسب طبقتها فزيد يستطيع كفاية من نشأت فى بيت النعمة والترف ، وعمرو يستطيع أن يعون من نبتت في أرض الفاقة والشظف، والناس أصناف وطبقات، والله فضل بعضهم على بعض درجات ، وهذا الشرط هو ركن الكفاءة الركين فى نظر أكثر النساء ، وعرف أكثر الاولياء ، وإن شئت قلت في عرف جميع الناس لان رضاء امرأة أو أولياء امرأة بزوج غير قادر

على كفايتها مما تعودت من طعام وكسوة وخدمة نادر لا يعتد به. والمرأة الغنية أحرص من الفقيرة على التزوج بالغني لانها وأهلها يحتقرون الفقير وما زال الاغنياء يتمارون بمصاهرة من ينزل عن درجاتهم في الثروة الا أن يعلوهم بمجد أثيل، أو جاه عريض، فيمت اليهم بشرف صاعد، أوجد مساعد، ومن رفعه المال، لا يلبث أن يمد عنقه الى الجاه، ويحاول أن يصيبه بتنصي أهل السؤدد (*) وتذري ذوي المجد المؤثل، لاسيما من قل من هؤلاء مالهم، وساءت في الثروة حالهم، فالمال والشرف إذا انفردا كان كل منهما شفيعا للآخر ومن جمع بينهما لا يكاد يرضى بمصاهرة من فاته أحدهما، الا إذا لم يجد له صهرا مثله. وإنك لتجد من العوانس في بيوتات المجد والغنى مالا تجد مثله في بيوت المتوسطين. وأكواخ الفقراء والمعوزين، وذلك خطء كبير. وعتو عظيم

تعذر المرأة ويعذر وليها وذو قرابتها إذا لم يرضوا بصهر يعجز عن كفايتها لأن المرأة ضعيفة الاستقلال، قليلة الاحتمال، اذا مسها العوز والاقلال، لا تستقر من القلق على حال. ثم أنها ولوع بالحلية، فخور بالزينة، هلوع عند الحاجة، ضجور من الشدة، فهي أحوج من الرجل الى الكفاية، وأشد تطلعا الى السعة والزيادة، وان قومها ليألمون لاعوازها مالا يألمون لعوز الرجل منهم وهو وارث مجدهم، وحافظ نسبهم، ونصيرهم عند الشدة، وغوثهم عند الحاجة، لما انطوت عليه نفوسهم من

(*) تنصى القوم تزوج في نواصيهم أي اشرافهم ومثله تذراهم أي تزوج في ذروتهم

الثقة باستقلاله ، وجدارته بإصابة المخرج من اقلاله ، وما أودعته قلوبهم من الشعور برقة حاشيتها دون التحمل ، وضيق مذاهبها عن التحول ، وإن حظ الولدان والاقربين وغيرهم من الرحمة والحنان والخوف والاشفاق والحزن والامتعاض والغضاضة والنعرة وغير ذلك من ضروب الشعور والوجدان انما يكون على مقدار الداعية الطبيعية لذلك فيهم . قيل لبعضهم أي ولدك أحب اليك ؟ فقال صغيرهم حتى يكبر ، وغائبهم حتى يحضر وسقيمهم حتى يبرأ :

يشبه أن يكون الناس عندنا ماديين فانهم يعنون بالبحث عن ثروة من يخطب اليهم ظانين ان سعادة بنتهم وهناء عيشها مقرونان بمال من يتزوج بها وقلما يبحثون عن دينه وأخلاقه وآدابه . ذلك بأنهم يجهلون ان السعادة فى النفس لا فى اليد أو الجيب ويغفلون عن حال الجم الغفير من أصحاب الجيوب الملأى والقلوب المرضى الذين شقيت بهم نساؤهم فهن يتمنين لو كانوا فقراء الجيوب أغنياء القلوب بالعفة والوفاء والحب والاخلاص، إذاً لكن أنعم بالا وأقر عينا وأهنأ عيشا ، فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ، الا من هذب نفسه الايمان والتقوى ، وان من طغيان الغنى ، اذا لم يقترن بالادب والتقى ، ان يغير صاحبه زوجه وسكنه ويتغير عليها ـ يغيرها باتخاذ الاخدان ، واتباع خطوات الشيطان ، ويتغير عليها اذا زارت أو زارها الاهل والجيران ، فيعذبها بالغيرة عذاب الضعف ،أو يضارها ليضيق عليها من غير ذنب ،وانما هو ملل الذواقين ،وتنقل المسرفين، ومن وراء ذلك ان ارشاده عسير ، والانتصاف منه عزيز،لا سيما فى بلاد

فسدت حكوماتها ، وأكل السحت قضاتها ، فأين السعادة والهناء ، في مصاهرة أمثال هؤلاء ،

يسهل على الرجل المسلم أن يتخير من ربات الخدور من ترضيه فيعرف عنها من وراء الحجاب كل ما يجب أن يعرفه ويعسر على الفتيات ان يعرفن ما تجب معرفته لصحة تخير الزوج وان فارقن الحجال ، وعاشرن الرجال ، لأن المرأة سريعة التصور سريعة التأثر سريعة الحكم سريعة الانخداع فهي لهذا قليلة الروية كثيرة الخطأ لا سيما إذا كانت عذراء ، خاضعة لسلطان الحياء ، تخدعها النظرة ، وتتجاذبها الغرة ، ولذلك حظرت الشريعة الاسلامية على المرأة أن تزوج نفسها وجعلت أمرها في ذلك الى وليها واليها لابد من رضاهما معا على انها منحتها من حقوق التصرف في أموالها مالم تمنحه لها شريعة سواها بل تجد معظم البشر من جميع الشعوب والقبائل المختلفة في الملل والنحل متفقون على استقباح استقلال المرأة بتزويج نفسها وعلى وجوب تفويض أمرها في ذلك الى أوليائها وعصبتها ، ومنهم من لا يتقيد باستئذانها واستئمارها كما أمر الاسلام بل كثرت هذه العادة في المسلمين على ما ورد عن الشارع من الأوامر باستئذان أمها أيضا فليس للولي أن يستبد بذلك فيزوجها عن تكره ولو كان أبا أو جدا

يحسب أكثر الرجال ان للحسن والجمال سلطانا على قلوب النساء لا يدع فيه لغيره أمرا ولا نهياً وان شغف النساء بالحسن يعلو شغف الرجال به فلو أطلقت لهن الحرية في تخير الازواج لما اخترن الا ذا الوجه الجميل والطرف الكحيل وان كان خسيس الأبوين صفر اليدين عادم

الفضيلتين ـ فضيلة العلم والادب ـ وهذا هو الوجه فى الحجر عليهن ان يتخيرن لانفسهن فانهن يتبعن الهوى دون المصلحة فيصبحن على ماذهان نادمات بعد أن يقاسين من استبداد سلطان الجمال ، مالا طاقة لهن به ولا احتمال ، وهذا الحسبان خطأ سببه قياس أحد الصنفين على الآخر . وهو السبب فى تصدي حسان الوجوه من الشبان لتصبي النساء وإغوائهن وقد يعد نجاحهن فى التصبي دليلا على صحة القياس وما هو بدليل الا عند من يجهل التعليل

ان الفتنة بالجمال أولع بالرجال منها بالنساء فيقل فى النساء من فتنت بجمال الرجل كامرأة عزيز مصر وصواحبها ولا يتناول الاحصاء عدد الرجال الذين فتنوا بجمال النساء كبني عذرة من جميع القبائل والشعوب وهذا هو السبب عندي فى شكوى الرجال من قلة الوفاء فى النساء . انما يفتن المرأة من الرجل تحببه اليها فهي مجنونة فى حب الحب أي حب أن يحبها الرجل كما قالت علية بنت المهدي حكاية عن غريزة صنفها * تحبب فان الحب داعية الحب * فهن يفتتن بالرجال على قدر تصديهم لهن وتحببهم اليهن اذا هن صدقن وأمن الخلابة والحيلة، وأما أسرع تصديق الفتاة الغر لوحي العيون ، وانخداعها بقول الزور ، واستسلامها للود الممذوق ، والحب المصنوع ، بل هي فتنة لا تكاد تسلم منها العوان ، التي مارست الرجال وعرفت الزمان ،

قرأت قصة (رواية) فى امرأة كانت تدعى (فاتنة باريس) وكانت تهوي اليها أفئدة الرجال ، وتمطرها سحائب الأموال، فتفوز لديها آمال

وتخيب آمال ، حتى إذا ما عرض لها مرض حال له لونها ، وحال بين طلاب التمتع وبينها ، انفض من حولها الناس إلا رجلا واحدا كان الحب قد أخذه عن نفسه ، وران على عقله وحسه ، ثم اختطفه من طبيعة الرجال ، وطار به فى فضاء الخيال ، ولم تلبث المرأة ان أفاقت من غشية المرض فلم تر من تلك الجموع الا ذلك الرجل فاعتقدت انه محب لها مخلص فى حبه فاصطنعته لنفسها ، وثابت على يديه الى رشدها ، وهجرت الرجال وهاجرت معه من باريس الى أريافها وهناك تزوجت به ومكنته من جميع ما تملك .

هذا الذي ذكرته من افتتان النساء بالتحبب والتصبي هو العلة الأولى فيما هو معروف بين الناس من ميل نساء المدن الى المتورّنين والمتطرسين ، وزهدهن فى أهل العلم والدين ، فهن يعتقدن ان هؤلاء فى شغل عنهن ، وان أولئك لم يبالغوا فى التطيب والتزين إلا لاجلهن ، ثم صار ذلك عادة موروثة فيهن ، وقد فشت هذه العادة السوءى فى بيوت المترفين من أهل مصر وغيرها حتى ان العذارى ليقترحن أن يغير الخاطب لهن زيه العلمي ان كان عالما وقد يكرن هذا التغير بالاعايهن بعد الزواج لانه يسهل على صاحبه الدخول فى بيوت الفسق التي تخرب بيتهما وتوقع بينهما . اما أهل البادية ومن فى حكمهم فان نساءهم لا يملن الا لمن اشتهر بالشجاعة والشهامة والرجولية والكرم وبهذه الصفات يتقرب الرجال الى النساء عندهم ولو وجد فى المدن شبان يعرفون بهذه الصفات لما فضل النساء عليهم أحدا فان صفات الفطرة ان تحب المرأة من الرجل ما هو من شأن

الرجولية والعكس بالعكس وهذا الذي يحكى عن نساء الامصار من ولعهن بالمخنثين ومن يقرب منهم هو من فساد الفطرة . وقد كان من حسن تربية النساء فى بلاد الانكليز أنهن قربن من الفطرة السليمة فقد اقترح عليهن فى بعض الجرائد ان يذكرن أحب صفات الرجال اليهن فكان الجواب من أكثر من أجبن ناطقا بحب صفات الرجولية من الشجاعة والاستقلال والسلطة عليهن

يقول أناس : ان الحب بين الزوجين هو الاساس الذي تقوم عليه جميع أركان سعادة الحياة الزوجية فاذا كان قويا راسخا فلا يضر هذه الحياة ضعف الاركان واذا كان غير قوي فان الاركان لاتلبث ان تسقط فيجب ان يؤذن للعذارى والايامى بمعاشرة العزاب على أعين أهليهن ومراقبتهم ليتخيرن منهم من يبيعهن قلبه ، ويصفيهن حبه ، : وقد سبق القول فى بحث تخير الرجل للمرأة بأن هذه المعاشرة ليست سبيلا موصلة الى الامنية التي يتمنون . واذا كان يعسر على الرجل ان يعرف قلب المرأة بمثل هذه المعاشرة التي يقصد بها الخطبة أفلا يكون وصول المرأة إلى قلب الرجل اعسر لاسيما إذا كانت فتاة غرا ؟ونزيد ههنا ان كثرة معاشرة أفراد كل من الصنفين للآخر يحبب اليهم التنقل في هذه الرياض ويزينه فى قلوبهم حتى اذا ما ازدوج اثنان منهم عن حب ثم فتر الحب للملل أو لما عساه يبدو لاحدهما أو كليهما مما لم يكن فى الحسبان تحن القلوب الى من كانت عرفت بالمعاشرة وتجنح إلى التنقل ولا يعسر ذلك على من سبق له التمرن عليه والأنس به

الحب هو الركن الاول أو الاساس لسعادة الزوجية وهو السكون المذكور فى الآية الحكيمة «ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها» أو هو علته وقد تقدم شرح ذلك فلا نعيده ولكننا نزيد على ماقلنا هناك ان دوام الحب وسكون القلب إنما يرجى بين زوجين لم يتعود الرجل منهما معاشرة النساء ولا المرأة معاشرة الرجال إذا كان اختيار كل منهما للآخر على الوجه الذي بينا فان علة سكون كل منهما الى الآخر ثابتة في أصل الفطرة وانما يجب التخير للحذر من الصفات العارضة التي تشارك الفطرة فى الاستحسان أو الاستهجان ولا شيء أقطع لرابطة الزوجية وأذهب بسعادتها من ميل أحد الزوجين أو كل منهما الى غير زوجه ميلا للمعنى الخاص بالزوجية

ان الحب الذي يكون للزوجين برابطة الزوجية نفسها هو الحب الذي يرجى دوامه اذا روعي فى عقد الرابطة صحة الجسم والنفس والتقارب فى العادات والتأدب بأدب الدين وأهم هذه الآداب عفة الزوجين ورضى كل منهما بالآخر نصيبا له لا يفضي الى سواه . ذلك بأن النزعة الطبيعية فى كل من الصنفين الى الآخر مبهمة مضطربة في أصل الفطرة فاذا تعينت فى اثنين فأفضى بعضهما الى بعض وقد وطنا أنفسهما على إقامة سنة الفطرة والدين باحصان كل منهما للآخر وعدم التطلع الى سواه فهناك السكون التام والحب الخالص . وليس وراء الفطرة والدين مطلع لهناء العيش وسعادة الحياة ولكن هذا الانسان يخرج عن سننهما ليتمتع بالهناء وسعادة الحياة فيضل ويشقى

يقول غير المسلم : إن حب الزوجية لا يكاد يتذوق حلاوته الزوجان المسلمان لان المرأة تكون مهددة دائماً بأحد الامرّين الطلاق أو الضرة : ونجيب عن هذا القول من وجهين أحدهما دفعه بقول مثله فى الزوجين النصرانيين ومن فى حكمهما وثانيهما البحث فيه وتعرّف حقه من باطله. أما الاول فان الزوجين اللذين يرى أحدهما انه ملزم بالآخر إلزاما إجباريا جعله كالرهق فى عنقه ، والوقر على كاهله ، فانه يمله ويستثقله فلا تسكن نفسه اليه ، ولا تقر عينه به ، ولا يخلص وده له ، وان كان قد رضي به قبل العقد انخداعا بما ينخدع به الشباب ، أو ذهابا وراء الطمع فى مال أو جاه ، فالمرأة تلج فى الزهو والصلف ، وتتمادى فى المخيلة والسرف ، والرجل يتجرع مرارة الصبر ولا يكاد يسيغه ، وينشد استقلال الرجال فلا يجده ، وربما لجأ الى السلوة باتخاذ الاخدان ، أو الاختلاف الى ذلك المكان... ان كان ، وليس هذا القول من تخيل الشعر بل هو الحقيقة حكاية عن شعور أهلها فقد سمعت أحد فضلاء الانكليز وهم أحسن الاوربيين حالا فى الحياة الزوجية يقول ما مثاله : ان تحريم الطلاق ومنعه يشعر الرجل بأنه ملزم بالمرأة مجبور على ودها والتحبب اليها لا فضل له فى ذلك وما أعصى الحب والود على الإلزام كما يقول المثل « حبني غصبا » واذا كان يعلم من نفسه القدرة على فراقها فانه يكون على فطرته وأدبه فى معاملتها يشعر بالسرور والارتياح لاختيار المعاملة الحسنة التي هي مناط السعادة الزوجية : فهذا هو شعور المهذبين الممنوعين من الطلاق فما بالك بغير المهذبين الذين يعجزون عن مكابرة شعورهم ، وتكلف المحاسنة لمن يرتبط بهم ، وللمرأة

مع الفريقين شعوران مختلفان أحدهما الضعف والعجز وبهما ترى نفسها أسيرة للرجل وثانيهما انه لا بد للرجل منها ولا قدرة له على الانفصال عنها والأثر الطبيعي لهذين الشعورين هو الكيد من جهة والصلف والعناد من جهة أخرى . ولا يقال ان هذه فلسفة لا يصدقها الواقع فانه ان كذبها في الزوجين المتشاكلين في الطباع المتناسبين بالتهذيب فانه يصدقها في الازواج الذين خانهم الحظ فلم يمنحهم المشاكلة والتناسب لا سيما اذا كانت المرأة عاقرا أو ظهرت آيات الخيانة من أحد الزوجين أو كل منهما للآخر . ناهيك بالمرأة العاقر عند ملك أو أمير قد جعل الحكم إرثا في ذريته أو غني عظيم يعز عليه أن لا يكون له وارث يتمتع بماله

وأما الوجه الثاني وهو البحث في فرق المرأة وحذرها من الطلاق أو الضرة فقد يقال فيه انه يكون من أسباب تحببها الى الرجل وعنايتها بمرضاته وان هذا السبب للتآلف يقابله في الرجل حذره من خسارة المال اذا أراد استبدال زوج بزوج لأن الشرع يوجب عليه ان يمتع المتروكة بما تنفقه على نفسها مدة العدة التي لا يباح لها الزواج فيها وهذه خسارة فوق خسارة المهر وما عساه يكون مع المرأة من متاع وأثاث وماعون أو يكون لها من مال تسمفه به أو تدخره لولده ، ثم إنه لا بد أن يبذل للزوج الجديدة المهر اللائق بها . وهذان السببان في حرص كل من الزوجين على التعلق بالآخر يدعمان سكون النفس الفطري في كل منهما الى الآخر . على ان الطلاق والمضارة بزواج أخرى هو خلاف الأصل الذي عليه الاكثرون من المسلمين واننا لنعلم ان الاكثرين من المتزوجين في بلادنا

لايخطر فى بال الرجل منهم ولا المرأة أمر الطلاق أو المضارة أعني ان الرجل لاينويه والمرأة لاتتوقعه منه وأن أكثر الذين يقع منهم الطلاق من غوغاء المسلمين فانما يقع منهم على سبيل المنع من شيء كأن يقول واحدهم عليه الطلاق إن فعل كذا أو إن فعلت كذا ونحو ذلك . وما كان من ذلك تعليقا حقيقيا على فعل المرأة وهو الأكثر يجعل الطلاق فى يدها كما هو فى يده فيشتركان فيه . وقد ذهب الكثير من الاوربيين الى صحة الطلاق من كل من الزوجين وهذا شيء منه . ومن أئمة السلف من يقول بعدم وقوع الطلاق بأيمان اللجاج وكل لفظ لايقصد به حل عقدة الزوجية قصدا صحيحا وعليه بعض علماء الحنابلة ولو حرر المسلمون مسائل الطلاق من غير التزام مذهب بأن يأخذوا من مجموع كلام الائمة مايوافق النصوص المنطبقة على المصلحة العامة لما كان يقع الطلاق من المسلمين الامثل مايقع ممن قلدهم فيه من الافرنج . ولعله يكون في بعض البلاد الاسلامية أقل منه في بعض بلاد الافرنج بل هو الآن أقل في بعض البلاد .

نعم لاننكر ان المسلمين في بلاد مصر قد أسرفوا في الطلاق وفى التزوج بأكثر من واحدة فساءت حالة الحياة الزوجية فيهم وفى أمثالهم ممن على شاكلتهم وان قلوا وأنهم فى ذلك على غير مايحب الاسلام ويرضى كما يعلمون فى الطلاق وكما بينا في حكم تعدد الزوجات وشرطه فى المجلد الماضي ولكن سوء هذه الحال خاص بالمسرفين من أهلها وبمن يقربون منهم بما يروّعون نسائهم ويوقعون الريب فى قلوبهم بكثرة الحديث فى التزوج وإظهار الميل الى بعض العذراى أو الايامى بالقول أو الفعل . وقد

مرضت الفطرة في هؤلاء واعتل مرشدها وهو الدين حتى كان انحلال الرابطة الزوجية بعض أعراض ذلك المرض الذي فقد علاجه فهم لا يذوقون للحياة الزوجية طعما ولو لم يروعوا نساءهم بالطلاق والمضارة الا أن يقيموا وجوههم للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها . فإن السعادة الزوجية كغيرها من ضروب السعادة لا تكاد تنال الا بمكارم الاخلاق ومحاسن الآداب التي جاء بها الدين ولذلك قال المصلح الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه» الخ (رواه الترمذي والليث بن سعد) ومن يطلب السعادة بغير ذلك فهو من الخاسرين» اه

﴿ فهرس الكتاب ﴾

صفحة

صفحة

(الفصل الثالث)

(الحجاب)

صفحة